شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة و الثقافة الأخلاقيّة
تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت
علم وخبر 2009/287

العدد التاسع، صفر 1432 - كانون الثاني 2011

المدير المسؤول
خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي
أحمد شقير
محمد كوراني

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 40 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد
دول عربية و إسلامية. وأوروبا و أمريكا الشمالية
تضاف أجور البريد

الأسعار

□ لبنان : 3000 ل.ل □ سوريا: 100 ل.س
سائر البلدان: تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي
هاتف 01/544955 - 03/725246
ص.ب: 25/5141
الموقع: www.saraer.org/shaaer
بريد إلكتروني: shaaer@saraer.org

شعائر

مجلة شهرية تعنى بالمعرفة الدينية الإسلامية و الثقافة الأخلاقية
تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة: هِجـرةُ الأمّـة.. إلى رسـول الله صلى الله عليه وآله ..... الشيخ حسين كوراني ٦

تحقيق: زيارة الأربعين: هكذا تحدث عنها المعصومون ٨

مراقبات: أعمال شهر صفر ١٣

أحسن الحديث: نظرية تفسير القرآن بالقرآن ١٦

موجز في التعريف بالسور «سورة الأنفال» ١٩

أيام الله: مناسبات شهر صفر ٢١

من حجّة الوداع إلى الوفاة ٢٤

رأس "رسول الله" محمولاً على الرمح، في الشام!! ٣٠

وقال الرسول: الذنوب ٣٣

يزكّيهم: ..... من توجيهات المقدس الشيخ بهجت ٣٤

الملف: الإمام الحسن السبط الأكبر، أولى الريحانتين ٣٥

الصلاة على الإمام الحسن عليه السلام ٣٦

مَـلامِـحُ حَـسَـنـيّـة ٣٧

الإمـام الـحـسـن عليه السلام كما عـرّفـه رسـول اللـه صلى الله عليه وآله ٣٨

الحسنان.. نـوران مـن نـور الله.. ..... ٣٩

الحسـنـان...ما سِـرُّ هذه التثنية النَّبويَّة؟ ٤١

هَـيْبَةُ الإمام الحسن عليه السلام.. نبويَّة ٤٢

الـكـوفـة عـشـيّة بيعة الإمام الحسن عليه السلام ٤٥

السِّبط الأكبر من الولادة إلى الشهادة ٤٧

بُغاثُ الطّيرِ، انقَضَّ عليها أَجْدَل ٥٤

صاحب الأمر: الدعاء للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بعد صلاة العصر ٥٥

محتويات العدد

لولا دعاؤكم: أدعية تلقين الميّت المستحبّة وصلاة الوحشة ٥٦

كتابا موقوتا: صلّوا كما رأيتموني أصلي ٥٧

يذكرون: تسبيح لكلّ يوم من الشهر ٥٨

فكر و نظر: الحداثة والمجتمع الديني ٦٠

أعلام: الفقيه الكراجكي الطرابلسي ٦٣

وصايا: «إبـدأ بنفسك» من وصايا المرجع الراحل الشيخ محمد أمين زين الدين ٦٧

حدود الله: من مستحبات الدفن ٦٨

وثائق: علماء النجف ٦٩

كلمة سواء: بحق أقول لكم ٧٠

مرابطة: تجديد الخمينيّة: «قم» على خط المواجهة! ٧١

دوائر ثقافية: قراءة في كتاب: «إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام» ٧٣

مصطلحات: العرش، الإستواء، الكرسيّ ٧٦

التمثيل والنيابة ٧٧

مفكّرة الشعائر ٧٨

إصدارات عربية ٧٩

إصدارات أجنبية ٨٠

دوريات ٨١

أيها العزيز: حُبُّ الدُّنـيا ..... الإمام الخميني قدس سره ٨٢

بسملة

هِجرةُ الأمّة .. إلى رسول الله صلى الله عليه وآله

■ الشيخ حسين كوراني

سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله : ما جماعة أُمّتِك؟ فقال : «مَن كان على الحقّ وإن كانوا عشرة» . وعندما سُئل عليٌّ عليه السلام عن تفسير السُّنَّة ، والبدعة ، والجماعة ، والفُرقة ، قال :

«السُّنَّة ـ والله ـ سُنَّة محمّد صلى الله عليه وآله ، والبِدعة ما فارقها ، والجماعة ـ والله ـ مُجامعة أهل الحقّ وإنْ قلّوا ، والفُرقة مُجامعة أهل الباطل وإن كثُروا» .

الأمّة ـ إذاً ـ أهلُ الحقّ وإن قلّوا . فالأمّة جماعةٌ وحقّ . الثابت من هذه الثنائيّة هو الحقّ ، أمّا حَمَلتُه فهم معرَّضون للتَّبدُّل والتَّحوُّل .

قال الإمام الصادق عليه السلام : «إنّ العبد يُصبح مؤمناً ، ويُمسي كافراً ، ويُصبح كافراً ، ويُمسي مؤمناً . وقوم يُعارون الإيمان ثمّ يُسلبونه ، ويُسمّون المُعارين» .

وعن نبيّ الله عيسى عليه السلام : «يا معشر الحواريّين ، بحقّ أقول لكم : إنّ الناس يقولون : إنّ البناء بأساسه ، وإنّي لا أقول لكم كذلك» ، قالوا : فماذا تقول يا روح الله؟ قال : «بحقّ أقول لكم : إنّ آخر حجر يضعه العامل هو الأساس» .

والنصّان معاً من مشكاة : ﴿ .. والعاقبة للمتّقين ﴾ ، وهي ذات مشكاة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ النساء : ١٣٧ .

بالتدبُّر في ما سبق يتّضح الآتي :

١ . معنى «الأمّة» ، حيث يتجلّى الفارق الكبير بين الأمّة بالفعل ، لا القول ، وبين الأمّة بالنتائج ، وباصطلاح علم المنطق «بالقوّة» .

٢ . لا مكان في جماعة الأمّة لمن يُخرِج نفسه «من حدّ التقصير» ، ويَجزم بأنّه ثابت في تَموْضعه لا يَبْرَح ، فضلاً عن التعالي وعريض الادّعاء ، وصولاً إلى الكفر عبر اعتقاده أنه هو «الحقّ» !

٣ . ويتّضح أنّ الأقرب إلى «جماعة الأمّة» هو مَن يعمل لتثبيت الحقّ ، بل هو مرشَّحٌ ليُصبح من الأمّة ، على قاعدة «إنّما سُمّي القلب قلباً ، لكثرة تقلُّبه» ، والعِبرة بالنتائج .

٤ . ولئن كان التحوّل في مَن دخل في دائرة الأمّة قائماً على الدوام ، فهو في مَن يَشقّ طريقه إلى هذه الدائرة ، أقوى وأبلغ .

٥ . أنّ الكلام الموضوعيّ عن «الأمّة» وباسمها ، منزَّهٌ عن الادّعاء ، يُلازم رجاء «حُسن العاقبة» ، بريء من العنصريّة ، أو التطييف ، أو العشائريّة .

٦ . أنّ محوريّة الحقّ ، وثباتَه في تشكّل جماعة الأمّة حوله ، تَعصم من الانفتاح المصلحيّ ، فضلاً عن الاستلاب أو الانبهار الغرائزيّ ، لتضع «صلة الرحم» الإنسانيّة في دائرتها الأوسع ، دائرة الأسرة الواحدة ﴿ يا بَني آدم .. ﴾ ، دائرة ﴿ ألحمد لله ربّ العالمين ﴾ .

مفتتح الألفيّة الثالثة مطلع تاريخ جديد للأمّة. عنوانه الأبهى: هجرة الأمّة إلى رسول الله ﷺ مع الحسين عليه السلام. هويّتنا المحمّديّة، هويّة الإسلام الواحد ﴿ . . لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ . . ﴾ البقرة: ٢٨٥، هويّة «الإنسان الكامل»، هويّة: ﴿ وإنّك لعلى خُلُق عظيم ﴾ القلم: ٤، هويّة «الدِّين حُسن الخُلق»، في السلْم الذي لا تُخاض الغمرات إلاّ لتثبيته، وفي الحرب إنْ جَنَحوا لها.

غايتنا. منذ بدء مسيرة النبوّات. بَسط العدل، وإقامة الحقّ، ﴿ . . حتّى لا تكون فتنة ويكون الدِّين كلّه لله . . ﴾ الأنفال: ٣٩.

***

قال الحسين عليه السلام: «ألا ترَوْن إلى الحقّ لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه، فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برَماً». أدركت الأمّة بأجيالها وصيّة رسول الله ﷺ: «حسينٌ منّي وأنا من حسين». الحسينُ النهْجُ والمَسار، والصراط، والمصير.

الحسين البَصَر والبصيرة. نور الله المحمّديّ في ظُلمات الأرض. ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير * ولا الظلمات ولا النور * ولا الظلّ ولا الحَرور ﴾ فاطر: ١٩ – ٢١.

مَشَت أجيال الأمّة تحت راية الحسين عليه السلام حين أمكنها، وظلّ حُبُّ الحسين يَعْمر قلوبها المحمّديّة، حتّى عندما لم تتمكّن من رفع رايته. وها هي الأمّة في هذا العصر، تهاجر إلى رسول الله ﷺ مع الحسين عليه السلام، هجرة نوعيّة لا نظير لها، إنْ من حيث الجَهر بحُبّ الحسين، أو من حيث نَشر الراية الحسينيّة. من إنجازات هذه الهجرة حتّى الآن، أنّ الدنيا اليوم غيرها بالأمس القريب. فلا «إسرائيل» تلك القلعة المُبهمة، ولا «أميركا» ذلك القطب الأوحد. ﴿ ولتعلمُنَّ نبأه بعد حين ﴾ ص: ٨٨.

***

شرط الهجرة مع الحسين حُبّ رسول الله، وهو يعني حُبّ المرسِل والرسول، وحُبّ استمرار الرسالة، أيْ «حُبّ أهل البيت». وأوّل خطوها بَذْل المهجة «مَن كان باذلاً فينا مهجتَه «. .» فليَرحل معنا»، فذلك شرط الإيمان: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه، وتكونَ عِترتي أحبَّ إليه من عترته».

ويتوقّف بَذل المهجة على بَسْط سلطة العقل على الهَوى، وهو يعني إقامة العدل في النفس «أتَحسبُ أنّك جُرْمٌ صغير؟»، لِتُتاح المشاركة في إقامة العدل في العالم.

والذِّكر والفكر. في مقابل الغفلة والعبثيّة. قُوت الروح وقوامها، وتجمعهما الصلاة بامتياز، فهي عِماد الرحلة وعَمود الدين.

مَن كان مِن «الأمّة» على مشارف هذه القمَم، فليزدد بالعبادة يقيناً، ﴿ واعبُد ربَّك حتى يأتيك اليقين ﴾ الحجر: ٩٩.

ومن كان على مدارج السفح فليتضرّع: «وهَبْ لي الجِدَّ في خشيتك».

ومن كان مع الأمّة. وقد يصبح منها. فليتأمّل في أنّ الهجرة إلى «وارث النبيّين» ليست شعاراً سياسيّاً، أو عملاً عسكريّاً، أو اصطفافاً انتقائيّاً، بل هي ثمرةُ أخلاق، والأخلاق ثقافة، والثقافة عقيدة، والعقيدة عِلم وعَمل.

«اللّهمّ اجعلني عندك وجيهاً بالحسين عليه السلام في الدنيا والآخرة».

والحمد لله ربّ العالمين

زيارة الأربعين

هكذا تحدّث عنها المعصومون.. و التزم الحسينيّون

تحقيق: أحمد الحسيني

«زيارة الأربعين» في كربلاء

* هل كان الصحابيّ «الظاهرة» جابر بن عبد الله الأنصاري، رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى كربلاء، في «أربعين» الإمام الحسين عليه السلام؟

ثلاثة ثوابت توحي بذلك:

الأول: أنّه أوّل من زار الإمام الحسين عليه السلام في «الأربعين».

الثاني: أنّ النصّ الذي تلاه في هذا اليوم ـ وما يزال يُتلى ـ بقي النصّ الوحيد لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين، إلى عصر الإمام الصادق عليه السلام.

الثالث: أنّ هذا الصحابيّ الجليل، قد بلّغ رسالة رسول الله ﷺ. المتّفق عليها بين المسلمين. إلى الإمام الباقر عليه السلام، بعد كربلاء وفي زمن إمامة الإمام السجّاد عليه السلام، ممّا يقوّي احتمال أن يكون رسول الله ﷺ قد حمّله رسالة إلى «كربلاء»!

* في ما يلي تقدّم «شعائر» تحقيقاً حول إحياء زيارة الأربعين، التي كانت وما زالت مَعلماً بارزاً في رفد علاقة الأمّة برسول الله ﷺ، ورفد سوح الجهاد بقوافل المجاهدين والشهداء.

ثبوت زيارة الأربعين نصّاً وتاريخاً

في العشرين من صفر زيارةُ الأربعين، واستحبابها المؤكّد ثابتٌ بقطع النظر عن رجوع أهل البيت من الشام إلى كربلاء، وحديثُ استحبابها مشهور جداً ومحفوظ، وهو ما أورده الشيخ الطوسي عليه الرحمة ورواه عنه العلماء وأورده الفقهاء في مجاميعهم الفقهيّة واعتمدوه. وقد أكّدت أحاديث الأئمّة عليهم السلام على أهميّة زيـارة الأربعين، حتى جعلها الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام من سيماء المؤمن فقال: «علامات المؤمن خمس: صلاة الإحـدى وخمسين، وزيـارة الأربعين، والتّختّم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم».

قال الشيخ الطوسي رحمه الله: «وفي اليوم العشرين منه (أي من شهر صفر) كان رجوع حرم سيّدنا أبي عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام من الشام إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله بن حزام الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورضي عنه من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر أبي عبد الله عليه السلام، فكان أوّلَ من زاره من الناس، ويُستحبُّ زيارته عليه السلام فيه وهي زيارة الأربعين، فرُوي عن أبي محمد العسكريّ عليه السلام أنه قال: «علامات المؤمنين خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»».

زيارة الأربعين من علامات المؤمن

هذا الموقع الخاص جداً لزيارة الأربعين، يحمل على التأمّل في المحاور التالية:

١- كلّ الزيارات مستحبّة، وقد ورد الحثُّ عليها، فهي مستحبّة استحباباً مؤكّداً.

٢- يتّضح أنّ استحباب زيارة الأربعين فوق ما يدلّ عليه لفظ الاستحباب المؤكّد، فهي من علامات إيمان المؤمنين.

٣- لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين نصّان، أحدهما عن الصحابيّ الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري، والثاني عن الإمام الصادق عليه السلام.

٤- لم ترد زيارة يُزار بها معصوم عن غير معصوم سوى زيارة جابر التي استمرّ العمل بها وحدها إلى زمن الإمام الصادق عليه السلام، ثمّ عُمل بهما معاً.

٥- هل حمل الصحابي الجليل الظاهرة من رسول الله سلاماً خاصاً له عليه السلام بعد شهادته.. هو هذه الزيارة؟

من مراسم العزاء في كربلاء المقدّسة

وإذا كان الباحثون قد اختلفوا، إثباتاً أو نفياً، حول رجوع السّبايا إلى كربلاء في العشرين من صفر، فإنّهم اتفقّوا جميعاً على أمرين:

الأول: أنّ استحباب زيـارة الأربعين ثابتٌ في حدّ ذاته وبقطع النظر عن صحّة خبر رجوع أهل البيت عليهم السلام من الشام إلى كربلاء في طريقهم إلى المدينة.

الثاني: ورود جابر بن عبد الله الأنصاريّ إلى كربلاء لزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام في ذلك التّاريخ بعد استشهاده بأربعين يوماً، بمرافقة أحد كبار التّابعين، هو «عطيّة العوفي»، قال عنه المحدّث القمي في (الكُنى والألقاب): «أحد رجال العلم والحديث، يروي عنه الأعمش وغيره، ورُوي عنه أخبارٌ كثيرة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الذي تشرّف بزيارة الحسين عليه السلام مع جابر الأنصاري الذي يُعدُّ من فضائله أنّه كان أوّل من زاره».

ورود الصحابيّ جابر الأنصاري إلى كربلاء

ومن المعروف أنّ جابراً، هذا الصّحابيّ المشهور، شهد جلّ المغازي مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وصَحِبَه في السّرّاء والضّراء، وروى عنه الأحاديث الصّحيحة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه يزور جابراً، وفي إحدى المرّات قال جابر لزوجته: لا تسألي رسول الله شيئاً، فقالت: يخرج رسول الله من عندنا ولم نسأله! فنادته: يا رسول الله صلّ عليّ وعلى زوجي، فقال: **صلّى الله عليك وعلى زوجك**.

وقد سمع جابر أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّ الإمام الحسين عليه السلام، ولمس مكانة الحَسنين عليهما السلام من قلب المصطفى صلى الله عليه وآله. فهل كان وصوله إلى كربلاء تعبيراً طبيعيّاً عن واجب «المودّة في القربى» بحُكم معرفته المباشرة كغيره من الصحابة بموقع الإمام الحسين من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ أم أنّ في الأمر أبعاداً شديدة الخصوصيّة، وعنوانها العام، أنّ الصحابيّ جابراً كان ينفّذ وصيّةً من

مسيرة حسينيّة في كربلاء

رسول الله صلى الله عليه وآله؟ بعبارة ثانية: هل كان الصحابيّ «الظاهرة» جابر بن عبد الله الأنصاري، رسولَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله، إلى كربلاء، في «أربعين» الإمام الحسين عليه السلام؟

ثلاثة ثوابت توحي بذلك:

الأوّل: أنّه أوّل من زار الإمام الحسين في «الأربعين».

الثاني: أنّ النصّ الذي تلاه الصحابيّ جابر بن عبد الله الأنصاري في هذا اليوم ـ وما يزال يُتلى ـ بقي النصّ الوحيد لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين، إلى عصر الإمام الصادق عليه السلام.

الثالث: أنّ هذا الصحابي الجليل، قد بلّغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله ـ المتّفق عليها بين المسلمين ـ إلى الإمام الباقر عليه السلام، بعد كربلاء وفي زمن إمامة الإمام السجّاد عليه السلام، ممّا يقوّي احتمال أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله قد حمّله رسالة إلى «كربلاء»!

ومع أنّنا لا نملك نصّاً حول أنّ هذه المهمّة التي قام بها جابر الأنصاري، كانت بتكليف من رسول الله صلى الله عليه وآله، إلّا أنّ هذه الثوابت المتقدّمة تُحتّم إدخال هذه الخصوصيّة ولو كاحتمالٍ مُعتدٍّ به جداً، في تكوين صورة مُكتملة عن «زيارة الأربعين».

زيارة الحسين عليه السلام والحراك السّياسيّ والثّوريّ

بعد قدوم جابر الأنصاريّ كربلاء وزيارته قبر الحسين عليه السلام، وبعد تأكيد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، أضحت زيارة سيّد الشّهداء سُنّةً متّبعة على مدار العام، وفي مناسبات عديدة مختلفة أكّدت الروايات على استحباب زيارته عليه السلام فيها، منها ليلة القدر، وليلة النصف من شعبان، وفي الليلة الأولى من رجب، وفي النصف منه، ومن أبرزها زيارته عليه السلام يومَ عاشوراء، وفي العشرين من صفر من كلّ عام، (أي زيارة الأربعين). وعلى الرّغم من القمع ومحاولة منع النّاس من إتيان مشهده في العصر الأمويّ، وتَفاوُت ذلك في العصر العبّاسيّ بحسب علاقة الحكّام العبّاسيّين بالطّالبيّين، فإنّ الموالين لأهل البيت عليهم السلام، والعارفين بحقّهم وكرامتهم، ظلّوا يفدون إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، إلى أن هُدم القبر في زمن المتوكّل العباسي، ومُنع النّاس من الاقتراب من ذلك الموضع الشّريف. وبعد موت المتوكّل أُعيد بناؤه، واستمرّ الناس يزورونه زرافاتٍ زرافات، ولا سيّما أنّ الأئمّة عليهم السلام أكّدوا على زيارته، وأقوالهم في ذلك كثيرة جداً، بل لم ترد نصوص حول أيٍّ من زيارات المعصومين عليهم السلام بالكثرة والنوعيّة اللّتين وردت بهما نصوص زيارة سيد الشهداء عليه السلام. منها على سبيل المثال: عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «**زوروا كربلاء ولا تقطعوه، فإنّ خير أولاد الأنبياء ضمنته، ألا وإنّ الملائكة زارت كربلاء ألف عام من قبل أن يسكنه جدّي الحسين عليه السلام، وما من ليلة تمضي إلاّ وجبرئيل وميكائيل يزورانه، فاجتهد ـ يا يحيى ـ ألّا تُفقد من ذلك الموطن**».

وعنه عليه السلام عندما سأله حنان بن سدير عن زيارة الحسين عليه السلام، قال: «.. **زُرْهُ ولا تَجْفُه، فإنّه سيّد الشّهداء، وسيّد شباب أهل الجنّة، وشبيه يحيى بن زكريّا، وعليهما بكت السّماء والأرض**».

ولولا زيارة الحسين عليه السلام التي أضحت سُنّةً مُتّبعة، ولولا تلك الحشود التي تَفِد إلى كربلاء لتستذكر الفاجعة الأليمة ومضامين الثّورة الحسينيّة، لما كانت أهداف الحسين عليه السلام التي دفعته إلى الثّورة ضدّ الحُكم الفاسد والجائر، تحظى بكل هذا التوهّج وقوّة الحضور في رفد حركة المُمانعة عبر الأجيال. وليس غريباً أن يقول الإمام الخميني قدس سره بعد انتصار الثّورة الإسلاميّة عام ١٩٧٩م مقولته الشّهيرة: «كلّ ما عندنا هو من عاشوراء». كما

الزينبيات في مسيرة إلى مقام الإمام الحسين

...هيهات منا الذلّة

برزت من جديد معادلة «الدّم ينتصر على السّيف»، هذه المعادلة التي قادت المقاومة الإسلاميّة إلى النّصر على أعتى الجيوش في الشّرق الأوسط، على الجيش الصّهيونيّ، وأجبرته على الخروج من لبنان مدحوراً عام ٢٠٠٠م، كما قادتها إلى الانتصار عليه مرّة أخرى عام ٢٠٠٦م وسط ذهول العالم بأجمعه عمّا حدث، فكلّ المعادلات الماديّة أشارت إلى تفوّق الجيش الإسرائيليّ عدداً وعُدّة، ومع ذلك استطاع الحسينيّون من المقاومين الشّرفاء الصّمود، ثمّ كان النّصر رغم أنوف الأعداء. ولم تقتصر أصداء الثّورة الحسينيّة على العالم الإسلاميّ، إنّما امتدّت إلى شعوب كانت تتوق إلى الحريّة والتّخلّص من نير الاحتلال، حتى قال المهاتما غاندي (مق١٩٤٨م): «تعلّمت من الحسين أن أكون مظلوماً فأنتصر».

الشعب العراقي وزيارة الأربعين

لشيعة العراق ـ وهم غالبية الشعب العراقيّ ـ شأنٌ رفيعٌ خاصٌّ في إحياء ذكرى أربعين الإمام الحسين عليه السلام، فرُغم أنّ مراسم عاشوراء في العراق كانت وما تزال مدرسة لجميع الشعوب المسلمة الناطقة باللّغة العربيّة ـ كما أشرنا في تحقيق «عاشوراء» في العدد الماضي ـ إلّا أنّ وتيرة التفاعل مع أحداث كربلاء ترتفع نوعيّاً إلى أقصى الدرجات مع اقتراب ذكرى أربعين سيّد الشهداء عليه السلام، فيبدأ الموالون بالإستعداد للتوجه مشاة ورُكباناً من جميع أنحاء العراق إلى كربلاء، لتشهد ذكرى زيارة الأربعين أكبر حشد جماهيري عاصف، فإذا للعراق كلّه وجه آخر. وبالتأمّل في مضامين «الردّات» و«الهُوسات» و«اللطميّات» يتّضح كيف أنّ أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام حيّةٌ في قلوب الموالين، وكيف أنّ ذكرى عاشوراء و«الأربعين» بالخصوص، ترفد عزم المؤمنين لمواجهة الظلم، ونصرة المظلوم، والمطالبة بحقوق الفقراء والمستضعفين. ولَئِن تمكّن الطاغية المقبور «صدام» من شلّ هذه المظاهرات المليونيّة الحاشدة والشاملة للعراق كلّه، فإنّه لم يستطع النيل من هذه الروح المحمديّة الموالية لأهل البيت عليهم السلام، وها هي

مشاة إلى كربلاء

ذكرى زيارة الأربعين تعود إلى أفضل ممّا كانت عليه لقرون قبل حكم «البعث» في أواخر الستينات. كان يبلغ أثر الصوت المدوّي من حناجر الشعب العراقي في كربلاء إلى الحدّ الذي يجعل النظام عاجزاً عن أدنى مواجهة. ومن المعروف عن «نوري السعيد» رئيس الوزراء العراقي الشهير أنه قد رُفع إليه خبر ما يجري في كربلاء، في ذكرى الأربعين، وخطورته على النظام، قيل له: «ألا ترى ما يفعل الشيعة في كربلاء؟!»، فأجاب: «إنّهم يحكمون العراق يوماً، وأحكمه ٣٦٤ يوماً!». ولقد فات الداهية نوري السعيد أنّ حكم اليوم الواحد يُمكن أن يؤدّي بالتراكم إلى أن يحكم الشعب العراقي كلّه ٣٦٥ يوماً.

مشهد من «ركضة طواريج»

زيارة الأربعين

المرويّة عن الإمام الصادق عليه السلام

قال العلّامة الحلّي في (منتهى المطلب)، كتاب الزّيارات، بعد الحجّ يُستحبّ زيارة الحسين عليه السلام في العشرين من صفر. وروى الشّيخ الطوسي في (تهذيب الأحكام) و(مصباح المتهجّد) عن صفوان الجمّال قال: قال لي مولاي الصّادق صلوات الله عليه في زيارة الأربعين:

«**تزور عند ارتفاع النّهار وتقول**: أَلسَّلامُ عَلى وَلِيِّ اللهِ وَحَبيبِهِ، أَلسَّلامُ عَلى خَليلِ اللهِ وَنَجيبِهِ، أَلسَّلامُ عَلى صَفِيِّ اللهِ وَابْنِ صَفِيِّهِ، أَلسَّلامُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهيدِ، أَلسَّلامُ على أَسيرِ الْكُرُباتِ وَقَتيلِ الْعَبَراتِ، أَللّهُمَّ إِنّي أَشْهَدُ أَنَّهُ وَلِيُّكَ وَابْنُ وَلِيِّكَ وَصَفِيُّكَ وَابْنُ صَفِيِّكَ الْفائِزُ بِكَرامَتِكَ، أَكْرَمْتَهُ بِالشَّهادَةِ، وَحَبَوْتَهُ بِالسَّعادَةِ، وَاجْتَبَيْتَهُ بِطيبِ الْوِلادَةِ، وَجَعَلْتَهُ سَيِّداً مِنَ السّادَةِ، وَقائِداً مِنَ الْقادَةِ، وَذائِداً مِنَ الذّادَةِ، وَأَعْطَيْتَهُ مَواريثَ الأَنْبِياءِ، وَجَعَلْتَهُ حُجَّةً عَلى خَلْقِكَ مِنَ الأَوْصِياءِ، فَأَعْذَرَ فِي الدُّعاءِ وَمَنَحَ النُّصْحَ، وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فيكَ لِيَسْتَنْقِذَ عِبادَكَ مِنَ الْجَهالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلالَةِ، وَقَدْ تَوازَرَ عَلَيْهِ مَنْ غَرَّتْهُ الدُّنْيا، وَباعَ حَظَّهُ بِالأَرْذَلِ الأَدْنى، وَشَرى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الأَوْكَسِ، وَتَغَطْرَسَ وَتَرَدّى فِي هَواهُ، وَأَسْخَطَكَ وَأَسْخَطَ نَبِيَّكَ، وَأَطاعَ مِنْ عِبادِكَ أَهْلَ الشِّقاقِ وَالنِّفاقِ وَحَمَلَةَ الأَوْزارِ الْمُسْتَوْجِبينَ النّارَ، فَجاهَدَهُمْ فيكَ صابِراً مُحْتَسِباً حَتّى سُفِكَ فِي طاعَتِكَ دَمُهُ وَاسْتُبيحَ حَريمُهُ، اللّهُمَّ فَالْعَنْهُمْ لَعْناً وَبيلاً وَعَذِّبْهُمْ عَذاباً أَليماً، أَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ، أَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ سَيِّدِ الأَوْصِياءِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ أَمينُ اللهِ وَابْنُ أَمينِهِ، عِشْتَ سَعيداً وَمَضَيْتَ حَميداً وَمُتَّ فَقيداً مَظْلُوماً شَهيداً، وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ ما وَعَدَكَ، وَمُهْلِكٌ مَنْ خَذَلَكَ، وَمُعَذِّبٌ مَنْ قَتَلَكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَفَيْتَ بِعَهْدِ اللهِ وَجاهَدْتَ فِي سَبيلِهِ حَتّى أَتاكَ الْيَقينُ، فَلَعَنَ اللهُ مَنْ قَتَلَكَ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ظَلَمَكَ، وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذلِكَ فَرَضِيَتْ بِهِ، أَللّهُمَّ إِنّي أُشْهِدُكَ أَنّي وَلِيٌّ لِمَنْ والاهُ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عاداهُ، بِأَبي أَنْتَ وَأُمّي يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُوراً فِي الأَصْلابِ الشّامِخَةِ وَالأَرْحامِ الْمُطَهَّرَةِ، لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجاهِلِيَّةُ بِأَنْجاسِها وَلَمْ تُلْبِسْكَ الْمُدْلَهِمّاتِ مِنْ ثِيابِها، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ دَعائِمِ الدّينِ وَأَرْكانِ الْمُسْلِمينَ وَمَعْقِلِ الْمُؤْمِنينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الإِمامُ الْبَرُّ التَّقِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الْهادي الْمَهْدِيُّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ وُلْدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوى وَأَعْلامُ الْهُدى وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقى، وَالْحُجَّةُ على أَهْلِ الدُّنْيا، وَأَشْهَدُ أَنّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ وَبِإِيابِكُمْ، مُوقِنٌ بِشَرايِعِ دينِي وَخَواتيمِ عَمَلي، وَقَلْبي لِقَلْبِكُمْ سِلْمٌ وَأَمْرِي لِأَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ، وَنُصْرَتي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتّى يَأْذَنَ اللهُ لَكُمْ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ عَدُوِّكُمْ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَعلى أَرْواحِكُمْ وَأَجْسادِكُمْ وَشاهِدِكُمْ وَغائِبِكُمْ وَظاهِرِكُمْ وَباطِنِكُمْ آمينَ رَبَّ الْعالَمينَ».

المرويّة عن الصحابيّ الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري

عندما وصل جابر إلى كربلاء، اغتسل بماء الفرات، ثم توجّه إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام برفقة الموالي الجليل، عطيّة العوفيّ، فأجهش بالبكاء، ثمّ صاح بصوت عالٍ ثلاث مرّات: يا حُسين، يا حُسين، يا حُسين... ثمّ قال:

«حَبيبٌ لا يُجيبُ حَبيبَهُ، وَأَنّى لَكَ بِالْجَوابِ وَقَدْ شُطِحَتْ أَوْداجُكَ عَلى أَنْباجِكَ، وَفُرِّقَ بَيْنَ رَأْسِكَ وَبَدَنِكَ، فَأَشْهَدُ أَنَّكَ ابْنُ النَّبِيّينَ وَابْنُ سَيِّدِ الْمُؤْمِنينَ وَابْنُ حَليفِ التَّقْوى وَسَليلُ الْهُدى وَخامِسُ أَصْحابِ الْكِساءِ، وَابْنُ سَيِّدِ النُّقَباءِ وَابْنُ فاطِمَةَ سَيِّدَةِ النِّساءِ، وَما لَكَ لا تَكونُ كَذلِكَ وَقَدْ غَذَّتْكَ كَفُّ سَيِّدِ الْمُرْسَلينَ، وَرُبِّيتَ فِي حِجْرِ الْمُتَّقينَ، وَرَضَعْتَ مِنْ ثَدْيِ الإِيمانِ وَفُطِمْتَ بِالإِسْلامِ، فَطِبْتَ حَيّاً وَطِبْتَ مَيْتاً، غَيْرَ أَنَّ قُلوبَ الْمُؤْمِنينَ غَيْرُ طَيِّبَةٍ بِفِراقِكَ، وَلا شاكَّةٍ فِي الْخِيَرَةِ لَكَ، فَعَلَيْكَ سَلامُ اللهِ وَرِضْوانُهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلى ما مَضى عَلَيْهِ أَخوكَ يحيى بْنُ زَكَرِيّا».

ثمّ جال ببصره حول القبر، وقال:

«السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَيَّتُها الأَرْواحُ الَّتي حَلَّتْ بِفِناءِ الْحُسَيْنِ وَأَناخَتْ بِرَحْلِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكاةَ، وَأَمَرْتُمْ بِالْمَعْروفِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَجاهَدْتُمُ الْمُلْحِدينَ، وَعَبَدْتُمُ اللهَ حَتّى أَتاكُمُ الْيَقينُ، وَالَّذي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ نَبِيّاً، لَقَدْ شارَكْناكُمْ فيما دَخَلْتُمْ فيهِ».

فقال له عطيّة العوفي: كيف؟ ولم نهبط وادياً ولم نعلُ جبلاً ولم نضرب بسيف، والقوم قد فُرِّق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأوتمت أولادهم وأُرمِلت الأزواج، فقال له جابر: إِنّي سَمِعْتُ حَبيبي رَسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقولُ: «مَنْ أَحَبَّ قَوْماً كانَ مَعَهُمْ وَمَنْ أَحَبَّ عَمَلَ قَوْمٍ أُشْرِكَ فِي عملهم»، والذي بعث محمّداً بالحقّ نَبِيّاً، إِنَّ نِيَّتي وَنِيَّةَ أَصْحابي على ما مَضى عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَأَصْحابُهُ...

أعمال شهر صفر

شهر صفر، شهرالفجيعة الأعظم لفَقد خير الخلق وسيّد الأنبياء صلّى الله عليه وآله، وهو أيضاً شهر أحزان الرَّسول وأهل البيت عليهم السلام والمؤمنين عبر الأجيال، بشهادة الإمام الحسن عليه السلام، وسبْي بقيّة السيف من أهل البيت عليهم السلام إلى دمشق، ورجوعهم إلى المدينة، ولسان الحال: ومن بقيَ لنا في المدينة؟! وذكرى زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام، وشهادة الإمام الرِّضا عليه السلام.

المراقبات: المعروف أنّ شهر صفر فيه نحوسة لا سيّما يوم أربعائه الآخرة، ولم يرد فيه شيء مخصوص من الروايات، إلاّ أن يكون ذلك لأجل أنّ فيه وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله. وورد عنه صلّى الله عليه وآله: «مَن بشّرني بخروج صفر بشّرتُه بالجنّة». وهذا أمر تحكم به العقول، وإذا صحّ ذلك فللمراقب أن يستقبل هذا الشهر بما يليق به، يجعله من مواسم المصائب الجليلة، ويناجي مع الله جلّ جلاله في ذلك ببثّ الشكوى من غيبته صلى الله عليه وآله وفَقْدِ بركات أنوار حضوره، وما ترتّب على وفاته من فتنِ الأمّة، وطغيان المنافقين، وغَشْمِ الظالمين، وكَيْد المعاندين.

واتّفق في هذا الشهر من الأمور المهمّة المُفجعة، أنّ يوم العشرين منه ذكرى أربعين الإمام الشهيد، عليه سلامُ الله الملك المجيد، ويُحتمل أن يكون دفن رأسه الشريف في هذا الشهر أيضاً.

دعاء لدفع البلاء في صفر

قال المحدِّث القمّي في كتابه «مفاتيح الجنان»: إعلم أنّ هذا الشهر معروف بالنُّحوسة، ولا شيء أجدى لرفع النُّحوسة من الصدقة والأدعية والاستعاذات المأثورة. ورُوي أنّ مَن أراد أن يُصان في هذا الشهر من البلاء، فليقل كلّ يوم عشر مرّات:

«يا شديدَ القُوى ويا شديدَ المحالِ، يا عزيزُ يا عزيزُ يا عزيزُ. ذَلَّت بِعظمتِكَ جميعُ خَلقِكَ، فَاكفِني شرَّ خَلقِكَ يا مُحسِنُ يا مُجْمِلُ يا مُنْعِمُ يا مُفْضِلُ، لا إلهَ إلاّ أنتَ سُبحانَكَ إنّي كُنتُ من الظالمينَ، فَاسْتَجَبْنا لهُ ونَجَّيْناهُ من الغَمِّ وكذلِكَ نُنْجي المُؤمنينَ، وصلَّى اللهُ على مُحمَّدٍ وآلِهِ الطيِّبينَ الطاهرين».

دعاء استهلال صفر

إقبال الأعمال: أللّهمَّ أنت الله العليم الخالق الرازق، وأنت الله القدير المقتدر القادر، أسألك أن تصلّي على محمّد وعلى آل محمّد وأن تعرّفنا بركةَ هذا الشهر ويُمْنَه، وترزُقَنا خيرَه، وتصرِفَ عنّا شرَّه، وتجعلنا فيه من الفائزين يا أرحم الراحمين.

أللّهمَّ صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد، واجعلني أكثرَ العالَمين قَدْراً، وأبسطَهم علماً، وأعزَّهُم عندك مقاماً، وأكرمَهم لديك جاهاً، كما خلقْتَ آدمَ عليه السلام من تراب، ونفخْتَ فيه من رُوحِك، وإذ أسجَدْتَ له ملائكتَك، وعلّمتَه الأسماءَ كلّها، وجعلتَه خليفةً في أرضِك، وسخّرْتَ له ما في السماوات وما في الأرضِ جميعاً مِنْك، وكرّمْتَ ذريّتَه وفضّلتهم على العالمين. أللّهمَّ لك الحمدُ ومِنك النّعماءُ،

ولك الشكرُ دائماً، يا لطيفاً بعباده المؤمنين، يا سميعَ الدُّعاء إرحَم واستجِب، فإنّك تعلمُ ولا أعلمُ، وتقدرُ ولا أقدرُ، وأنت علاّمُ الغيوب، فاجعلْ قلبي وعَزمي وهِمّتي وفْقَ مشيَّتك وأسيرَ أمرك.

أللّهمَّ إنّي لا أقدرُ أن أسألَكَ إلاّ بإذنك، ولا أقدرُ إلاّ أن أسألَكَ بعد إذنك، خوفاً من إعراضك وغضبك، فكُنْ حَسْبي، يا مَنْ هوَ الحَسْبُ والوكيلُ والنَّصيرُ.

أللّهمَّ صلِّ على محمّدٍ وعلى آل محمّدٍ وعلى جميع ملائكتك المقرّبين وأنبيائك المرسَلين وعبادك الصالحين، يا أرحمَ الراحمين، يا جالِيَ الأحزانِ، يا مُوَسِّعَ الضّيقِ، يا مَن هوَ أوْلى بِخلقه من أنفسِهم، ويا فاطِرَ تلك الأنفُسِ أنفُساً، وملهِمَها فُجورَها والتقوى، نزِّل بي يا فارِجَ الهمِّ همّي ضِقْتُ به ذَرْعاً وصَدْراً، حتّى خَشيتُ أن يكونَ عَرضَتْ فتنَةٌ.

يا الله فبذكرِك تطمئنُّ القلوبُ، صلِّ على محمّدٍ وعلى آل محمّدٍ، وقَلِّبْ قلبي من الهُموم إلى الرَّوْح والدَّعة، ولا تشغَلْني عن ذكرِك بتركِكَ ما بي من الهُموم، إنّي إليكَ متضرِّعٌ. أسألك باسمك الذي لا يوصَفُ إلاّ بالمعنى بكتمانكَ في غُيوبك ذي النُّور، وأن تَجْلي بحقِّه أحزاني، وتشرحَ به صدري بكشوطِ الهمِّ يا كريمُ.

مراقبات اليوم الثالث من صفر

إقبال الأعمال: في الثالث منه يُستحبُّ أن يصلّي ركعتين، في الأولى الحمد مرة وإنا فتحنا (سورة الفتح)، وفي الثانية الحمد مرة و(قل هو الله أحد) مرة، فإذا سلّم صلّى على النبيّ وآله مائة مرة، ولعن آل أبي سفيان مائة مرة، واستغفر مائة مرة، وسأل حاجته.

مراقبات اليوم العشرين من صفر

إقبال الأعمال: الإمام الحسن بن عليّ العسكري صلوات الله عليه: «**علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختُّم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرّحمان الرّحيم**».

زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين:

الإمام الصادق عليه السلام في زيارة الأربعين: تزور عند ارتفاع النهار فتقول: «السلامُ على وليِّ اللهِ وحبيبِه، السلامُ على خليلِ اللهِ

ونجيبه، السلامُ على صفيِّ اللهِ وابنِ صَفيِّه، السلامُ على الحُسين المظلوم الشهيد، السلامُ على أسير الكُربات وقتيل العَبرات. أللّهمَّ إنّي أشهدُ أنّه وليُّك وابنُ وليّك، وصفيُّك وابن صفيِّك، الفائزُ بكرامتك، أكرَمْتَهُ بالشهادة، وحَبَوْتَه بالسعادة، واجْتَبَيْتَه بطيب الولادة، وجعلتَهُ سيّداً من السادة، وقائداً من القادة، وذائداً من الذادة، وأعطيْتَه مواريثَ الأنبياء، وجعلْتَهُ حجّةً على خلقك من الأوصياء.

فاَعذرَ في الدعاء، ومَنَحَ النُّصح، وبَذَلَ مُهجتَه فيك ليَسْتنقذَ عبادَكَ من الجَهالة وحَيرة الضلالة، قد تَوازَرَ عليه من غرَّتْهُ الدُّنيا وباعَ حظَّهُ بالأرذلِ الأدْنى، وشَرَى آخرتَه بالثمنِ الأوْكس، وتغطْرَسَ وتَرَدَّى في هَواه، وأسْخَطَكَ وأسخَطَ نبيَّك، وأطاعَ من عبادك أهلَ الشقاق والنِّفاق وحَمَلة الأوزارِ المستوجبينَ النَّار، فجاهدَهُم فيك صابراً محتسِباً، حتّى سُفِكَ في طاعتِكَ دَمُه واستُبيحَ حَريمُهُ، أللّهمّ فالعنهم لعناً كثيراً وَبيلاً، وعذِّبهم عذاباً أليماً.

أنا يا مولاي عبدُ الله وزائرُك جئتُك مشتاقاً، فكُنْ لي شفيعاً إلى الله، يا سيّدي، أستشفعُ إلى الله بجدِّك سيّد النبيّين، وبأبيك سيّد الوصيّين، وبأمِّك سيدة نساء العالمين، السلامُ عليك يا بنَ رسول الله، السلامُ عليكَ يا بنَ أمير المؤمنين سيِّد الأوصياء.

أشهدُ أنكَ أمينُ الله وابنُ أمينه، عِشْتَ سعيداً ومضيْتَ حميداً، ومُتَّ فقيداً مظلوماً شهيداً، وأشهدُ أنَّ اللهَ منجزٌ لك ما وَعدَكَ، ومُهلكٌ مَنْ خَذَلَكَ، ومُعذِّبٌ من قَتَلَكَ، وأشهدُ أنَّكَ وفيْتَ بعهد الله وجاهدْتَ في سبيله، حتّى أتاكَ اليقين، فلعنَ اللهُ مَن قَتَلَك،

ولعنَ اللهُ مَن ظلمَك، ولعنَ اللهُ أمّةً سَمعَتْ بذلك فرضيَت به.

أللّهمّ إني أُشهدُكَ أنّي وليٌّ لِمَنْ والاه، وعدوٌّ لِمَنْ عاداه، بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله، أشهدُ أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرْحام المطَهَّرة، لم تُنجِّسك الجاهليةُ بأنجاسها ولم تُلبسْكَ المدلهمَّات من ثيابها، وأشهدُ أنّك من دعائم الدِّين وأركان المُسلمين ومعقِل المؤمنين، وأشهدُ أنّك الإمامُ البَرُّ التقيُّ الرّضيُّ الزكيُّ الهادي المهديّ، وأشهدُ أنَّ الأئمّة من وُلدِكَ كلمةُ التقوى، وأعلامُ الهُدى، والعرْوَةُ الوثقى، والحجَّةُ على أهلِ الدنيا، وأشهدُ أنّي بكم مؤمنٌ، وبإيابكم موقنٌ بشرائع ديني وخواتيم عملي، وقلبي لقلبكم سِلْمٌ، وأمْري لأمركم متَّبعٌ، ونُصرتي لكم مُعدَّةٌ، حتّى يأذنَ اللهُ لكم، فمعكم معكم لا مع عدُوّكم، صلوات الله عليكم وعلى أرواحكم وأجسادكم وشاهدكم وغائبكم وظاهركم وباطنكم، آمينَ ربَّ العالمين».

ثم تصلّي ركعتين وتدعو بما أحببت، وتنصرف إن شاء الله.

وأمّا زيارة العباس ابن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وزيارة الشهداء مع مولانا الحسين، فتزورهم في هذا اليوم بزياراتهم المنقولة عن الأصفياء.

مراقبات اليوم الثامن والعشرين

المراقبات: يجب أن يكون حاله يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في التأثّر وإظهار العزاء لائقاً لما وقع فيه من هذا الأمر العظيم، وترتّب عليه من الأمور العظام في ما بعد، ويزوره صلى الله عليه وآله ببعض زياراته الواردة، أو ينشئ هو في ذلك زيارة مناسبة بما يفتح الله عليه ويذكر فيها ما قاله صلوات الله عليه وآله من حديثٍ كوْن حياته ومماته خيراً لأمّته، وأن يظهر الحياء ممّا يصله صلى الله عليه وآله من مساءة العلم بسيّئاته.

... ثمّ يزور الإمام الحسن عليه السلام فإنّ شهادته أيضاً في هذا اليوم.

وممّا يُزار به عليه السلام:

«السلامُ عليكَ يا بنَ رسول الله، السلامُ عليكَ يا بنَ نبيِّ الله، السلامُ عليكَ يا بنَ أميرِ المؤمنين، السلامُ عليكَ يا بنَ فاطمةَ الزَّهراء، السلامُ عليكَ يا بنَ خديجةَ الكُبرى، السلامُ عليكَ يا حَبيبَ الله، السلامُ عليكَ يا صَفْوةَ الله، السلامُ عليكَ يا أمينَ الله، السلامُ عليكَ يا حُجَّةَ الله، السلامُ عليكَ يا نورَ الله، السلامُ

عليكَ يا مَحجَّةَ الله، السلامُ عليكَ يا صِراطَ الله، السلامُ عليكَ يا لِسانَ حِكمَةِ الله، السلامُ عليكَ يا ناصِرَ دينِ الله.

السلامُ عليكَ أيُّها السيِّدُ الزَّكيّ، السلامُ عليكَ أيُّها البَرُّ التَّقيّ، السلامُ عليكَ أيُّها القائمُ الأمينُ، السلامُ عليكَ أيُّها العَالِمُ بالتَّنْزيل، السلامُ عليكَ أيُّها العالِمُ بالتَّأْويل، السلامُ عليكَ أيُّها الهادي المَهْديّ، السلامُ عليكَ أيُّها الباهِرُ الخَفِيُّ، السلامُ عليكَ أيُّها الطَّاهِرُ الزَّكيُّ. السلامُ عليكَ أيُّها الشهيدُ الصِّدِّيقُ، السلامُ عليكَ أيُّها الحَقُّ الحَقيقُ، السلامُ عليكَ يا مَوْلايَ يا أبا محمَّدٍ الحَسَنَ بنَ عليّ، ورحمةُ الله وبركاتُه».

اليوم الأخير من صفر

في اليوم الأخير من صفر، سنة ٢٠٣ هـ على رواية، كانت شهادة الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام على يد المأمون العباسي، وكان له عليه السلام من العمر خمس وخمسون سنة.

وزيارة الإمام الرضا عليه السلام في أيّ وقت من أفضل المستحبات، إلا أنّها في شهر رجب أفضل من العمرة الرجبيّة.

نظريّة تفسير القرآن بالقرآن

السيد كمال الحيدري*

حاول جملة من أعلام المفسّرين من الفريقين كالطبري والرازي والشيخ الطبرسي والشيخ الطوسي والعلّامة الطباطبائي أن ينتهجوا طريقاً آخر غير ما سلكه الآخرون، حيث اعتمدوا القرآن نفسه لتفسير القرآن؛ وذلك لما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمّة أهل البيت عليهم السلام من أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً، ويصدّق بعضه بعضاً، وينطق بعضه ببعض.قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ القرآن ليُصدّق بعضه بعضاً فلا تكذّبوا بعضه ببعض». وقال أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام: «وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيى لسانه، وبيت لا تُهدم أركانه، وعزّ لا تهزم أعوانه... كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله».

هنا مقالة تضيء على نظريّة تفسير القرآن بالقرآن للعلّامة و المفكّر الإسلاميّ السيد كمال الحيدري، و هي مستلّة من كتابه «أصول التفسير و التأويل».

«شعائر»

لماذا يجب تفسير القرآن بالقرآن؟

لقد استُدلَّ لهذه النظرية بدليلين:

الدليل الأوّل: لكي يتّضح هذا الدليل لا بدّ من الإشارة إلى عدّة مقدّمات:

الأولى: إنّ القرآن الكريم كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأنّه معجزة النبيّ الخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ قال تعالى: ﴿.. وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصّلت:٤١-٤٢، والباطل نقيض الحقّ كما يقول الراغب في (المفردات)، وهو ما لا ثبات له عند الفحص عنه؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ..﴾ الحجّ:٦٢.

قال الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ..﴾: «وفيه وجوه:

- لا تكذّبه الكتب المتقدّمة كالتوراة والإنجيل والزبور، ولا يجيء كتاب من بعده يكذّبه.
- ما حكمَ القرآن بكونه حقّاً لا يصير باطلاً، وما حكم بكونه باطلاً لا يصير حقّاً.
- معناه أنّه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه، أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، والدليل عليه قوله ﴿.. وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر:٩، فعلى هذا: الباطلُ هو الزيادة والنقصان.
- يُحتمل أن يكون المراد أنّه لا يوجد في المستقبل كتاب يمكن جعله معارضاً له ولم يوجد فيما تقدّم كتاب يصلح جعله معارضاً له». وقال الزمخشري: «هذا مثل كأنّ الباطل لا يتطرّق إليه ولا يجد إليه سبيلاً من جهة من الجهات حتّى يصل إليه ويتعلّق به».

أمّا قوله تعالى في ذيل الآية: ﴿..تنزِيلٌ مِنْ حَكِيم حَمِيد﴾ فهو الدليل على عدم وصول الباطل ـ بأيّ طريقٍ ـ إلى القرآن. فالباطل قد يسري إلى الكلام الذي يصدر من الأفراد ذوي العلم المحدود والقدرات النسبيّة، أمّا الذي يتّصف بالعلم المطلق والحكمة المطلقة ويجمع كلّ الصفات الكماليّة التي تجعله أهلاً للحمد، فلا يطرأ على كلامه البطلان، ولا ينسخ أو ينقض أو تمتدّ إليه يد التحريف، ولا يتناقض كلامه مع الكتب السماويّة والحقائق السابقة، ولا يعارَض بالمكتشفات العلميّة الراهنة أو تلك التي يكشفها المستقبل. والحاصل فإنّ الآية واضحة الدلالة على نفي التحريف عن القرآن، سواء من جهة الزيادة أو النقصان، وهذا ما اتّفقت عليه كلمة المحقّقين من علماء المسلمين.

الثانية: إنّه لا يوجد بين مضامين القرآن الكريم أيّ اختلاف أصلاً. لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ النساء:٨٢. وهذا قياس

* مفكر إسلامي وأستاذ في الحوزة العلميّة بقم

استثنائيّ مؤدّاه: لو كان القرآن من عند غير الله لوُجد فيه اختلاف كثير، وحيث لا يوجد فيه ذلك، فهو من عند الله سبحانه. وجه الملازمة بين المقدّم والتالي أنّ غيره تعالى من الموجودات الواقعة في هذا النشأة، كلّها قائمة على أساس التحرّك والتكامل، وهذا قانون عام يجري في الإنسان أيضاً، فلا ترى واحداً من هذه الموجودات يبقى آنَيْن متواليين على حال واحد، بل لا يزال يختلف من حال إلى حال. أمّا دليل بطلان التالي وهو عدم وجود الاختلاف فيه فهو مستبطن في المقدّمة الأولى؛ إذ لو وجد الاختلاف لكان متضمّناً للباطل، والمفروض أنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والحاصل المستفاد من هذه الآية المباركة أمور:

١. إنّ القرآن ممّا يناله الفهم العادي. فلو لم يكن كذلك لما أمر سبحانه وتعالى الناس بالتدبّر والتأمّل فيه لمعرفة الحقّ، وإنّ التأمّل فيه يهدي صاحبه إلى كون القرآن من عند الله تعالى العليم بمصالح عباده الذي يهديهم بما يصلح أمرهم.

٢. إنّ القرآن الكريم كامل مكمّل من جميع الجهات، لا يقبل الاختلاف ولا التغيير ولا التحوّل والنسخ ولا الإبطال ولا التهذيب ولا التكميل، فلا حاكم عليه أبداً؛ لأنّ ذلك كلّه من شؤون الاختلاف. فإذا كان منفيّاً عنه بالكلّية، فلا يقبل القرآن أيّاً منها، ولازم ذلك أنّ الشريعة الإسلاميّة مستمرّة إلى يوم القيامة.

٣. إنّ هذا الكتاب لمّا كان كاملاً من كلّ جهة، لابدّ أن يكون نازلاً من عند الكامل المستجمِع لجميع صفات الكمال الذي لا يُتصوّر النقص فيه أبداً، وليس هو إلاّ الله سبحانه، لأنّ غيره تعالى سواء كان إنساناً أو ملكاً أو أيّ مخلوق آخر، قرين النقص والاختلاف، فلا يمكن أن يصدر منه ما ليس فيه اختلاف، وإنّ الكمال مهما بلغ من الشأن في المخلوق فهو محدود، والقرآن بعجائبه وغرائبه غير محدود، فهو المعجزة الخالدة، لذا عبّر عنه سيّد المرسلين ﷺ بقوله: «لا تُحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه».

الثالثة: مضافاً إلى ما ثبت من أنّ القرآن كتاب لا يأتيه الباطل وأنّه لم يقع فيه الاختلاف، هناك خصوصيّة ثالثة وهي أنّ آياته متشابهة، والتشابه هو توافق أشياء مختلفة واتّحادها في بعض الأوصاف والكيفيّات، وقد وصف الله سبحانه جميع القرآن بهذا الوصف حيث قال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ..﴾ الزمر:٢٣، والمراد كون آيات الكتاب ذات نَسَق واحد من حيث جزالة النظم، وإتقان الأسلوب، وبيان الحقائق والحكم، والهداية إلى صريح الحقّ، كما تدلّ عليه القيود المأخوذة في الآية. وهذا غير التشابه الذي في المتشابَه المقابل للمُحكَم، فإنّه صفة بعض آيات الكتاب وهذا صفة للجميع.

وقوله: ﴿مثاني﴾ جمع مثنية بمعنى المعطوف؛ لانعطاف بعض آياته على بعض ورجوعه إليه بتبيين بعضها وتفسير بعضها لبعض، من غير اختلاف فيها بحيث يدفع بعضه بعضاً ويناقضه.

قال الرازي في ذيل هذه الآية: «إنّ كلّ ما فيه من الآيات والبيانات فإنّه يقوّي بعضها بعضاً ويؤكّد بعضها بعضاً».

ممّا تقدّم اتّضح أنّ القرآن كتاب:

- **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.**
- **لا اختلاف بين مضامينه أبداً.**
- **متشابه مثاني.**

وكتاب له مثل هذه الخصوصيات لا يمكن إلاّ أن يكون مفسِّراً لنفسه ومبيّناً لمعارفه دون حاجة إلى الغير، إذ لو احتاج إلى الغير للزم أن لا يكون التدبّر فيه موصلاً إلى أنّ هذا الكتاب منه تعالى. وهذا خلاف ما دلّ عليه قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ...﴾ محمد:٢٤، ولزم أن لا يكون القرآن أحسن الحديث يهدي به الله من يشاء من عباده إلاّ بمعونة الغير، والمفروض أنّه هو الدليل على صحّة نبوّة النبيّ الأكرم ﷺ.

الدليل الثاني: إنّ القرآن وصف نفسه بأنّه نور وأنّه هدىً وأنّه تبيان، فكيف يتصوّر كتاب له مثل هذه الأوصاف مفتقراً إلى هادٍ غيره ومستنيراً بنور غيره ومبيِّناً بأمر غيره؟

قال العلامة الطباطبائي في تفسيره: «إنّ الطريق لفهم القرآن يمرّ من خلال منهجين:

أحدهما: أن نبحث بحثاً علمياً أو فلسفياً أو غير ذلك عن مسألة من المسائل التي تتعرّض لها الآية حتّى نقف على الحقّ في المسألة ثمّ نأتي بالآية ونحملها عليه. وهذه طريقة يرتضيها البحث النظريّ، غير أنّ القرآن لا يرتضيها.

ثانيهما: أن نفسّر القرآن بالقرآن ونستوضح معنى الآية من نظيرتها بالتدبّر المندوب إليه في القرآن نفسه، ونشخّص المصاديق ونتعرّفها بالخواصّ التي تعطيها الآيات كما قال تعالى: ﴿..وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ..﴾ النحل:٨٩.

وحاشا أن يكون القرآن تبياناً لكلّ شيء ولا يكون تبياناً لنفسه، وقال تعالى: ﴿..هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ..﴾ البقرة:١٨٥، وقال تعالى: ﴿.. قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ المائدة:١٥، وكيف يكون القرآن هدى وتبياناً وفرقاناً

ونوراً مبيناً للناس في جميع ما يحتاجون ولا يكفيهم في احتياجهم إليه وهو أشدّ الاحتياج؟! وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ..﴾ العنكبوت:٦٩، وأيّ جهاد أعظم من بذل الجهد في فهم كتابه؟! وأيّ سبيل أهدى إليه من القرآن؟!

ثمّ إنّ النبيّ ﷺ الذي علّمه القرآن وجعله معلّماً لكتابه كما يقول تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ ..﴾ الشعراء:١٩٣ـ١٩٤، ويقول: ﴿.. وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ..﴾ النحل:٤٤ و﴿.. يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ..﴾ آل عمران:١٦٤، وعترته أهل بيته ـ الذين أقامهم النبيّ ﷺ هذا المقام ـ في الحديث المتّفق عليه بين الفريقين: (إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض)، وصدّقه الله تعالى في علمهم بالقرآن حيث قال عزّ من قائل: ﴿..إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ﴾ الأحزاب:٣٣، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ الواقعة ٧٧ ـ ٧٩، وقد كانت طريقتهم في التعليم والتفسير هذه الطريقة بعينها على ما وصل إلينا من أخبارهم في التفسير. هذا هو الطريق المستقيم والصراط السويّ الذي سلكه معلّمو القرآن وهداته صلوات الله عليهم».

نماذج تطبيقية

١- إنّ عمر بن الخطّاب أُتي بامرأة وضعت لستّة أشهر فهمّ برجمها، فبلغ ذلك عليّاً فقال: ليس عليها رجم. فبلغ ذلك عمر فأرسل إليه يسأله، فقال علي عليه السلام: ﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ..﴾ البقرة:٢٣٣، وقال: ﴿.. وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا ..﴾ الأحقاف:١٥، فستّة أشهر حمله، وحولان تمام الرضاعة، لا حدّ عليها ولا رجم عليها. قال: فخلّى عنها.

٢- عن زُرقان (لعلّه محمّد بن عبد الله بن سفيان المعروف بزرقان الزيّات) صاحب ابن أبي داود قال: «رجع ابن أبي داود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتمّ، فقلت له في ذلك، فقال: وددتُ اليوم أنّي قد متُّ منذ عشرين سنة. قال: قلت له: ولِمَ ذاك؟ قال: لِما كان من أبي جعفر محمّد بن علي بن موسى اليوم بين يدي أمير المؤمنين المعتصم. قال: قلتُ له: وكيف كان ذلك؟ قال: إنّ سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وقد أحضر محمّد بن علي، فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يُقطع؟ قال: فقلتُ من: الكُرسوع (وهو طرف الزند الذي يلي الخنصر). قال: وما الحجّة في ذلك؟ قال: قلت: لأنّ اليد هي الأصابع والكفّ إلى الكرسوع؛ لقول الله تعالى في التيمّم: ﴿..فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡ ..﴾ النساء:٤٣، واتّفق معي على ذلك قوم. وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق. قال: وما الدليل على ذلك؟ قالوا: لأنّ الله لمّا قال: ﴿.. وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ..﴾المائدة:٦ في الغَسل، دلّ ذلك على أنّ حدّ اليد هو المرفق. قال: فالتفت إلى محمّد بن عليّ، فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟ فقال: قد تكلّم القوم فيه. قال: دعني ممّا تكلّموا به، أيّ شيء عندك؟ قال: إعفني عن هذا. قال: أقسمت عليك بالله لمّا أخبرت بما عندك فيه. فقال: أمّا إذا أقسمت عليَّ بالله إنّي أقول إنّهم أخطأوا فيه السُنّة، فإنّ القطع يجب أن يكون من مَفصل أُصول الأصابع، فيُترك الكفّ. قال: وما الحجّة في ذلك؟ قال: قول رسول الله ﷺ: (السجود على سبعة أعضاء: الوجه، واليدين، والركبتين، والرجلين) فإذا قطعت يده من الكُرسوع أو المرفق لم يبقَ له يدٌ يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ..﴾ الجن:١٨، يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ﴿..فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ الجن:١٨، وما كان لله لم يُقطع. قال: فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكفّ. قال ابن أبي داود: قامت قيامتي وتمنّيتُ أنّي لم أكُ حيّاً».

٣- عن زرارة ومحمّد بن مسلم أنّهما قالا: «قلنا لأبي جعفر الباقر عليه السلام: ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي؟ وكم هي؟ فقال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ..﴾ النساء:١٠١، فصار التقصير في السفر واجباً كوجوب التمام في الحضر. قالا: قلنا له: إنّما قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾ ولم يقل: افعلوا، فكيف أوجب ذلك؟ فقال عليه السلام: أوليس قد قال الله عزّ وجلّ في الصفا والمروة: ﴿.. فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ..﴾ البقرة:١٥٨، ألا ترون أنّ الطواف بهما واجبٌ مفروض لأنّ الله عزّ وجلّ ذكره في كتابه وصنعه نبيّه ﷺ، وكذلك التقصير في السفر شيء صنعه النبيّ ﷺ وذكره [الله] في كتابه».

موجز في التعريف بالسور

سورة الأنفال

سورةُ الأنفال مدنيّة، إلا سبعُ آيات نزلت في مكّة، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ..﴾ الأنفال:٣٠، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ..﴾ الأنفال:٣٦. والسورة خمسٌ وسبعون آية، وألف وخمس وتسعون كلمة، وخمسة آلاف وثمانون حرفاً. ما يلي إطلالةٌ على بعض ما ورد في التفاسير ومصنّفات الحديث حول هذه السورة المباركة أو آياتٍ منها.

«تفسير نور الثقلين»:

١ – في (تفسير العياشي): عن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَن قرأ براءة والأنفال في كلّ شهر لم يدخله نفاق أبداً، وكان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام حقاً، ويأكل يوم القيامة من موائد الجنة مع شيعته حتى يفرغ الناس من الحساب**».

٢ – في كتاب (ثواب الأعمال) بإسناده إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**من قرأ سورة الأنفال وسورة براءة في كلّ شهر لم يدخله النفاق أبداً، وكان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام**».

٣ – في (مجمع البيان): عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيعٌ له وشاهدٌ يوم القيامة أنّه بريءٌ من النفاق، وأُعطيَ من الأجر بعدد كلّ منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات، ومُحِيَ عنه عشر سيئات، ورُفِعَ له عشر درجات، وكان العرش وحَمَلَتُه يُصلّون عليه أيام حياته في الدنيا**».

٤ – في (أصول الكافي) "..." عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**الأنفال ما لم يُوجَف عليه بِخَيْلٍ ولا ركاب، أو قوم صالحوا، أو قوم أعطوا بأيديهم، وكلّ أرض خَرِبة وبطون الأوديّة، فهو لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهو للإمام من بعده يضعه حيث يشاء**».

٥ – عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**نحن قومٌ فَرَضَ الله طاعتنا، لنا الأنفالُ ولنا صفوُ المال**».

«الميزان في تفسير القرآن»:

سياق الآيات في السورة يعطي أنها مدنيّة نزلت بعد وقعة بدر، وهي تقصّ بعض أخبار بدر، وتذكر مسائل متفرّقة تتعلّق بالجهاد والغنائم والأنفال ونحوها، وأموراً أخرى تتعلّق بالهجرة، وبها تُختَتم السورة.

«الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزَل»:

في الآيات الخمس والسبعين التي تتكوّن منها سورة الأنفال أُثيرت مباحث مهمّة جداً، ففي مستهلّها إشارة إلى قسم مهمّ من المسائل الماليّة من جملتها الأنفال والغنائم التي يُعدّ كلٌّ منها دعامة لبيت المال. كما تضمّنت هذه السورة مباحث أخرى منها: صفاتُ المؤمنين الصادقين وما يمتازون به، قصةُ معركة بدر (وهي أول مواجهة مسلّحة بين المسلمين وأعدائهم، وما تضمّنت من أحداث عجيبة تُلهم العِبَر)، بعضُ أحكام الجهاد ووظائف المسلمين إزاء هجوم العدوّ المتواصل، ما جرى للنبيّ صلى الله عليه وآله في ليلته التاريخيّة "ليلة المبيت"، حالُ المشركين وخرافاتهم قبل الإسلام، ضعفُ المسلمين وعجزهم بادئ الأمر ثم تقويتهم ببركة الإسلام، حُكمُ الخُمس وكيفيّة تقسيمه، وجوبُ الاستعداد "العسكريّ والسياسيّ والاجتماعيّ" للجهاد في كلّ زمان ومكان، رَجحانُ قوى المسلمين المعنوية على عدوّهم بالرغم من قلّة عددهم ظاهراً، حكمُ أسرى الحرب وكيفيّة معاملتهم، المهاجرون والذين لم يهاجروا، مواجهةُ المنافقين وطريقة التعرّف عليهم. وأخيراً نجد في هذه السورة سلسلة مسائل أخرى أخلاقيّة واجتماعيّة بنّاءة. فلا غرابة أن نقرأ بعض الروايات الواردة في شأن هذه السورة وفضيلتها، كالرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من قرأ سورة الأنفال وبراءة في كلّ شهر لم يدخله نفاقٌ أبداً، وكان من شيعة أمير المؤمنين حقّاً، ويأكل يوم القيامة من موائد الجنة معهم حتى يفرغ الناس من الحساب**».

***

أجواء هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله

الآية الثلاثون من سورة الأنفال عن أجواء هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله كما يلي: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ الانفال:٣٠.

* قال الشيخ الأميني في (الغدير): قال أبو جعفر الإسكافي كما في (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد: حديثُ الفراش قد ثبت

بالتواتر فلا يجحدُه إلا مجنونٌ أو غيرُ مخالطٍ لأهل الملّة، وقد روى المفسّرون كلّهم: إنّ قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ..﴾البقرة:٢٠٧، نزلت في عليّ ليلة المبيت على الفراش. وروى الثعلبي في تفسيره: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا أراد الهجرة إلى المدينة، خلف عليّ بن أبي طالب بمكة لقضاء ديونه وأداء الودايع التي كانت عنده، وأمرَه ـ ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار ـ أن ينام على فراشه وقال له: اتّشِحْ ببُردي الحضرميّ الأخضر، ونَمْ على فراشي، فإنّه لا يصل منهم إليك مكروه إن شاء الله تعالى. ففعل ذلك عليّ عليه السلام، فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل: «إني آخيتُ بينكما وجعلت عُمْرَ أحدكما أطول من الآخر، فأيّكما يُؤثِرُ صاحبه بالحياة؟»، فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله تعالى إليهما: «أفلا كنتما مثلَ عليّ بن أبي طالب؟ آخيتُ بينه وبين محمّد، فبات على فراشه يفديه بنفسه ويُؤثره بالحياة، إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه». فنزلا، فكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رِجليه، وجبرئيل ينادي: بَخٍ بَخٍ، مَن مثلُك يا عليّ؟ يُباهي الله تبارك وتعالى بك الملائكة. فأنزل الله على رسوله وهو مُتوجِّهٌ إلى المدينة في شأن عليّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ..﴾.

«قال ابن عباس: أنشدني أمير المؤمنين شعراً قاله في تلك الليلة:

وقيتُ بنفسي خيرَ من وطئ الحصا ... وأكْرَمَ خلقٍ طافَ بالبيتِ والحجْرِ
وبتُّ أراعي منهم ما يسوءني ... وقد صَبَرَتْ نفسي على القتل والأسرِ
وبات رسولُ الله في الغار آمناً ... وما زال في حفظ الإله وفي الستر».

تربة الحسين عليه السلام ودعاء «ليلة المَبيت»

عمل للأمن من الخوف يجمع بين دعاء أمير المؤمنين ليلة المبيت و بين تربة الإمام الحسين عليه السلام

ليلة هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله، دعا عليٌّ عليه السلام بدعاء يُعرف بـ «دعاء ليلة المبيت»، وهو مرويٌّ عن الإمام الصادق عليه السلام في بيان عملٍ للأمن من الخوف، واللافت في هذا العمل، أنّه يجمع بين دعاء مرتبط بسلامة رسول الله صلى الله عليه وآله وبين تربة الإمام الحسين عليه السلام، المرتبطة بسلامة الإسلام من التحريف وسلامة الأجيال من الضلال، وتُقدِّمُ الرواية عن الصادق عليه السلام هذا العمل الجامع بين سرّين كعلاجٍ للأمن من كلّ خوف. وإليك نصّ الرواية: لمّا ورد الإمام الصادق عليه السلام إلى العراق، اجتمع إليه الناس، فقالوا: يا مولانا، تربة قبر مولانا الحسين شفاءٌ من كلّ داء، وهل هي أمانٌ من كلّ خوف؟ فقال عليه السلام: «**نعم، إذا أراد أحدكم أن تكون أماناً من كلّ خوف، فليأخذ السبحة من تربته، ويدعو دعاء ليلة المبيت على الفراش ثلاث مرّات، وهو**: (أَمْسَيْتُ اللّٰهُمَّ مُعْتَصِماً بِذِمامِكَ المَنيعِ الَّذي لا يُطاوَلُ وَلا يُحاوَلُ، مِنْ شَرِّ كُلِّ غاشِمٍ وَطارِقٍ، مِنْ سائِرِ مَنْ خَلَقْتَ وَما خَلَقْتَ مِنْ خَلْقِكَ الصّامِتِ وَالنّاطِقِ، فِي جُنَّةٍ مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ بِلِباسِ سابِغَةِ حَصينَةٍ، وَلاءِ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ عليهم السلام، مُحْتَجِباً مِنْ كُلِّ قاصِدٍ لِي إِلى أَذِيَّةٍ بِجِدارِ حَصينِ الإِخْلاصِ فِي الإِعْتِرافِ بِحَقِّهِمْ وَالتَّمَسُّكِ بِحَبْلِهِمْ، مُوقِناً أَنَّ الحَقَّ لَهُمْ وَمَعَهُمْ وَمِنْهُمْ وَفِيهِمْ وَبِهِمْ، أُوالِي مَنْ وَالَوا وَأُجانِبُ مَنْ جانَبُوا، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَعِذْنِي اللّٰهُمَّ بِهِمْ مِنْ شَرِّ كُلِّ ما أَتَّقِيهِ، يا عَظِيمُ حَجَزْتَ الأَعادِي عَنِّي بِبَدِيعِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ، ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾)، **ثمّ يقبّل السبحة ويضعها على عينيه، ويقول**:

(اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هذِهِ التُّرْبَةِ المُبارَكَةِ، وَبِحَقِّ صاحِبِها، وَبِحَقِّ جَدِّهِ وَأَبِيهِ، وَبِحَقِّ أُمِّهِ وَأَخِيهِ، وَبِحَقِّ وُلْدِهِ الطّاهِرِينَ، اجْعَلْها شِفاءً مِنْ كُلِّ داءٍ، وَأَماناً مِنْ كُلِّ خَوْفٍ، وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ سُوءٍ).

ثمّ يضعها في جيبه، فإنْ فعل ذلك في الغَداة فلا يزال في أمانٍ حتى العشاء، وإنْ فعل ذلك في العشاء فلا يزال في أمان الله حتى الغداة».

تنبيه: [عند قراءة الدعاء في الصباح، تقول: (أصبحتُ اللّهمّ.. الخ)، وعند حمل السُبحة تُراعى حرمتُها حقّ الرعاية، لخطورة التساهل بتربة سيّد الشهداء عليه السلام].

وبعدما أورد السيد ابن طاوس هذه الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام في كتابه (فلاح السائل) قال عليه الرحمة: وتقول أيضاً: «أللّهمّ ما قَصُرَتْ عنه مسألتي، وعَجزَتْ عنه قُوَّتي، ولم تَبْلُغْهُ فِطْنَتي، [و] تعلمُ فيه صلاح أمر آخرتي ودنياي، فصلِّ على محمّد وآل محمّد، وافعله بي بـ لا إله إلاّ أنت، بحقِّ لا إله إلا أنت، برحمتك في عافية، سبحان الله ربِّ العزّة عمّا يَصِفون، وسلامٌ على المُرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين».

من دروس المركز الإسلامي

مناسبات شهر صفر

على كلّ مؤمن أن يتعامل مع شهر صفر بما يتناسب مع المناسبات الأليمة التي وقعت فيه، وأعظمها على البشريّة عبر الأجيال، الفجيعة الأعظم بفقد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يمكن تحقيق ذلك إلاّ بتخليص المؤمن نفسه من الرواسب الأمويّة، التي ظلّت آثارها حاضرة بأشكالٍ مختلفة، لأنّ الطواغيت الذين أداروا دفّة الحُكم بعد الأمويّين، كانوا يشاركونهم هدف "قريش" الأوّل، وهو الحُكم باسم رسول الله صلى الله عليه وآله من دون الالتزام بما جاء به من عند الله، ومَنع أهل البيت عليهم السلام من تسلّم الحُكم. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ولولا أنّ قريشاً جعلت اسمه ذريعة إلى الرِّياسة، وسُلّماً إلى العزّ والإمرة، لما عَبَدَت الله بعد موته يوماً واحداً..».

وقد عملت الإمبراطوريّة الأمويّة على نشر ثقافة أنّ محرّم وصفر موسم فرح وسرور. وقد حَمَلَ الأمويّين على ذلك حقد قريش و"دار الندوة" على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أهل البيت عليهم السلام، فقد واصل آل أبي سفيان، وبالاستقواء بالخارج، الخُطط القرشيّة نفسها التي كان يقودها أبو سفيان، إلاّ أنّها كانت هذه المرّة تُنفَّذ عبر التظاهر بالإسلام. والشعارُ دائماً هو ما رفعه معاوية مع مَن طالبه بتخفيف الوطأة في التنكيل بأهل البيت: لا والله، إلاّ دَفْناً دَفْنا!!

أبرز أيّام الله في صفر

- وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله سنة ١١ للهجرة.
- شهادة الإمام الحسن عليه السلام سنة ٥٠ للهجرة.
- ذكرى أربعين الإمام الحسين عليه السلام.
- رجوع بقيّة السيف من أهل البيت عليهم السلام من رحلة السبي من كربلاء إلى الكوفة، ثمّ إلى الشام.

ما يلي استعراض يوميّات صفر. ثمّ وقفة على الأعتاب المحمّديّة في ذكرى الفجيعة الأعظم بفَقْد سيّد النبيّين صلى الله عليه وآله، تليها وقفة عند "يوم الزِّينة الفرعونيّ في الشام" في الأوّل من صفر.

يوميّات شهر صفر

اليوم الأوّل

* دخول "السبايا" من أهل البيت، ورؤوس الشهداء إلى الشام سنة ٦١ للهجرة.

كان بينهم: الإمام السجّاد عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وزينب بنت عليّ بن أبي طالب، والإمام الباقر، محمد بن عليّ بن الحسين بن أبي طالب في حوالي الرابعة من عمره.

* ينقل السيد محسن الأمين في (أعيان الشيعة) الأبيات التالية من قصيدة للشيخ حسن ابن الشيخ عبد الحسين صادق (١٣٠٥ - ١٣٨٧ هـ). يقول رحمه الله:

الامام المظلوم

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَابْنَ رَسُولِ
رَبِّ الْعالَمينَ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ
يَابْنَ اَمير الْمُؤْمِنينَ اَلسَّلامُ
عَلَيْكَ يَابْنَ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ
اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا حَبيبَ اللهِ
اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا صِفْوَةَ اللهِ
اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا اَمينَ اللهِ

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا حُجَّةَ اللهِ
اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا نُورَ اللهِ
اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا صِراطَ اللهِ
اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا بَيانَ حُكْمِ
اللهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا ناصِرَ
دينِ اللهِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ
اَيُّهَا السَّيِّدُ الزَّكِيُّ

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الْبَرُّ الْوَفِيُّ
اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الْقائِمُ
الْاَمينُ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا
الْعالِمُ بِالتَّاْويلِ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ
اَيُّهَا الْهادِي الْمَهْدِيُّ اَلسَّلامُ
عَلَيْكَ اَيُّهَا الطَّاهِرُ الزَّكِيُّ

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا التَّقِيُّ
النَّقِيُّ السَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا
الْحَقُّ الْحَقيقُ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ
اَيُّهَا الشَّهيدُ الصِّدّيقُ اَلسَّلامُ
عَلَيْكَ يا اَبا مُحَمَّد الْحَسَنَ
بْنَ عَلِيٍّ وَ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ

يا آل بيت محمّد أنا عبدكم ... قرّت بذلك إنْ قُبِلْتُ عيوني
بل عبد عبدكم وكلّ مشايع ... لكَم تولاّكم ولاء يقينِ
إنّي فُطِرت على محبّتكم وقد ... شابت بحمد الله فيه قروني
ما إن ذكرتُ مصابَكم وذكرتُ تنـ ... ـعابَ الغراب على ربى جيرونِ
وترنّمَ الطاغي يزيد وقولَه ... فلقد قضيتُ من النبيّ ديوني
إلاّ تخبّطني الأسى وتقرّحت ... منّي العيونُ وجُنّ فيه جنوني
أَتَعاقُبُ الأيام تنسيني وقوف ... عقائل للوحي بين يدي أخسّ لعينِ
حسرى كما شاء العدوّ قد ارتدت ... ثوب المذلّة ضافياً والهُونِ؟

***

حرب صِفّين سنة ٣٧ للهجرة

ما بين أعالي العراق وبلاد الشام تقع صِفّين، تلك البلدة التي خلّدها التاريخ، وخلّدت هي تاريخاً ظاهراً في حياة الأمّة العربيّة والخلافة الإسلاميّة، وألوان المذاهب الدينيّة والسياسيّة التي ولّدتها حرب صِفّين، ونشرت أطيافها في ربوع الدولة الإسلاميّة. تلك الحرب التي استنفدت من تاريخ الدم المهراق مائة يوم وعشرة أيام، بلغت فيها الوقائع تسعين وقعة في ما يذكر المؤرّخون. كانت حرباً ضروساً أوشكت أن تفني المسلمين.

(من مقدمة كتاب وقعة صفّين).

موقع صفّين بين الكوفة ودمشق

و"صِفّين: بكسرتين وتشديد الفاء، ".." وهو موضع بقرب الرَّقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربيّ بين الرَّقة وبالس، وكانت وقعة صِفّين بين عليّ عليه السلام ومعاوية في سنة ٣٧ هـ في غرّة صفر، واختُلف في عدّة أصحاب كلّ واحد من الفريقين، فقيل: كان معاوية في مائة وعشرين ألفاً وكان عليّ في تسعين ألفاً، وقيل: كان عليّ في مائة وعشرين ألفاً ومعاوية في تسعين ألفاً، وهذا أصح. وقُتل في الحرب بينهما سبعون ألفاً، منهم من أصحاب عليّ خمسة وعشرون ألفاً ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً، وقُتل مع عليّ خمسة وعشرون صحابيّاً بدْريّاً، وكانت مدّة المقام بصِفّين مائة يوم وعشرة أيام، وكانت الوقائع تسعين وقعة، وقد أكثرت الشعراء من وصف صِفّين في أشعارهم ..".

(الحموي، معجم البلدان)

وقال الحموي في مكان آخر: حَبيس: بالفتح ثم الكسر، وياء ساكنة، وسين مُهملة: موضع بالرّقة فيه قبور قوم شهداء مِمّن شهد صِفّين مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وفي كتاب (وقعة صِفّين) لنصر بن مزاحم المنقري (ت:٢١٢) ـ وهو أبرز ما كُتب حول وقعة صِفّين ـ يقول المنقري:

"وأُصيب بصِفّين من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً، وأُصيب بها من أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً".

شهادة زيد بن علي سنة ١٢١ للهجرة

* عن الإمام الرضا عن أبيه الإمام الكاظم عليه السلام، أنّه سمع أباه جعفر بن محمّد عليه السلام يقول: «**رَحِم الله عمّي زيداً أنّه دعا إلى الرضا من آل محمّد، ولو ظفر لَوَفى بما دعا إليه. ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عمّ، إن رضيتَ أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك. فلمّا ولّى قال جعفر بن محمّد عليه السلام: وَيْلٌ لِمن سمع واعيتَه فلم يُجبه**».

فقال المأمون: يا أبا الحسن، أليس قد جاء فيمن ادّعى الإمامة بغير حقّها ما جاء؟ فقال الرضا عليه السلام: «**إنّ زيد بن عليّ عليه السلام لم يدّع ما ليس له بحقّ، وإنّه كان أَتقى لله من ذاك. إنّه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمّد. وإنّما جاء ما جاء فيمن يدّعي أنّ الله نصّ عليه، ثمّ يدعو إلى غير دين الله ويضلّ عن سبيله بغير عِلم. وكان زيْد والله مِمّن خوطب بهذه الآية: ﴿وجاهدوا في الله حقّ جهاده، هو اجتباكم..﴾**».

* قال المرجع الدينيّ الشيخ السبحاني: "الزيديّة، وهم أتباع زيْد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عدلوا عن إمامة الإمام الباقر عليه السلام إلى إمامة أخيه زَيْد، وهم ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة سلام الله عليها ولم يجوّزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلاّ أنّهم جوّزوا أن يكون كلّ فاطميٍّ عالمٍ شجاعٍ سخيٍّ خرج بالإمامة، إماماً واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن أم من أولاد الحسين عليهما السلام، ولمّا قُتل زيدُ بن عليّ وصُلب سنة ١٢١ هـ، قام بالإمامة بعده يحيى بن زيْد، ومضى إلى خراسان واجتمعت عليه جماعة كثيرة، وقد وصل إليه الخبر من الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام بأنّه يُقتل كما قُتل أبوه ويُصلب كما صُلب أبوه.

فجرى عليه الأمر كما أُخبر في سنة ١٢٦هـ، وقد فوّض الأمر بعده إلى محمّد وإبراهيم اللذين خرجا بالمدينة، ومضى إبراهيم إلى البصرة واجتمع الناس عليه وقُتل أيضاً. فزيْد بن عليّ قُتل بكناسة الكوفة، قتله هشام بن عبد الملك، ويحيى بن زيْد قُتل بجوزجان خراسان، قتله أميرها، ومحمّد الإمام قُتل بالمدينة، قتله عيسى بن ماهان، وإبراهيم الإمام قُتل بالبصرة، أمر بقتله المنصور. والزيديّة أصناف ثلاثة: الجارودية، والسليمانيّة، والبتريّة. والصالحيّة منهم والبتريّة على مذهب واحد. والجارودية: أصحاب أبي الجارود زياد بن المنذر ..".

اليوم السابع

* شهادة الإمام الحسن عليه السلام سنة ٥٠ للهجرة.

"اللّهمّ صلِّ على الحسن بن عليّ إمام المسلمين ووالِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وضاعف العذاب على مَن ظلمه".

(أنظر الملف من هذا العدد).

ولادة الإمام الكاظم عليه السلام سنة ١٢٨ للهجرة.

* "اللّهمّ صلِّ على موسى بن جعفر، إمام المسلمين، ووالِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وضاعف العذاب على مَن ظلمه، وشَرِكَ في دمه".

* باب الحوائج إلى الله تعالى، وسابع الأئمّة الإثني عشر، "كلّهم تُجمع عليهم الأمّة" و"كلّهم من قريش"، ورابع الأئمّة من ذريّة الحسين "المعوَّض من شهادته بأنّ الأئمّة من عترته أو ذريّته".

به حَفظ الله تعالى الذكر في مرحلة هي من أشدّ مراحل تاريخ الإسلام حساسيّة من حيث سِعة الانتشار، وترامي أطراف الدولة الإسلاميّة، وتعقيد المشهد الثقافيّ- العقديّ، في زمن "هارون" المُسمّى بـ"الرشيد".

* أمضى الإمام الكاظم عليه السلام حوالي أربعة عشر عاماً في سجون الطاغية العباسيّ، الذي كان يعلم عِلم اليقين بمنزلة أهل البيت عليهم السلام، والإمام الكاظم بالخصوص، إلاّ أنّ "المُلك عقيم"، كما قال لابنه المأمون: "لو نازعْتَني فيه لأخذت الذي فيه عيناك".

اليوم الثامن

* وفاة الصحابي سلمان الفارسيّ في المدائن سنة ٣٥ للهجرة.

اليوم التاسع

* شهادة الصحابي عمّار بن ياسر في صِفّين سنة ٣٧ للهجرة.
* معركة النهروان سنة ٣٨ للهجرة.

اليوم السابع عشر

* شهادة الإمام الرضا عليه السلام سنة ٢٠٣ للهجرة.

اليوم العشرون

* يوم أربعين سيد الشهداء عليه السلام . (أنظر تحقيق هذا العدد)
* وصول موكب السبايا إلى المدينة المنوَّرة سنة ٦١ للهجرة (على رواية).

اليوم الخامس والعشرون

* وفاة السيدة مريم بنت عمران عليهما السلام (على رواية).

اليوم السادس والعشرون

* شهادة النبيّ يحيى بن زكريا عليهما السلام (على رواية).

اليوم الثامن والعشرون

* وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله سنة ١١ للهجرة.
* قال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: «**ولولا أنّ قريشاً جعلت اسمه ذريعة إلى الرياسة، وسُلّماً إلى العزّ والإمرة، لما عَبَدَت الله بعد موته يوماً واحداً، ولارتدّت في حافرتها..**».

(أنظر آخر يوميّات صفر: الفجيعة الأعظم).

* شهادة الإمام الحسن عليه السلام (على رواية) سنة ٥٠ للهجرة.

"اللّهمّ صلِّ على الحسن بن عليّ إمام المسلمين ووالِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وضاعف العذاب على من ظلمه". (أنظر الملف من هذا العدد).

آخر صفر (٢٩ أو ٣٠)

* شهادة الإمام الرضا عليه السلام (على رواية) سنة ٢٠٣ للهجرة.

ملاحظة:

بعض الوقائع يتكرّر ذكرها في أكثر من تاريخ، ويرجع ذلك إلى تعدّد الروايات حول تاريخ حدوثها، مثل تاريخ معركة صفّين، أو زواج أمير المؤمنين من الزهراء عليهما السلام، أو مواليد المعصومين ووفيّاتهم، وغير ذلك من المناسبات الإسلاميّة، فاقتضت الإشارة.

من حجّة الوداع إلى الوفاة

بين حجّة الوداع ويوم الغدير وبين الوفاة، ثلاثة أشهر.
قال الشيخ الصدوق عليه الرحمة:
كان يوم الغدير بعد حجّة الوداع، ولم يبقَ النبيّ صلى الله عليه وآله بعده إلاّ أقلّ من ثلاثة أشهر. يدلّ ذلك على أنّ أحداث السقيفة كانت على مقربة من «يوم الغدير»، وهذا ما يفسِّر قول الصدِّيقة الكبرى عليها السلام لصحابيٍّ رآها تزور قبر الحمزة عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله: «سرعان ما نسيتم يوم الغدير».
ما يلي مختصر في أبرز الحوادث التي وقعت بين الوداع وإلى خطبة الصدِّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام في المسجد النبويّ، بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله بعشرة أيام:

الفجيعة الأعظم

في الثامن والعشرين من صفر، تتجدّد ذكرى أعظم فجيعة بفقد سيّد الأوّلين والآخرين، سرّ الخلق، وقُطب دائرة الوجود النبيّ الأعظم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.
نرفع آيات العزاء إلى آخر أوصياء رسول الله صلّى الله عليه وآله، المهديّ المنتظَر عليه السلام، وإلى الأمّة الإسلاميّة جمعاء.

روى الطبري عمّن عاصر ظروف وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّه قال: ".. بلغَنا الخبر بوجع النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، ثمّ بلغَنا أنّ مسيلمة قد غلب على اليمامة، وأنّ الأسود قد غلب على اليمن، فلم يلبث إلاّ قليلاً، حتى ادّعى طليحة النبوة وعسكر بسميراء، واتّبعه العوام، واستكثف أمره وبعث حبال ابن أخيه إلى النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يدعوه إلى الموادعة، ويخبره خبره، وقد حاربهم رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بالرُّسل، فأرسل إلى نفر من الأبناء رسولاً وكتب إليهم أن يحاولوه، وأمرهم أن يستنجِدوا رجالاً قد سمّاهم من بني تميم وقيس، وأرسل إلى أولئك النفر أن ينجدوهم ففعلوا ذلك. وانقطعت سبُل المرتدّة، واشتغلوا في أنفسهم، فأصيب الأسود في حياة رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم. وقبل وفاته بيوم أو بليلة ولظَّ طليحةَ ومسيلمةَ وأشباهَهم بالرُّسل (أكثر من إرسال الرُّسل بشأنهم)، ولم يشغله ما كان فيه من الوجع عن أمر الله عزّ وجلّ والذَّبّ عن دينه".

وإنّي سائلكم عن الثَّقَلَين، فانظروا كيف تُخلِّفوني فيهما

المفيد في الإرشاد: عندما تحقّق صلى الله عليه وآله من دنوّ أجله، وكّد ما كان قدّم الذكر به لأمّته، فجعل يقوم مقاماً بعد مقام في المسلمين يحذّرهم الفتنة بعده والخلاف عليه، ويؤكّد وصاتهم بالتمسّك بسنّته والاجتماع عليها والوفاق، ويحثّهم على الاقتداء بعترته، والطاعة لهم، والنصرة، والحراسة، والاعتصام بهم في الدّين، ويزجرهم عن الاختلاف والارتداد. وكان في ما ذكره من ذلك، ما جاءت به الرواية على اتفاق واجتماع من قوله صلى الله عليه وآله: «يا أيّها الناس، إنّي فَرطكم وأنتم واردون عليّ الحوض. ألا وإنّي سائلكم عن الثقلين، فانظروا كيف تُخلِّفوني فيهما، فإنّ اللّطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتى يلقياني، وسألت ربّي ذلك فأعطانيه. ألا وإنّي قد تركتهما فيكم: كتاب الله وعترتي أهل بيتي. ولا تسبقوهم فتفرّقوا، ولا تُقصّروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم. أيّها الناس، لا أُلفِيَنّكم بعدي ترجعون كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فتلقوني في كتيبة كمجرّ السيْل الجرّار. ألا وإنّ عليّ بن أبي طالب أخي ووصيّي، يُقاتِل بعدي على تأويل القرآن، كما قاتلتُ على تنزيله».

أنفِذوا أسامة، لعن الله من تخلّف عنه

قال المفيد: ثم إنّه صلى الله عليه وآله عقد لأسامة بن زيد بن حارثة الإمرة، وأمره وندبه أن يخرج بجمهور الأمّة إلى حيث أُصيب أبوه من بلاد الروم. واجتمع رأيه صلى الله عليه وآله على إخراج جماعة من مقدّمي (متقدّمي) المهاجرين والأنصار في معسكره، حتى لا يبقى في المدينة عند وفاته من يختلف في الرياسة ويطمع في التقدّم على الناس بالإمارة، ويستتبّ الأمر لِمَن استخلفه من بعده، ولا ينازعه في حقّه منازع. فعقد له الإمرة على ما ذكرناه، وجدّ صلى الله عليه وآله في إخراجهم. وأمر أسامة بالبروز عن المدينة بمعسكره إلى الجرف،

وحثّ الناس على الخروج إليه والمسير معه، وحذّرهم من التلوُّم والإبطاء عنه.

فبينما هو في ذلك إذ عرضت له الشكاة التي توفّي فيها.

يستغفر لأهل البقيع طويلاً

فلمّا أحسّ بالمرض الذي عراه، أخذ بيد عليّ عليه السلام، واتّبعه جماعة من الناس وتوجّه إلى البقيع، فقال لِمن اتّبعه: «**إنّي قد أُمِرتُ بالاستغفار لأهل البقيع**»، فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم، وقال: «**السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنّئكم ما أصبحتم فيه ممّا فيه الناس، أقبلت الفِتَن كَقِطع الليل المُظلم يتبع أوّلها آخرها**»، ثمّ استغفر لأهل البقيع طويلاً. وأقبل على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: «**إنّ جبرائيل عليه السلام كان يعرض عليّ القرآن كلّ سنة مرّة، وقد عرضه عليّ العام مرّتين، ولا أراه إلاّ لحضور أجلي**». ".." ثمّ عاد إلى منزله، فمكث ثلاثة أيام موعوكاً.

سيكون بعدي اثنا عشر إماماً

قال الطوسي في كتاب (الغَيبة)، بسنده إلى الإمام الصادق، عن أبيه الباقر، عن أبيه ذي الثفنات سيد العابدين، عن أبيه الحسين الزكيّ الشهيد، عن أبيه أمير المؤمنين عليهم السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الليلة التي كانت فيها وفاته لعليّ عليه السلام: «يا أبا الحسن أَحْضِرْ صحيفة ودواة، فأملى رسول الله صلى الله عليه وآله وصيّته، حتى انتهى إلى هذا الموضع، فقال: يا عليّ، إنّه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً، ".." فأنت يا عليّ أول الإثني عشر إماماً، سمّاك الله تعالى في سمائه عليّاً المرتضى، وأمير المؤمنين، والصدِّيق الأكبر، والفاروق الأعظم، والمأمون والمهديّ، فلا تصلح هذه الأسماء لأحد غيرك، يا عليّ أنت وصيّي على أهل بيتي حيّهم وميّتهم ".." وأنت خليفتي على أمّتي من بعدي.

فإذا حضرتك الوفاة فسلّمها إلى ابني الحسن البرّ الوصول، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابني الحسين الشهيد الزكيّ المقتول، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه سيّد العابدين ذي الثفنات عليّ، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه محمّد الباقر، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه جعفر الصادق، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه موسى الكاظم، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه عليّ الرضا، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه عليّ الثقة التقيّ، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه عليّ الناصح، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه الحسن الفاضل، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه محمّد المستحفَظ من آل محمّد، فذلك اثنا عشر إماماً».

إنّي راحل عن قريب ومنطلق إلى المغيب
مَن افتقد الشمس فليتمسّك بالقمر

عن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «**معاشرَ الناس، إنّي راحل عن قريب ومنطلِق إلى المغيب، أوصيكم في عترتي خيراً، وإيّاكم والبِدَع، فإنّ كلّ بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار. معاشرَ الناس، مَن افتقَد الشمس فليتمسّك بالقمر، ومن افتقَد القمر فليتمسّك بالفَرْقَدَيْن، فإذا فقدتم الفرقدَيْن فتمسّكوا بالنجوم الزاهرة بعدي، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم**». قال: فلمّا نزل عن المنبر صلى الله عليه وآله تبعتُه حتى دخل بيت عائشة، فدخلت إليه وقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله سمعتك تقول: "إذا افتقدتُم الشمس فتمسّكوا بالقمر، وإذا افتقدتُم القمر فتمسّكوا بالفرقدَيْن، وإذا افتقدتُم الفرقدَين فتمسّكوا بالنجوم الزاهرة"، فما الشمس وما القمر وما الفرقدان وما النجوم الزاهرة؟ فقال: «**أنا الشمس، وعليّ القمر، والحسن والحسين الفرقدان، فإذا افتقدتموني فتمسّكوا بعليٍّ بعدي، وإذا افتقدتموه فتمسَّكوا بالحسن والحسين، وأمّا النجوم الزاهرة فهم الأئمّة التسعة من صلب الحسين، تاسعهم مهديُّهم**». ثمّ قال صلى الله عليه وآله: «**إنّهم هم الأوصياء والخلفاء بعدي، أئمّةٌ أبرار، عدد أسباط يعقوب وحواريِّ عيسى**». قلت: فسمّهم لي يا رسول الله؟ قال: «**أوّلهم عليّ بن أبي طالب، وبعده سِبْطاي، وبعدهما عليّ زين العابدين، وبعده محمّد بن عليّ الباقر علم النبيّين، والصادق جعفر بن محمّد، وابنه كاظم سميُّ موسى بن عمران، والذي يُقتل بأرض الغربة ابنُه عليّ، ثمّ ابنه محمّد، والصادقان عليّ والحسن، والحجّة القائم المنتظر في غيبته، فإنّهم عترتي من دمي ولحمي، علمهم علمي وحُكمهم حُكمي، من آذاني فيهم فلا أناله الله شفاعتي**».

في المسجد معصوب الرأس:
حان منّي خفوق من بين أظهركم

ثم خرج إلى المسجد معصوب الرأس معتمداً على أمير المؤمنين بيُمنى يديه، وعلى الفضل بن العباس باليد الأخرى، حتى صعد المنبر فجلس عليه ثم قال: «**معاشرَ الناس، قد حان منّي خفوقٌ**

من بين أظهركم، فمَن كان له عندي عدّة فليأتني أعطه إيّاها، ومَن كان له عليَّ دَين فليخبرني به. معاشرَ الناس، ليس بين الله وبين أحد شيء يعطيه به خيراً، أو يصرف عنه به شرّاً إلاّ العمل. أيّها الناس، لا يدَّعِ مُدّعٍ ولا يتمنَّ مُتَمنٍّ، والذي بَعثني بالحقّ نبيّاً لا يُنجي إلاّ عملٌ مع رحمة، ولو عَصيتُ لَهَوَيْتُ. أللّهمّ هل بلّغتُ؟»، ثم نزل فصلّى بالناس صلاة خفيفة، ثمّ دخل بيته وكان إذ ذاك بيت أم سلمة، فأقام به يوماً أو يومين. فجاءت عائشة إليها تسألها أن تنقله إلى بيتها لتتولّى تعليله، وسألت أزواج النبي صلى الله عليه وآله في ذلك، فأَذِنَّ لها، فانتقل إلى البيت الذي أسكَنه عائشة.

وروى الطبري بِسَنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة أنّها قالت: تتامّ برسول الله صلى الله عليه وآله وجعه وهو يدور على نسائه وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهنّ أن يمرَّض في بيتي، فأذنّ له، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله بين رجلين من أهله، أحدهما الفضل بن العباس ورجلٌ آخر، تخطّ قدماه الأرض عاصباً رأسه حتى دخل بيتي، قال عبيد الله: فحدثتُ بهذا الحديث عنها عبد الله بن عباس فقال: هل تدري مَن الرجل؟ قلت لا، قال عليّ بن أبي طالب، ولكنها لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع.

إلى المسجد في حالة شديدة من المرض والضعف

واستمرّ به المرض فيه أيّاماً وَثَقُل (اشتدّ به المرض)، فجاء بلال عند صلاة الصبح ورسول الله صلى الله عليه وآله مغمورٌ في المرض، فنادى الصلاة رحمكم الله. فأوذن رسول الله صلى الله عليه وآله بندائه.

قال السيّد الأمين في (أعيان الشيعة): وهنا اختلفت الرواية، هل أمَر رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً أن يصلّي بالناس أو لا؟ "..." ما لنا ولِما رواه هؤلاء المؤرِّخون المختلِفون في العقيدة، المختلِفون في النقل. فبعضٌ يروي أنّه لم يأمر أحداً بِعيْنه أصلاً، وبعض أنّه لم يأمر بذلك في أوّل الأمر، ثمّ أمر أبا بكر بعد ما سمع عمر يكبِّر، وأنّ الناس صلّوا الصبح مرّتين.

وبعض يروي أنّه أمر أبا بكر من أوّل الأمر، ما لنا ولهذه الأخبار المتناقِضة، لكنّنا نقول إنّهم اتفقوا جميعاً على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج إلى المسجد في حالة شديدة من المرض والضعف، حتى أنّه لا يكاد يستقلّ ولا ينقل قدميه، بل اعتمَد على رجلين ورجلاه تخطّان الأرض خطّاً، وصلّى جالساً...

ألم آمركم أن تُنفذوا جيش أسامة؟

قال المفيد: فلمّا سلّم انصرف إلى منزله واستدعى أبا بكر وعمر وجماعة مَن حضر بالمسجد مِن المسلمين، ثمّ قال: ألم آمُركُم أن تُنفِذوا جيش أسامة؟ فقالوا، بلى يا رسول الله. قال: فلِمَ تأخّرتم عن أمري؟ قال أبو بكر: إنّي خرجتُ ثمّ رجعتُ لأجدِّد بك عهداً. وقال عمر: يا رسول الله إنّي لم أخرج لأنّي لم أحبّ أن أسأل عنك الركب. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: **أنفِذوا جيش أسامة! يُكرِّرها** ثلاث مرّات، ثمّ أُغمي عليه من التعب الذي لحقه والأسف. فمكث هنيهة مُغمىً عليه، وبكى المسلمون وارتفع النحيب من أزواجه وولده ونساء المسلمين وجميع مَن حضر من المسلمين.

دنا الفراق والمُنقَلَب إلى الله وإلى جنّة المأوى

عن ابن مسعود أنّه قال: نعى لنا نبيُّنا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر، بأبي هو وأمي ونفسي له الفداء. فلمّا دنا الفراق، جمعنا في بيت أمّنا عائشة وتشدّد لنا فقال: «**مرحباً بكم، حيّاكم الله بالسلام، رحمكم الله، حفظكم الله، جبركم الله، رزقكم الله، رفعكم الله، نفعكم الله، أداكم [آواكم، هداكم] الله، وقاكم الله! أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم، أستخلفه عليكم وأحذّركم الله إنّي لكم منه نذير مبين، ألاّ تعلوا على الله في عباده وبلاده، فإنّه قال لي: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾، وقال: ﴿أليس في جهنّم مثوى للمتكبّرين﴾**»

قلنا: يا رسول الله متى أجَلُك؟ قال: «**دنا الفِراق، والمُنقلب إلى الله، وإلى جنّة المأوى، وإلى سدرة المنتهى، وإلى الرفيق الأعلى، والكأس الأوْفى والحظّ والعَيش المُهنّى!**».

قلنا: يا رسول الله مَن يُغسّلك؟ فقال: «**رجالٌ من أهلي الأدنى فالأدنى**». قلنا: يا رسول الله ففيمَ نُكفّنك؟ فقال: «**في ثيابي هذه إن شئتم، أو ثياب مصر، أو في حلّة يمانيّة**»، قال: قلنا يا رسول الله مَن يُصلّي عليك؟

وبكينا وبكى فقال: «**مهلاً رحمكم الله، وجزاكم عن نبيّكم خيراً، إذا أنتم غسّلتموني وكفّنتموني فضعوني على سريري هذا على شفة قبري في بيتي هذا، ثم اخرجوا عنّي ساعة، فإنّ أوّل مَن يصلّي عليّ حبيبي وخليلي جبرئيل، ثمّ ميكائيل، ثمّ إسرافيل، ثمّ ملك الموت معه جنوده من الملائكة بأجمعهم، ثمّ ادخلوا فوجاً فوجاً، فصلّوا عليّ وسلّموا تسليماً، ولا تؤذوني بتزكية ولا برنّة، وليبتدىء بالصلاة عليّ رجال أهلي، ثمّ نساؤهم، ثمّ أنتم بعد. واقرأوا السلام على مَن غاب من أصحابي، واقرأوا السلام على مَن تبِعني على ديني من قومي هذا إلى يوم القيامة!**». قلنا يا رسول الله فمَن يُدخلك قبرك؟ قال: «**أهلي مع ملائكة كثيرين، يرَونكم من حيث لا ترَونهم**».

إنّه يهجُر!!!

فأفاق رسول الله صلى الله عليه وآله، فنظر إليهم ثمّ قال: «**أئتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً**»، ثمّ أُغمي عليه. فقام

بعض من حضر يلتمس دواة وكتفاً، فقال له عمر: إرجع فإنّه يهجُر، فرجع. وندم مَن حضر على ما كان منهم من التضييع في إحضار الدواة والكتف، وتلاوَموا بينهم، وقالوا: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، لقد أشفقنا من خلاف رسول الله ﷺ. فلمّا أفاق قال بعضهم: ألا نأتيك بدواة وكتف يا رسول الله؟ فقال: «**أَبَعدَ الذي قلتم؟ لا، ولكنّي أُوصيكم بأهلِ بيتي خيراً**». وأعرض بوجهه عن القوم فنهضوا.

الرزيَّة كلّ الرزيَّة

روى البخاري في الجزء الرابع من صحيحه في باب (قول المريض قوموا عنّي) عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود عن ابن عباس، قال: لمّا حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجالٌ فيهم عمر بن الخطاب، قال النبيّ ﷺ: «**هلمّوا أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده**»، فقال عمر إنّ النبيّ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف الحاضرون فاختصموا. منهم من يقول قرّبوا يكتب لكم النبيّ كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر. فلمّا أكثروا اللّغو والاختلاف عند النبيّ ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**قوموا**». قال عبيد الله: وكان ابن عباس يقول إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة، ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولَغَطِهم.

سكت الرواة عن الثالثة: نسوها أو أُنسوها؟

روى البخاري في الجزء الثالث من صحيحه في باب (مرض النبيّ ﷺ)، بسنده عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس: يوم الخميس، وما يوم الخميس، اشتدّ برسول الله ﷺ وجعُه، فقال: «**أئتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً**»، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع. فقالوا ما شأنه، أَهَجَر؟ استفهموه، فذهبوا يردّون عليه. فقال: دعوني، فالذي أنا فيه خير ممّا تدعونني إليه. وأوصاهم بثلاث، قال: «**أخرِجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد نحو ما كنتُ أجيزهم..**»، وسكت عن الثالثة، أو قال فنسيتُها. ورواه الطبري في تاريخه بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله، إلاّ أنّه قال: لا تضلّوا بعدي وقال: فذهبوا يعيدون عليه، وقال: وسكت عن الثالثة عمداً أو قال فنسيتها. ورواه ابن سعد في الطبقات بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله، إلاّ أنّه قال: أئتوني بدواة وصحيفة، وقال فذهبوا يعيدون عليه، وقال: فسكت عن الثالثة، فلا أدري قالها فنسيتها، أو سكت عنها عمداً. قال السيّد الأمين في (أعيان الشيعة): والمتأمّل لا يكاد يشكّ في أنّ الثالثة سكت عنها المحدِّثون عمداً

لا نسياناً، وأنّ السياسة اضطرّتهم إلى السكوت عنها عمداً وتناسيها، وإنّها هي التي طلب الدواة والكتف ليكتبها لهم .

تاريخ الوفاة، والاختلاف فيه!

وكانت وفاته ﷺ يوم الإثنين على المشهور بين العلماء عند الزوال لليلتين بقيتا من صفر عند أكثر الإماميّة، وقال الكُليني منهم: لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة. وقال المفيد في الإرشاد، والطبرسي في إعلام الورى سنة عشر من الهجرة، قال الطبري في تاريخه: لا خلاف بين أهل العلم بالأخبار أنه ﷺ قُبض يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، غير أنّه اختُلف فيه. فعن فقهاء أهل الحجاز أنّه قُبض نصف النهار يوم الإثنين، لليلتين مضتا من شهر ربيع. وقال الواقدي: توفّي يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل. وروى ابن سعد في الطبقات أنّه ﷺ اشتكى يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر، سنة إحدى عشرة، فاشتكى ثلاث عشرة ليلة وتوفّي يوم الاثنين، لليلتين مضتا من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة. ثمّ روى أنّه اشتكى يوم الأربعاء، لليلة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة، وتوفّي يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل. اهـ. وتُوفّي رسول الله ﷺ وعمره الشريف ثلاث وستون سنة. بُعِث وعمره أربعون، وأقام بمكّة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة بعد الهجرة عشر سنين.

من خطبة الصدّيقة الكبرى
فاطمة الزهراء عليها السلام

بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله بعشرة أيام، ألقت الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، خطبتها المعروفة في المسجد النبويّ المبارك، فكانت هذه الخطبة، وما تزال، الوثيقة الإلهيّة النبويّة الكبرى في تحديد المسار للأجيال كلّها، الأمر الذي يحتّم على كلّ مسلم أن يُعنى بالوقوف طويلاً عند الرسائل المحمّديّة التي تضمّنتها.

ما يلي فقرات مختارة من هذه الخطبة المباركة:

«ابتعثه الله إتماماً لعلمه، وعزيمةً على إمضاء حكمه، فرأى الأُمَم فِرقاً في أديانها، عُكّفاً على نيرانها، عابدةً لأوثانها، منكرةً لله مع عرفانها، فأنار اللهُ بمحمّدٍ ظُلَمَها، وفرّج عن القلوب بهُمَها، وجلا عن الأبصار عَمَهها، وعن الأنفس غُممها. ثمّ قبضه الله إليه قبضَ رأفةٍ ورحمة، واختيارِ ورغبةٍ لِمحمّدٍ عن تعب هذه الدار، موضوعاً عنه أعباءُ الأوزار، محفوفاً بالملائكة الأبرار، ورضوان الربّ الغفّار، ومجاورة الملك الجبّار، أمينه على الوحي، وصفيّه ورضيّه، وخِيَرَتِه من خلقه ونجيّه، فعليه الصلاة والسلام، ورحمة الله وبركاته».

**

ثم قالت: «أنا فاطمة وأبي محمّد، أقولها عوداً على بدء، وما أقولُ إذ أقول سرفاً ولا شططاً، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة:١٢٨، إن تَعْزُوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، بلّغ النذارة صادعاً بالرسالة، ناكباً عن سُنن المشركين، ضارباً لأثباجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجذّ الأصنام، وينكت الهام، حتى انهزم الجمع، وولّوا الدّبر، وحتى تفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وهدأتْ فورة الكفر، وخرست شقاشق الشيطان، وفُهْتُم بكلمة الإخلاص، وكنتم على شفا حفرة من النار، فأنقذكم منها (..) تعبدون الأصنام، وتستقسِمون بالأزلام، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطىء الأقدام، تشربون الرّنق، وتقتاتون القدّة، أذلّةً خاشعين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم.

فأنقذكم بنبيّه محمّد صلّى الله عليه وآله بعد اللّتيا والتي، وبعد ما مُنِيَ بِبُهم الرجال، وذؤبان العرب، ﴿..كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ..﴾ المائدة:٦٤، أو نجَم قرن الضلالة، أو فغرت

فاغرة المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحدّه، مكدوداً في ذات الله، قريباً من رسول الله، سيّداً في أولياء الله، وأنتم في بَلْهنيّة آمنون، وادعون فرحون، تتوكّفون الأخبار، وتنكِصون عند النّزال على الأعقاب، حتى أقام الله بمحمّد صلّى الله عليه وآله عمود الدِّين، فلمّا اختار الله عزّ وجلّ له دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهرت حسيكةُ النّفاق، وانسمل جلباب الدِّين، وأخلق ثوبُه، ونحل عظمه، وأودت رُمّتُه، وظهر نابغ، ونبغ خامل، ونطق كاظم، وهدر فنيق الباطل يخطر في عَرَصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من معرسه صارخاً بكم، فألفاكم غضاباً، فخطمتم غير إبِلِكم، وأوردتموها غير شربكم بداراً، زعمتم خوف الفتنة، ﴿..أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ التوبة:٤٩.

هذا والعهد قريب، والكَلْم رحيب، والجرح لمّا يندمل، فهيهات منكم، وأين بكم، وأنّى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، زواجرُه لائحة، وأوامره لامحة، ودلائله واضحة، وأعلامه بيّنة، وقد خالفتموه رغبةً عنه، فبئس للظالمين بدلاً، ثمّ لم تلبثوا إلاّ ريث أن تسكن نفرتُها، ويَسْلس قيادُها، تسرون حسواً بارتغاء، (..) ونصبر منكم على مثل حزّ المُدى، وزعمتم أنْ لا إرث لنا، أَفَحُكمَ الجاهلية تبغون، ﴿..وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة:٥٠، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ آل عمران:٨٥».

***

«معشرَ البقيّة، وأعضاد الملّة، وحضنة الإسلام، ما هذه الغميزة في حقّي، والسِّنة عن ظلامتي، أما كان رسول الله أمر بحفظ المرء في ولده؟ فسرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة. أتقولون مات محمّد فخطب جليل، استوسع وهيُه، واستنهر فتقُه، وفُقد راتقُه، فأظلمَت الأرض لغيبته، واكتأب خيَرةُ الله لمصيبته، وأكْدَت الآمال، وخشعت الجبال، وأُضيع الحريم، وأُذيلت الحرمة بموت محمّد، فتلك نازلة أعلن بها كتاب الله في أفنيتكم، ممساكم ومصبحكم هتافاً، و(من قبل) ما خلت له أنبياءُ الله ورسله، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ آل عمران:١٤٤.

***

ألا وقد قلتُ الذي قلتُ على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم، ولكنها فيضةُ النفس، ونفثةُ الغيظ، وبثّة الصدر، ومعذرة الحجّة، فدونكم فاحتقبوها دبرة الظهر، ناقبة الخفّ، باقية العار، موسومة بشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ الهمزة:٧-٩.

فبعين الله ما تفعلون، ﴿..وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون﴾ الشعراء:٢٢٧، وأنا ابنة نذير لكم بين يديّ عذاب شديد، فاعملوا ﴿..إنّا عاملون * وانتظروا إنّا منتظرون﴾ هود:١٢١-١٢٢، ﴿..وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ الرعد:٤٢، ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ..﴾ الإسراء:١٣، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ الزلزلة:٧-٨».

ثم ولّت، فأتبعها رافع بن رفاعة الزرقي، فقال لها: يا سيّدة النساء، لو كان أبو الحسن تكلّم في هذا الأمر وذكّر للنّاس قبل أن يجري هذا العقد، ما عدلنا به أحداً. فقالت له بردنها: «إليك عني، فما جعل الله لأحدٍ بعد غدير خمّ من حُجّةٍ ولا عذر».

قال الراوي: فلم يُر باكٍ ولا باكية كان أكثر من ذلك اليوم، وارتجّت المدينة، وهاج الناس، وارتفعت الأصوات.

رأس "رسول الله" محمولاً على الرمح، في الشام!!
يوم الزِّينة الأمويّ - الفرعونيّ

كان دخول بقيّة السيف من أهل البيت عليهم السلام إلى دمشق من جهة الشمال عبر جبل جيرون، ممّا يؤكِّد ما ورد في بعض المصادر من أنّ موكب "السبايا" دخل الشام من طريق بعلبك.

كان طاغية آل أبي سفيان وبني أميّة "يزيد بن معاوية" ينتظر وصول الموكب، وقد جلس في "مَنظرة"، أي مجلس ملوكيّ معدٍّ على مكان مرتفع، لِيَشفي غيْظ قريش والشيطان وبني أميّة وآل أبي سفيان من رسول الله صلى الله عليه وآله، وعندما رأى الرؤوس على الرماح - وفي مقدِّمتها رأس الإمام الحسين، الذي قال فيه رسول الله: **أحبَّ الله مَن أحبَّ حسيناً. ما لي وليزيد، قاتل الله يزيد** - استبدّ الوجْد والطرب ونشوة النصر بحفيد هند آكلة الأكباد، فترنَّم قائلاً:

لمّا بَدَت تلك الرؤوس وأشرقت ... تلك الشموس من ربى جيرونِ
نعب الغراب فقلت صِح أو لا تصِح ... فلقد قضيت من النبيّ ديوني.

وقد ثبت أنّ يزيد لعنه الله، تَمَثَّل - في وقت آخر - بعد دخول "السبايا" إلى الشام بأبيات لشاعر يُعرف بـ "ابن الزِّبعرى"، وزاد فيها يزيد ما يؤكِّد كفره.

والأبيات طويلة، منها:

لعِبَت هاشم بالمُلك ... فلا خَبر جاءَ ولا وحيٌ نَزَلْ
ليتَ أشياخي ببدرٍ شهدوا ... جَزَع الخزرج من وَقْع الأَسِلْ
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ... ثمّ قالوا يا يزيد لا تُشَلْ.

وكان الطاغية قد أمَرَ بتزيين دمشق فرحاً باستيفاء ديون قريش، وهند، وأبي سفيان، ومعاوية من رسول الله صلى الله عليه وآله.

يحدّثنا عن هذه الزينة، الصحابيّ سهل بن سعد، وهو شاهد عيان لِما جرى في الشام عند وصول موكب رسول الله صلى الله عليه وآله، في ما سمَّاه النظام "موكب السبايا"، وقد حفظت المصادر شهادة هذا الصحابيّ كما يلي:

قال: خرجتُ إلى بيت المقدس حتى توسّطت الشام، فإذا أنا بمدينة مطَّردة الأنهار، كثيرة الأشجار، وقد علّقوا الستور والحجب والديباج، وهم فرحون مستبشِرون، وعندهم نساء يلعبْنَ بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي: هل نرى لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن!

فرأيتُ قوماً يتحدّثون فقلت: يا قوم، لكم بالشام عيدٌ لا نعرفه نحن؟ قالوا: يا شيخ نراك أعرابيّاً. فقلت: أنا سهل بن سعد، قد رأيت محمّداً صلى الله عليه وآله. قالوا: يا سهل، ما أعجبك السماء لا تمطر دماً والأرض لا تنخسف بأهلها.

قلت: ولِم ذاك؟ قالوا: هذا رأس الحسين عِترة محمّد صلى الله عليه وآله، يُهدى من أرض العراق.

فقلت: واعجباً، يُهدى رأس الحسين عليه السلام والناس يفرحون.

وقلت: من أيّ باب يدخل؟ فأشاروا إلى باب يقال له باب ساعات.

قال: فبينا أنا كذلك، حتى رأيت الرايات يتلو بعضها بعضاً. فإذا نحن بفارس بيده لواء منـزوع السنان، عليه رأس من أشبه الناس وجهاً برسول الله صلى الله عليه وآله، ورأيتُ من ورائه نسوةً على جِمال بغير وطاء، فدنوْتُ من أولاهم فقلت: يا جارية مَن أنتِ؟ فقالت: أنا سكينة بنت الحسين. فقلت لها: ألكِ حاجة إليّ؟ فأنا سهل بن سعد ممّن رأى جدّك وسمعتُ حديثه. قالت: يا سعد، قُل لصاحب هذا الرأس أن يقدِّم الرأس أمامنا، حتى يشتغل الناس بالنظر إليه ولا ينظروا إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله. قال سهل: فدنوْتُ من صاحب الرأس فقلت له: هل لك أن تقضي حاجتي، وتأخذ مني أربعمائة دينار؟ قال: ما هي؟ قلت: تُقدِّم الرأس أمام الحرم. ففعل ذلك، فدفعتُ إليه ما وعدتُه.

ووُضِع الرأسُ في حُقة (إناء)، ودخلوا على يزيد لعنه الله، فدخلتُ معهم، وكان يزيد جالساً على سرير، وعلى رأسه تاج مكلّلٌ بالدرّ والياقوت. وحوله كثيرٌ من مشائخ قريش، فلمّا دخل صاحب الرأس وهو يقول:

أَوْقِرْ رِكابي فِضّةً وذَهبا ... أنا قتلت السيّدَ المُحجّبا
قتلتُ خيرَ النَّاس أمّاً وأباً ... وخيرَهم إذ يُنسبون النسبا

قال: لو علمتَ أنّه خير الناس لِمَ قتلتَه؟ قال: رجوتُ الجائزة

منك. فأمرَ بضرْب عنقه، فخُرَّ رأسه، ووُضع رأس الحسين عليه السلام على طبق من ذهب، وهو يقول: كيف رأيتَ يا حسين؟ انتهى.

وقد ذكر صاحب كتاب (الكامل البهائي) خبر الصحابي سهل بن سعد وأورد فيه: **ورأيتُ الرؤوس على الرّماح ويقدّمهم رأس عباس بن عليّ عليهما السلام، ورأسُ الإمام عليه السلام كان وراء الرؤوس أمام المخدَّرات، وللرأس الشريف مهابةٌ عظيمة، ويُشرق منه النور بلحية مُدَوَّرة، قد خالطها الشَّيْب، وقد خُضِبَتْ بالوسْمة (نبات يصبغ به الشعر ليسْوَدّ)، أدعجُ العينين، أَزَجُّ الحاجبين، واضح الجبين، أقنى الأنف، متبسماً إلى السماء، شاخصاً ببصره إلى نحو الأفق، والريح تلعبُ بلحيته يميناً وشمالاً كأنّه أمير المؤمنين.**

ثقافة يوم الزِّينة

كانت "دمشق" آنذاك عاصمة الدولة الإسلاميّة المترامية الأطراف، التي تشبه في عصرنا ما يسمّى بـ "القطب الأوحد"، وكان النظام الأمويّ حريصاً على نشر ثقافة يوم الزِّينة الفرعونيّ الأمويّ، لأنّه رأى فيه نصراً تاريخيّاً على رسول الله صلى الله عليه وآله، فعمل على أن يكون "يوم الزِّينة" في استقبال "السبايا" من آل بيت سيّد النبيّين، مَفصَلاً يؤسِّس لاستمرار الإمبراطوريّة الأمويّة التي تتظاهر بالإسلام، وهي مقيمة على عبادة "اللاّت" و"عُزّى"، و"هُبَل" في خطّ "دار الندوة"، وفرعون قريش "أبي جهل" الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «أعتى من فرعون موسى»، وفي خطّ أبي سفيان وحروب قريش بقيادته في بدْر وأُحُد والأحزاب وغيرها. ألم يقل أبو سفيان: تلقّفوها يا بني أميّة تلقّف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان لا جنة ثَمَّ ولا نار، وإنّما هو المُلْك!!

وقد عمل بنو أميّة على نشر ثقافة "يوم الزِّينة الفرعونيّ" في المجالات التالية:

١- اعتبار يوم عاشوراء عيداً. يقول أبو ريحان البيروني في (الآثار الباقية) بعد ذِكر ما جرى على الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء: "فأمّا بنو أميّة، فقد لبسوا فيه ما تجدّد، وتزيّنوا، واكتحلوا، وعيّدوا، وأقاموا الولائم، والضيافات، وأطعموا الحلاوات والطيّبات. وجرى الرسم في العامّة على ذلك أيام ملكهم، وبقي فيهم بعد زواله عنهم. وأمّا الشيعة، فإنّهم ينوحون، ويبكون أسفاً لقتل سيّد الشهداء فيه ..". ويقول المقريزي - بعد أن ذكر أن العلويّين المصريّين كانوا يتّخذون يوم عاشوراء يوم حزن تتعطّل فيه الأسواق-: "فلمّا زالت الدولة، اتّخذ الملوك من بني أيّوب يوم عاشوراء يوم سرور، يوسّعون فيه على عيالهم، وينبسطون في المطاعم، ويتّخذون الأواني الجديدة، ويكتحِلون، ويدخلون الحمّام جرياً على عادة أهل الشام، التي سنّها لهم الحجّاج في أيّام عبد الملك بن مروان، ليرغموا به آناف شيعة عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، الذين يتّخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن على الحسين بن عليّ عليه السلام، لأنّه قُتِل فيه". قال: "وقد أدركنا بقايا ممّا عمله بنو أيّوب من اتّخاذ عاشوراء يوم سرور وتبسّط".

وقال الأستاذ حسن السَّقّاف: "في سبيل إطفاء شعلة عاشوراء، ودفن قضية كربلاء، لجأوا إلى اختلاق أخبار جعلوها أحاديث، ونسبوها إلى جدّ الحسين عليه السلام. إلاّ أنّ عدم التنسيق في وسائل الإعلام لهؤلاء الحكّام، جعلها متخالفة متضاربة. أتوا بهذه الأخبار العظيمة والكثيرة العدد بغية دفن قضيّة كربلاء، ولكن فشلوا وبقيت قضيّة كربلاء على ما هي عليه، القضيّة العظيمة جداً، استحلال دم الحسين عليه السلام.

وقد أصاب الشريف الرضيّ رضي الله عنه في وصف هذا الأمر إذ قال:

كانت مآتم بالعراق تعدّها أمويّة بالشام من أعيادها
جعلت رسول الله من خصمائها فَلَبِئس ما ادّخرت ليوم معادها
نسلُ النبيّ على صِعاب مطيّها ودم النبيّ على رؤوس صعادها".

٢- أن تكون الزِّينة تاريخيّة نوعيّة، لم تشهد عاصمة الأمويّين نظيراً لها، فقد نُشِرت "المرايا" في الشوارع، ونُصِبت ستائر الديباج وغيره، وأُجريت التدريبات على مراسم احتفاليّة خاصّة تُقام في أماكن محدّدة، يبدو أنّ ذروتها كان قريباً من المسجد الأمويّ، في الساحة التي تعرف لليوم باسم "النَّوْفرة". هناك، وقرب بقايا آثار مسجد في جنبها الشرقيّ، تذكُر بعض المصادر أنّ رأس الإمام الحسين عليه السلام "سقط إلى الأرض"، ولعلّ السبب في ذلك الألعاب البهلوانيّة، والضرب بالطبول، وغيرها من المراسم التي أُريد لها أن تكون تأسيساً لِما يأتي.

٣- تمّ تصنيع بعض الأدوات "الملوكيّة" الخاصّة، من قبيل "الطشت" الذي وُضِع فيه الرأس الشريف، والعصا التي ضَرب بها يزيد وجه الإمام وثناياه بالخصوص.

٤- كان ضمن الخطّة أن تطلق أسماء، هي بمثابة أوسِمة على أبرز الذين شاركوا في تصنيع هذه الأدوات، أو شاركوا في رحلة السبي عموماً.

* قال العالم الجليل الكراجكي (ت ٤٤٩هـ)، وهو من طرابلس الشام، وأدرى بشعابها:

"وجعلوا ما فعلوه سِمة لأولادهم. فمنهم في أرض الشام: بنو السراويل، وبنو السَّرج، وبنو سنان، وبنو الملحيّ، وبنو الطَّشتي، وبنو القضيبيّ، وبنو الدّرجيّ.

* أمّا بنو السراويل: فأولاد الذي سلب سراويل الحسين عليه السلام.

* وأمّا بنو السَّرج: فأولاد الذين أُسرجت خيله لدَوْس جسد الحسين عليه السلام، ووصل بعض هذه الخيل إلى مصر، فقلِعَت نعالها

من حوافرها وسمِّرت على أبواب الدُّور ليُتَبَرَّك بها، وجرت بذلك السنّة عندهم، حتى صاروا يتعمّدون عمل نظيرها على أبواب دور أكثرهم.

* وأمّا بنو سِنان: فأولاد الذي حمل الرمح الذي على سنانه رأس الحسين عليه السلام. [ما ينبغي التنبّه إليه: ليس كلّ من كان من آل سنان، فهو من نسب هذا الملعون، فهناك بطن من قبيلة اسمه سنان، كما أنّ من شيوخ الشيخ الصدوق "السناني" الذي يترضّى عليه. وقد كانت التسمية بـ"سنان" منتشرة جداً كما يظهر من مصادر الأنساب، كما أنّ الفرق كبير بين السنان بكسر السين والسناني بفتحه، فالثاني جمع لمفردة طائر "السنونو". فليلاحظ].

* وأمّا بنو المكبّري: فأولاد الذي كان يُكبِّر خلف رأس الحسين عليه السلام، وفي ذلك يقول الشاعر:

ويكبِّرون بأن قُتِلت وإنّما قتلوا بك التكبير والتهليلا.

* وأمّا بنو الطَّشتي: فأولاد الذي حمل الطَّشت الذي تُرك فيه رأس الحسين عليه السلام، وهم بدمشق مع بني الملحي معروفون.

* وأما بنو القضيبي: فأولاد الذي أحضر القضيب إلى يزيد لعنه الله، لنكت ثنايا الحسين عليه السلام.

* وأمّا بنو الدّرجي: فأولاد الذي ترك الرأس في درج جيرون".

٥- تعميم النظام على سائر مناطق العالم الإسلاميّ، ممارسات تثبت ثقافة التشفّي من أهل البيت ورسول الله صلى الله عليه وآله.

من ذلك أمور تحدث عنهما الكراجكي وغيره.

الأوّل: التبرُّك بالخيل التي داست صدر الإمام الحسين عليه السلام. ومسألة رضّ الصدر الشريف ثابتة لا نقاش فيها، وممّن أوردها الطبري في تاريخه.

الثاني: التبرُّك بنعال حوافر هذه الخيول (النَّضوات)، فقد تقدّم في كلام الكراجكي، قوله: **ووصل بعض هذه الخيل إلى مصر، فقلعت نعالها من حوافرها وسمِّرت على أبواب الدُّور ليتبرَّك بها، وجرت بذلك السنّة عندهم حتى صاروا يتعمَّدون عمل نظيرها على أبواب دور أكثرهم.**

وما تزال هذه البدعة الأمويّة باقية إلى اليوم، ونجد في لبنان - مثلاً - مَن يُعلِّقون على أبواب بيوتهم خرزات زرقاء، مع شكل نعل فرس (نضوة) وهم لا يعلمون أنّ ذلك من بقايا ورواسب الكفر الأمويّ!

الثالث: بدعة لعبة شعبيّة في أجواء عاشوراء، تقوم على حمل رأس حيوان!! على خشبة، والدوران بها في الشوارع والأزقّة في جمع من الأطفال أو غيرهم، أو تقاذف الرأس بالأرجل كالكرة!!

* قال "الكراجكي" قبل نصّه المتقدّم من كتابه (التعجُّب): "ومن عجيب ما سمعتُه أنّهم في المغرب بمدينة قرطبة، يأخذون في ليلة العاشوراء رأس بقرة ميتة، ويجعلونه على عصا، ويُحمل ويُطاف به في الشوارع والأسواق، وقد اجتمع حوله الصبيان يصفِّقون ويلعبون، ويقفون به على أبواب البيوت ويقولون: يامسي المروسة، أطعمينا المطنفسة - يعنون القطائف - وأنّها تُعدّ لهم، ويكرمون ويتبرّكون بما يفعلون.

وحدَّثني شيخ بالقاهرة من أهل المغرب، كان يخدم القاضي أبا سعيد ابن العارفي رحمه الله، أنّه كان ممّن يحمل هذا الرأس في المغرب وهو صبيّ في ليلة عاشوراء، فرأى هذا من فرط المحبّة لأهل البيت عليهم السلام! وشِدّة التفضيل لهم على الأنام.

وقد سمع هذه الحكاية بعض المتعصّبين لهم، فتعجّب منها وأنكرها، وقال: ما يستجيز مؤمن أن يفعلها، فقلت: أعجب منها حمل رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام على رمحٍ عالٍ، وخلفه زين العابدين عليه السلام مغلول اليدين إلى عنقه، ونساؤه وحريمه معه سبايا مهتكات على أقتاب الجمال، يُطاف بهم البلدان، ويُدخل بهم الأمصار التي أهلها يظهرون الإقرار بالشهادتين، ويقولون إنّهم من المسلمين، وليس فيهم منكِر، ولا أحد يَنْفُر، ولم يزالوا بهم كذلك إلى دمشق.

وفاعلو ذلك يظهرون الإسلام، ويقرأون القرآن، ليس منهم إلاّ مَن قد تكرّر سماعه قول الله سبحانه: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى﴾، فهذا أعظم من حمل رأس بقرة في بلدة واحدة. ومن عجيب قولهم: إنّ أحداً لم يُشر بهذا الحال..".

كان هذا في عصر العلاّمة الكراجكي في القرن الخامس الهجريّ.

وفي هذا القرن الخامس عشر الهجريّ، ما تزال بقايا الأفراح الأمويّة والبِدَع - التي روّج لها يزيد، وآل أبي سفيان، وسائر بني أميّة - قائمة في الشام ولبنان إلى يومنا هذا.

ولعلّ الذين يقومون بهذه الأعمال يجهلون أساسها وأهدافها، كما مرّ آنفاً عن المغربيّ الذي أخبر الشيخ الكراجكي بأنّه كان يمارس تلك اللعبة البدعة، ويظنّ أنّها تعزّز مكانة أهل البيت عليهم السلام.

* من بقايا تلك البِدَع الأمويّة، ما كان يحصل في الشام إلى سنة ١٤٢٩ هجريّة، ما حدّث به ثقة من فضلاء منطقة حلب، وهو أنّ عادة أهل تلك المنطقة أن يتداعوا من القرى القريبة إلى اجتماع باسم "الفرجة"، وتُقام ألعاب مختلفة بالأفاعي، والقرود، وغير ذلك. ومن "مراسم" هذه الفرجة أن يُؤتى برأس ماعزٍ له "لحية"، تكون في وسط هذا الحشد وتتقاذفها أرجلهم كالكرة.

وقد تمّ منع هذه "الفرجة" الأمويّة في السنوات الأخيرة.

الذّنوب

ذنوب تُعجّل عقوبتها، الذنب شؤمٌ على غير فاعله! ودواء الذنوب، وحقائق أخرى هي معادلات معصومة حول الذنوب

* رسول الله صلّى الله عليه وآله: **ثلاثة من الذنوب تُعجَّل عقوبتها ولا تؤخَّر إلى الآخرة: عقوق الوالدين، والبَغْي على الناس، وكفر الإحسان.**

* رسول الله صلّى الله عليه وآله: **الذنب شؤم على غير فاعله، إنْ عيَّره ابتُلي، وإنْ اغتابه أثِم، وإنْ رضِي به شاركه.**

* رسول الله صلّى الله عليه وآله: **لكلّ داء دواء، ودواء الذنوب الاستغفار.**

* الإمام الباقر عليه السلام: **إنّه ما من سنة أقلُّ مطراً من سنة، ولكنّ الله يضعه حيث يشاء. إنّ الله عزّ وجلّ إذا عمل قوم بالمعاصي، صَرف عنهم ما كان قَدَّر لهم من المطر.**

*الإمام الصادق عليه السلام: **مَن يموت بالذنوب أكثر مِمَّن يموت بالآجال.**

*الإمام الصادق عليه السلام: **إنّ لله تبارك وتعالى على عبده المؤمن أربعين جُنّة ، فمتى أذنب ذنباً كبيراً، رفع عنه جُنّة، فإذا عاب أخاه المؤمن بشيءٍ يعلمه منه، انكشفت تلك الجُنَن عنه، ويبقى مَهتوك الستر، فيُفتضَح في السماء على ألسِنَة الملائكة، وفي الأرض على ألسِنَة الناس.**

الإمام الرضا عليه السلام: **كلّما أَحدث العِباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون، أَحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون.**

قال العلمـاء

وكلّما ضعف الإيمان ضعف حبّ الله وقَوِي حبّ الدنيا في القلب، واستولى عليه بحيث لا يبقى في القلب موضع لِحبِّ الله إلاّ من حيث حديثُ النفس، فلا يظهر له أثر في مخالفة النفس والشيطان، فيورث ذلك الانهماك في اتّباع الشهوات، حتّى يظلم القلب ويسوَدّ، وتتراكم ظلمة الذنوب عليه.

ولا يزال يُطفأُ ما فيه من نور الإيمان حتى ينطفئ بالكليّة، فإذا جاءت سَكْرة الموت ازداد حبّ الله ضعفاً، وربّما زال كليّاً، لما يستشعر من فراق محبوبه الغالِب على قلبه، وهو الدنيا، فيتألّم ويرى ذلك من الله، فيختلج ضميره بإنكار ما قدّره الله من الموت، وربّما يحدث في باطنه بغض الله بدل الحبّ، لما يرى أنّ موته من الله.

كما إنّ مَن يحبّ ولده حبّاً ضعيفاً، إذا أخذ مالاً له، هو أحبّ إليه منه وأتلفه، انقلب حبّه بغضاً. فإن اتّفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطر فيها هذه الخاطرة، فقد خُتم له بالسوء. نعوذ بالله من ذلك.

«النراقي- جامع السعادات»

من توجيهات شيخ الفقهاء العارفين
الشيخ بهجت قدس سره

ثمّة جماعة يتعاملون مع الوعظ والخطابة والإرشاد ـ والتي هي مقدّمة للأمور العمليّة المناسبة ـ معاملة ذي المقدّمة. وكأنّ المطلوب أن يتكلّموا ويستمعوا لمجرّد أن يتكلّموا ويسمعوا! وهذا اشتباه.

إنّ التعليم والتعلّم إنّما يكونان مناسبين لأجل العمل، ولا استقلاليّة لهما. وقد قالوا عليهم السلام لإفادة هذا المطلب والحثّ عليه: «**كونوا دُعاة إلى الله بِغَير ألسنتكم**».

تكلّموا من خلال العمل، وتعلّموا من العمل، وليَكُن سماعكم بالعمل. يريد البعض أن يعلّم المعلِّم! ويطلب منه، حتّى أن يأخذ كيفيّة التعليم من المتعلِّمين! يَطلب منّا البعض الدعاء، فنسأل، لأيّ شيء؟ فيبيّنون العلّة، فنشرح لهم الدواء، وبدلاً من أداء الشكر واستعماله يقولون ثانية: أُدعوا لنا.

وبعيداً عمّا نقوله وما يريدون، فإنّهم يخلطون شرطيّة الدعاء مع نفسيّته. إنّنا لا نخرج عن عهدة التكليف، بل علينا تحصيل النتيجة بواسطة العمل، ومن المحال أن يكون العمل بلا نتيجة، أو تحصل النتيجة من غير العمل. ليس الأمر كذلك، إذا كانت إقامة المجلس بلا حاجة وفائدة، فلا يحصل منه إلّا الجلوس والحديث والقيام.

قال الشاعر [ما ترجمته]:

"زيَّنوا المجلس بدون فائدة جلسوا وقالوا ونهضوا"!

جعلنا الله من أهل العمل، لا مجرّد قوّالين (من أهل الكلام). فلا نُقْدم على حركة عمليّة من دون علم، ولا نتوقّف مع العلم. لِنَقم بأداء ما نعرفه، ولنتوقّف ونحتَطْ في ما لا نعرفه، إلى أن يحصل لنا العلم به، ومن المقطوع به أن لا ندم في هذا النهج. لا ننظر بعضنا إلى البعض الآخر، بل ليَكُن نظرنا إلى كتاب الشرع، ولنجعل أعمالنا وتُروكنا مطابقة له.

بين يدَي الشيخ بهجت قدس سره

س ١ـ الصلاة بالنسبة لي ثقيلة كدفع الغرامة ماذا أفعل؟

ج: كرِّر كثيراً قوله تعالى ﴿وربُّك الغنيُّ ذو الرَّحمة..﴾.

س ٢ـ أريد في صلاتي أن أُدرك جميع الأذكار وأفهمها وأدرك ذلك النور لأتحرَّك به.

ج: عليك بمراعاة شرائط حضور القلب في صلاتك، أما ما هي النتيجة، فذلك أمرٌ لاشأن لنا به.

س٣ ـ عندي أخ لا يُصلّي وله رفيق سوء، وكلّما نصحتُه لا يستمع إليّ. لطفاً، أرشدني إلى طريق واضح لهدايته.

ج: بعد صلاة جعفر الطيّار ادعُ الله لهدايته، وفي السجدة الأخيرة أيضاً ادعُ واجتهد في البكاء لأجله.

الإمام الحسن السبط الأكبر، أولى الريحانتين

الحرم النبوي الشريف وأضرحة أئمة المسلمين في البقيع

فهرس الملف

* الصلاة على الإمام الحسن عليه السلام
* مَلامِحُ حَسَنيّة
* الإمام الحسن عليه السلام كما عرَّفه رسول الله صلى الله عليه وآله
* الحسنان.. نوران من نور الله..
* الحسنان...ما سِرُّ هذه التثنية النَّبويَّة؟
* هَيْبَةُ الإمام الحسن.. نبويَّة
* الكوفة عشيّة بيعة الإمام الحسن عليه السلام
* السِّبط الأكبر من الولادة إلى الشهادة
* بُغاثُ الطّير انقَضَّ عليها أَجْدَل

الصلاة
على الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ عَبْدَيْكَ وَوَلِيَّيْكَ، وَابْنَيْ رَسُولِكَ وَسِبْطَي الرَّحْمَةِ وَسَيِّدَي شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ أَفْضَلَ ما صَلَّيْتَ عَلى أَحَدٍ مِنْ أَوْلادِ النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى الحَسَنِ بْنِ سَيِّدِ النَّبِيِّينَ وَوَصِّي أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ. السَّلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ رَسُولِ اللّه، السَّلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ سَيِّدِ الوَصِيِّيَنَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ يا ابْنَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ أَمِينُ اللّه وَابْنُ أَمِينِهِ، عِشْتَ رشيداً مَظْلُوماً وَمَضَيْتَ شَهِيداً، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الإمام الزَّكِيُّ الهادِيُ المَهْدِيُّ.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَبَلِّغْ رُوحَـهُ وَجَسَدَهُ عَنِّي فِي هذِهِ السَّاعَةِ أَفْضَلَ التَّحِيَّةِ وَالسَّلامِ.

من الصلوات الكبيرة على المعصومين عليهم السلام
إملاء الإمام الحسن العسكري عليه السلام على بعض أصحابه.

مَلامحُ حَسَنيّة

موجز يلخّص أبرز الخطوطَ العامة في سيرة السبط الأكبر عليه السلام

*** أبوه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأمّه الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله.**

* في السنة الثالثة للهجرة النبويّة، كان مولده المبارك.

* وفي السنة التاسعة والأربعين للهجرة، كانت شهادته مسموماً، بمكرٍ من معاوية، ومروان بن الحكم.

* عن أنس قال: لم يكن أحد أشبه بالنبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من الحسن بن علي. خرّجه البخاري والترمذي.

وعنه قال: كان الحسن بن علي من أشبههم وجهاً بالنبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم.

* وكان الحسن أبيض مشرباً بحُمرة، أدْعَجَ العينين، سهْلَ الخدَّين، دقيق المسربة، كثَّ اللحية، ذا وفرة، كأن عنقه إبريق فضة، عظيم الكراديس، بعيدَ ما بين المنكبين، رِبْعَةً ليس بالطويل ولا بالقصير، من أحسن الناس وجهاً.

* بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه عليه السلام، فقام بالأمر -على قصر عهده- أحسن قيام.

* قال واصل بن عطاء: كان الحسن بن علي عليه السلام، عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك.

* قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لو كان العقل رجلاً لكان الحَسَن**».

*** صالح معاوية في الخامس عشر من شهر جمادى الاولى سنة ٤١ - على أصح الروايات - فحفِظ الدين، وحقنَ دماء المؤمنين، وجرى في ذلك وفق التعاليم الخاصة التي رواها عن أبيه عن جدّه صلّى الله عليهما (وآلهما).**

*** أمره أبوه أمير المؤمنين عليه السلام - عندما أصيب في المسجد - أن يصلّي بالناس.**

*** كانت خلافته "الظاهرة" سبعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً.**

*** رجع بعد توقيع الصلح إلى المدينة، فأقام فيها، وبيتُه حرمُها الثاني لأهلها ولزائريها، والحسن من هذين الحرمين، مشرقُ الهداية، ومعقلُ العلم وموئلُ المسلمين. ومن حوله الطوائف التي نفرت من كلّ فرقة لتتفقّه في الدين، ولتنذر قومها إذا رجعت إليهم، فكانوا تلامذته وحَمَلَة العلم والرواية عنه.**

* كان إذا صلّى الغداة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله جلس في مجلسه، يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يحدّثهم. قال ابن الصباغ في (الفصول المهمّة): ويجتمع الناس حوله، فيتكلّم بما يُشفي غليل السائلين ويقطع حُجَج المجادلين.

* وكان إذا حجّ وطاف بالبيت، يكاد الناس يحطمونه ممّا يزدحمون للسلام عليه، صلوات الله عليه.

* قال أبو الفرج الأصفهاني: وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيءٌ أثقل عليه من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص، فدسّ إليهما سمّاً فماتا منه.

وللدواهي النكر من هذا النوع، صدماتها التي تهزّ الشعور وتوقظ الألم، وتجاوبت الأقطار الاسلاميّة أسى المصيبة الفاجعة، فكان لها في كل كورة مناحة تنذر بثورة، وفي كلّ عقد من السنين ثورة تنذر بانقلاب. والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿.. **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾ الشعراء:٢٢٧.

* دُفن في "بقيع الغرقد" المعروف بالبقيع، مقابل حرم الرسول صلى الله عليه وآله من الجهة الشرقية، بعدما منع تحريض مروان بن الحكم، الذي كان معاوية قد خطّط معه لهذا المنع، والسبب هو ما صرّح به مروان بن الحكم بقوله: إن الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن عند جدّه، والله لَئِن دفنَه ليذهبنَّ فخرُ أبيكِ وصاحبه "..." إلى يوم القيامة.

وقد هدم الوهابيّون في بداية حكم آل سعود القباب التي كانت على قبر الإمام الحسن والأئمّة من وُلد الحسين؛ السجاد والباقر والصادق عليهم السلام. وما تزال كل القلوب المحمديّة في شرق الأرض وغربها تنتظر خروج الحكم في الحجاز من تبعات هذه الإساءة النّكراء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، والتي ورّطه فيها الوهابيّون الخوارج.

* يقول الإمام الخميني قدس سره: **عندما حال البطّالون بين الإمام الحسن عليه السلام وبين ما أراد تحقيقه، صالح معاوية مشترطاً عليه تلك الشروط التي فضحت معاوية، بمقدار ما فضحَ سيدُ الشهداء يزيد.**

الإمـام الحـسن عليه السلام
كما عرَّفـه رسـول اللـه صلى الله عليه وآله

استقبل سيد النبيّين ولادة الإمام الحسن بفرحة الوحي والنبوّة بحامل راية النبوّة في أحلك ظرف تواجهه الأمّة من بعده، ولطالما حذَّر رسول الله من هذا الظرف، ومن المُلك العَضُوض الذي يبدأ مع تحكّم آل أبي سفيان وبني العاص بمصائر المسلمين، لتُحقِّق قريش بواسطة هذا المُلك ما عجزت عن تحقيقه خلال كلّ حروبها بقيادة أبي سفيان.

ما يلي مقتطفات من الحديث النبويّ الشريف عن الإمام الحسن عليه السلام:

* قال رسول الله صلّى الله عليه وآله، عند ولادته عليه السلام، مبادراً: «يا أسماء هاتي ابني»، أو «هلمّي ابني».

* نزل الوحي بتسميته عليه السلام: «سَمِّه حسناً».

* أللّهمّ إنّ هذا ابني وأنا أُحبُّه، فَأَحِبَّه، وأحبَّ من يحبُّه.

* لو كان العقل رجلاً لكان الحسن.

* وقال صلى الله عليه وآله للإمام الحسن عليه السلام: أشبهت خَلْقي وَخُلُقي

* وهو سيد شباب أهل الجنة، وحجّة الله على الأمّة، أمرُه أمري، وقولُه قولي، مَن تَبِعَه فإنّه مني، ومن عصاه فإنه ليس منّي.. الخ.

* أما الحسن فله هيبتي وسؤدُدي ، وأما الحسين فله جودي وشجاعتي.

* لعليّ وفاطمة والحسنين عليهم السلام: أنا سلمٌ لمن سالمتم، وحربٌ لمن حاربتم.

*عن أنس بن مالك قال: دخل الحسن على النبيّ صلّى الله عليه وآله، فأردتُ أن أميطه عنه، فقال صلى الله عليه وآله: ويحك ياأنس، دع ابني، وثمرة فؤادي، فإنّ من آذى هذا آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله.
* للحسين عليه السلام: أنت سيّد، ابنُ سيّد، أخو سيّد، وأنت إمام، ابنُ إمام، أخو إمام، وأنت حجّة، ابن حجّة، أخو حجّة، وأنت أبو حُجَجٍ تسعة، تاسعُهم قائمهم.

* وعنه صلّى الله عليه وآله: وأمّا الحسن فإنّه ابني، وولَدي، و بضعة مني، وقُرَّةُ عيني، و ضياء قلبي، و ثمرة فؤادي، وهو سيد شباب أهل الجنّة، و حجّة الله على الأمّة، أمره أمري، وقوله قولي، مَن تَبِعَه منّي، ومن عصاه فليس منّي. فمن بكاه لم تَعْمَ عينُه يوم تعمى العيون، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب، ومن زاره في بقيعه ثبتت قدمُه على الصراط، يوم تزلّ فيه الأقدام.

الحسنان عليهما السلام

نـوران من نـور الله..

السيد منذر الحكيم*

حبّ أهل البيت عليهم السلام هو الأساس الأقوى لتوحيد أمة الإسلام المحمديّة، وموقع الحسنين من منظومة أهل البيت وأهل الكساء، في الصميم، وعلى هذا تعاقبت الأجيال، وكرّت سبحة العصور. والأمّة اليوم كما كانت في جميع الأدوار، مدعوّة إلى التوحّد على حبّ الإمام الحسن والإمام الحسين، وأهل البيت جميعاً، لتصل بهم ومعهم إلى رسول الله، وعلى أعتابه صلّى الله عليه وآله، إلى حقيقة كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة.

لم تتّفق كلمة المسلمين في شيء كاتّفاقهم على فضل أهل البيت وعلوّ مقامهم العلميّ والروحيّ، واشتمالهم على مجموعة الكمالات التي أراد الله للإنسانية أن تتحلّى بها.

ويعود هذا الإتّفاق إلى جملة من الأصول، منها تصريح الذكر الحكيم بالموقع الخاص لأهل البيت عليهم السلام من خلال النصّ على تطهيرهم من الرجس، وأنّهم القُربى الذين تجب مودّتهم كأجرٍ للرسالة التي أتحف الله بها الإنسانية جمعاء، وأنّهم الأبرار الذين أخلصوا الطاعة لله، وخافوا عذاب الله وتحلّوا بخشية الله، فَضَمِن لهم الجنّة والنجاة من عذابه.

والإمام الحسن المجتبى عليه السلام هو أحد أهل البيت المطهّرين من الرجس بلا ريب، بل هو ابن رسول الله بنصّ آية المباهلة التي جاءت في حادثة المباهلة مع نصارى نجران، وقد خلّد القرآن الكريم هذا الحدث في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران:٦١. وروى جمهور المحدِّثين والمفسّرين بطرق مستفيضة أنّها نزلت في أهل البيت عليهم السلام وهم: رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، والأبناء هنا هما الحسنان بلا ريب.

وتضمّن هذا الحدث تصريحاً من الرسول صلى الله عليه وآله بأنّهم خير أهل الأرض وأكرمهم على الله، ولهذا فهو يباهل بهم، واعترف أُسقف نجران أيضاً قائلاً: «إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله».

وهكذا دلّت القصة كما دلّت الآية على عظيم منزلتهم وسموّ مكانتهم وأفضليتهم، وأنّهم أحبّ الخلق إلى الله ورسوله، وأنّهم لا يدانيهم في فضلهم أحدٌ من العالمين.

ولم ينصّ القرآن الكريم على عصمة أحد غير النبي صلى الله عليه وآله من المسلمين سوى أهل البيت عليهم السلام الذين أراد الله أن يطهّرهم من الرجس تطهيراً. ومن هنا نستطيع أن نفهم السرَّ الكامن في وجوب مودّتهم والالتزام بخطّهم، وترجيح حبّهم على حبّ من سواهم بنصّ الكتاب العزيز، فإنّ عصمة أهل البيت عليهم السلام أدلّ دليل على أنّ النجاة في متابعتهم حينما تتشعّب الطرق وتختلف الأهواء، فمَن عصمه الله من الرجس كان دالّاً على

* أستاذ في الحوزة العلميّة

النجاة وكان مُتّبعُه ناجياً من الغرق.

ونصّ النبيّ صلى الله عليه وآله - كما عن ابن عباس - بأنّ آية المودّة في القربى حينما نزلت، وسأله بعض المسلمين عن المقصود من القرابة التي أوجبت على المسلمين طاعتهم فأجاب قائلاً : إنّهم عليّ وفاطمة وابناهما.

ولا يتركنا القرآن الحكيم حتى يبيّن لنا أسباب هذا التفضيل في سورة الدهر التي نزلت لبيان عظمة الواقع النفسي الذي انطوى عليه أهل البيت، والإخلاص الذي تقترن به طاعتهم وعباداتهم بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ الإنسان:٩-١٢.

لقد روى جمهور المفسّرين والمحدّثين أنّ هذه السورة المباركة نزلت في أهل البيت عليهم السلام بعدما مرض الحسنان، ونذر أمير المؤمنين صيام ثلاثة أيام شكراً لله إن بَرِئا ، فوفَوا بنذرهم أيّما وفاء، وفاءً فيه أروع أنواع الإيثار، حتى نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ الإنسان:٥-٧، فشكر الله سعيَهم على هذا الإيثار والوفاء بما أورثهم في الآخرة، وبما حباهم من الإمامة للمسلمين في الدنيا حتى يرثَ الأرض ومن عليها.

***

عن جابر عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إنّ الله خلقني وخلق عليّاً نورَين بين يدَي العرش، نسبّح الله ونقدّسه قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلمّا خلق الله آدم أسكننا في صُلبه، ثم نقلنا من صُلب طيّب وبطن طاهر حتى أسكننا في صلب إبراهيم، ثم نقلنا من صُلب إبراهيم إلى صلب طيّب وبطن طاهر حتى أسكننا في صُلب عبدالمطّلب، ثمّ افترق النور في عبد المطّلب، فصار ثُلثاه في عبدالله وثُلثُه في أبي طالب، ثمّ اجتمع النور منّي ومن عليّ في فاطمة، فالحسن والحسين نوران من نور ربّ العالمين**».

.. والتسمية إلهيّة

* قال ابنُ الأثير في (أُسد الغابة):

الحسنُ بنُ عليِّ بنِ أبي طالب بنِ عبد المطّلب بنِ هاشم بنِ عبد مناف، القرشيّ الهاشميّ، أبو محمّد، سبطُ النبيِّ صلى الله عليه وآله.

وأمُّه، فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، سيدةُ نساءِ العالمين.

وهو سيِّد شباب أهل الجنّة، وريحانةُ النبيِّ صلى الله عليه وآله، وشبيهُه.

سمّاه النبيّ صلى الله عليه وآله **الحسن**، وعَقَّ عنه يومَ سابعِه، وحلق شعرَه، وأمر أن يُتصدَّق بِزِنَة شعرِه فضّة.

وهو (رابع) أهل الكساء.

* قال أبو أحمد العسكريّ:

سمّاه النبيّ صلى الله عليه وآله، **الحسن**، وكنّاه **أبا محمد**، ولم يكن يُعرف هذا الإسم في الجاهليّة.

* رُوي عن ابن الأعرابي، عن المفضل، قال: إنّ الله حجبَ اسمَ **الحسن والحسين**، حتى سمّى بهما النبيُّ صلى الله عليه وآله ابنيه **الحسنَ والحسين**:

قال، فقلت له: فاللذَين باليمن؟

قال: ذاك حُسْن، ساكن السّين، وحَسِين بفتح الحاء، وكسر السين، ولا يُعرف قبلهما.

الحسنان...
ما سِرُّ هذه التثنية النَّبويَّة؟

أودع رسول الله صلّى الله عليه وآله في صلب عقول الأجيال وأفئدتها الإعتقاد بالحسنين، ووجوب حبِّهما عليهما السلام، وطالما تحدّث عنهما معاً، وطالما رآه الصحابة يحملهما، أو يحادثهما أو يتحدّث عنهما معاً، ويأمر الصحابة بالتزام نهجهما، ويحملهما معاً ويتحدّث عنهما معاً: السبطان، الريحانتان، الإمامان: «قاما أو قعدا».
وقد أجمع المسلمون عبر القرون على أنّ هذا التوكيد ممّن قوله ..وحيٌ يُوحى، - وما ينطق عن الهوى - إنما هو حُجّة إلهيّة يُقيمها رسول الله على الأمة بكلّ أجيالها؛ مؤدّاها أن الحسنين النهجُ والمسار والمصير. فمَن أراد أن يكون محمديّاً بعد عليٍّ والزهراء عليهما السلام، فيجب أن يكون مع الحسنين عليهما السلام.

ترتبط الحياة السياسية للسبط الأكبر الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه ارتباطاً وثيقاً وعضوياً بحياة أخيه السبط الشهيد الإمام الحسين عليه السلام، فهما شريكان في حمل الأمانة الإلهيّة- النبويّة في حفظ الذكر وبقاء الإسلام، سواء على مستوى الموقف، أم على مستوى نتائجه وآثاره.

ولا يقتصر ذلك على الفترة التي عاشاها كإمامين، يتحمّلان بالفعل مسؤوليّة القيادة والهداية للأمة.. بل وينسحب أيضاً حتى على الفترة التي عاشاها في كَنَف جدّهما الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فضلاً عمّا تلاها من تحوّلات وتطوّرات في عهد الخلفاء الثلاثة، ثمّ إبّان تصدّي أبيهما أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه للإمامة الظاهرة.. بل إننا حتى بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام، لَنَجِدُ ملامح الآثار المباشرة لمواقفه عليه السلام على مُجمل المواقف والأحداث التي كان للإمام الحسين عليه السلام التأثير فيها، أو المسؤولية في صنعها..

وليس ذلك - فقط - لأجل أن دور أحدهما - كإمام - لا بدّ من أن يكون امتداداً لدور الآخر.. وإنما يُضاف إلى ذلك طبيعة الظروف التي رافقت حياتهما، والمسؤوليات المتميّزة التي فُرض عليهما القيام بها في تلك الفترة الزمنيّة، ذات الطابع الخاص جداً.. ولأجل ذلك.. فإنّ على من يريد البحث والتعرّف على الحياة السياسية لأحدهما عليه السلام، أن لا يُهمل النظر إلى حياة الآخر، وملاحظة مواقفه. بل لا بدّ وأن يبقى على مقربة منها، إذا أراد أن يستفيد الكثير ممّا يساعده على فهمٍ أعمق لما هو بصدد البحث فيه، ويهدف إلى التعرّف عليه، وعلى أسبابه، وعلى آثاره ونتائجه. "..."

***

عن الشعبي، قال: كنت عند الحجاج، فأُتِيَ بيحيى بن يعمر، فقيه خراسان، من بلخ مكبّلاً بالحديد، فقال له الحجاج: أنت زعمت أنّ الحسن والحسين من ذرية رسول الله؟ فقال: بلى. فقال الحجاج: لتأتيني بها واضحة بيّنة من كتاب الله (!!)، أو لأقطعنَّك عضواً عضواً. فقال: آتيك بها بيّنة واضحة من كتاب الله يا حجّاج. قال: فتعجبتُ من جرأته بقوله: يا حجّاج. فقال له: ولا تأتني بهذه الآية: ﴿..نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ..﴾ آل عمران:٦١. فقال: آتيك بها بيّنة واضحة من كتاب الله، وهو قوله: ﴿..وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ ..﴾ الأنعام:٨٤-٨٥. فمن كان أبو عيسى وقد أُلحق بذرية نوح؟!. قال: فأطرق الحجاج مليّاً، ثم رفع رأسه فقال: كأني لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله.. حلُّوا وثاقه.. إلخ.

من كتاب (الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام) للسيد جعفر مرتضى.

***

من الحديث النبويّ الشريف حول الحسنين عليهما السلام:

* أَحَبُّ أهل بيتي إليَّ: الحسن والحسين...
* أنتما الإمامان، ولأُمِّكما الشفاعة.
* أما الحسن فإنّ له هيبتي وسؤدُدي، وأما الحسين فإنّ له جرأتي وجُودي.
* عن حذيفة بن اليمان، قال: بتُّ عند رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ليلة فرأيت شخصاً، فقال لي النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم: هل رأيت؟ قلت: نعم. قال: فإنّ ملكاً هبط عليّ من السماء لم يهبط عليّ إلا ليلتي هذه، فبشَّرني أنّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.
* عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: من أحبَّ الحسن والحسين فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني.

هَيْبَةُ الإمام الحسن عليه السلام نبويَّة

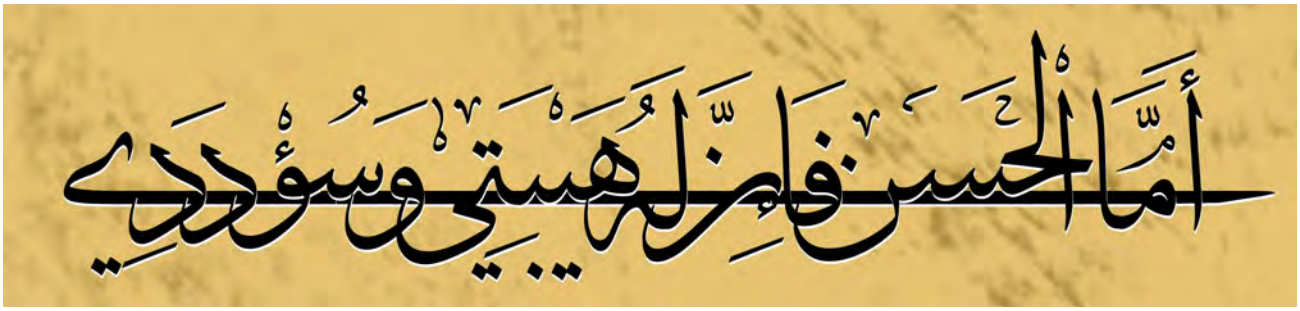

«أما الحسن فإنّ له هيبتي وسؤددي..».

هكذا تحدّث رسول الله صلى الله عليه وآله عن «هيبة» الإمام الحسن عليه السلام، فهل يُدرك القلب ملمحاً من ملامح هذه الهيبة النبويّة؟

ألا تؤدّي الغفلة عن هيبة المعصوم إلى الحكم عليه قياساً بأحجامنا؟

فإذا دار الحديث عن خوف المعصوم كما في قوله تعالى ﴿فخرج منها خائفاً يترقّب..﴾، طبّقنا ذلك على أنفسنا ونسبناه إلى المعصوم: النبيّ موسى أو الإمام الحسين عليهما السلام.

فكيف يتعامل القلب مع هيبة الإمام الحسن عليه السلام؟

هل يؤمن بها لمجرّد العصمة والقداسة، فلا يتفاعل معها إلا لماماً، أم أنّ القلب يُوقن بأنّ هيبة الإمام الحسن عليه السلام، قد قضّت -حتى بعد الصُّلح- مضجع معاوية، وكلَّ طواغيت عصره من عُتاة قريش وفراعنة الأمويّين؟

ما يلي وقفة على أعتاب هيبة السبط الأكبر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

وليس الهدف من استحضار هيبة السبط الأكبر عليه السلام، مجرّد التقديس وإن كان واجباً، بل المقصود بالذات أمران:

١- تصحيح العلاقة بالإمام الحسن عليه السلام وترشيدها، وتنقيتها من رواسب الأخطبوط الإعلامي الذي بدأ اختلاقَ مفرداته دهاقنةُ الأمويين من يهود وغيرهم - الثابت أنّ في الأمويّين خطّاً يهودياً، كما في مصادر كثيرة منها (المعارف) لابن قتيبة - وواكبت رفده الشيطاني الإمبراطوريتان الأمويّة والعباسيّة، وما يزال الكثير من هذه الرواسب في المصادر المختلفة يحول دون الوصول بيُسر إلى التفاعل مع حبّ الإمام الحسن عليه السلام، كما أوجب الله تعالى، وبلّغ سيدُ النبيّين.

٢- أن يتملّى القلب بَرْدَ اليقين بأنّ مشيئة الله تعالى قضت ببقاء الإسلام بتأييد الله سبحانه للإمام الحسن عليه السلام، ولولا قيادته الإلهيّة لمسيرة النبوّة في أحلك ظروفها لما بقي الإسلام.

**

لقد واجه الإمام الحسن عليه السلام المرحلة الأشد خطراً وحراجة وحساسية في تاريخ الرسالة الخاتمة، وكان عليه السلام مأموراً بالصبر و"الصلح" والتنحّي عن موقع السلطة "الرسمي"، وهو ما لم يبلغ حراجتَه الصبر الذي كان أبوه أمير المؤمنين عليه السلام مأموراً به، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

بدأت إمامة الإمام الحسن عليه السلام في ظرفٍ سياسيٍّ شديد التعقيد، يُذكِّر بموازين القوى بين رسول الله وبين "دار الندوة"، وأبي جهل وأبي لهب، وسائر عُتاة قريش، إلا أن "دار الندوة" هذه المرة تتظاهر بالإسلام، وتحمل "قميص عثمان"، فإذا بأبي سفيان - عبر معاوية - وليُّ دم خليفة رسول الله. وهي لحظة سياسية لم تتمكّن من تغييرها دماء خمسة وعشرين ألف شهيد استُشهدوا بين يدَي أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام في صِفّين، بعدما قُتل من جيش "هُبل واللات والعُزّى" و"دار الندوة" خمسة وأربعون ألف مقاتل.

كان العنوان السياسي الأبرز لمرحلة ما بعد شهادة أمير المؤمنين وبدء تاريخ إمامة الإمام الحسن عليه السلام، غربة عليٍّ الثانية التي تجلّت بأمضّ صورها يوم استنفر الناس بعد حرب الخوارج في النهروان، للتوجّه إلى حرب معاوية في الشام، فالتووا واعتذروا: "فَنِيَت نبالُنا، وتثلّمت سيوفنا... نرجع إلى الكوفة لنستعد..."!

وفي الكوفة استنفرهم مجدّداً وجعل الموعد الرحبة، فلم يحضر إلا حوالي ثلاثماءة!! فقال عليه السلام: «**أمَا لو كانوا ألوفاً لكان لي بهم رأي**». وعاود استنفارهم وأرسل من يستنفر الناس من النواحي، وكان عليٌّ عليه السلام طيلة هذه الفترة باديَ الحزن، ظاهر الكآبة، حتى استُشهد قبل أن يرجع من أرسلهم لاستنفار الناس.

**

كان الجو السياسيّ في زمن الإمام الحسن عليه السلام، يعصف بمسارين:

الأول: أن تُعلن قريش- عبر معاوية - ارتدادها عن الإسلام، لتُعلن تحالفها مع "هرقل"، وتستأصل بالحرب بقيّة الصحابة الأبرار والموالين لأهل البيت عليهم السلام.

الثاني: أن تجد أنها قادرة على الحُكم باسم رسول الله والإسلام والقرآن، فتتخذ ذلك «سُلَّماً للإمرة» على حدّ تعبير أمير المؤمنين عليه السلام، فتحافظ على التظاهر بالإسلام وخلافة رسول الله، وما لا ينافي مصلحتها من مكانة رسول الله والقرآن الكريم وتقديسهما.

ومعنى ذلك أنّ الأمر كان يدور بين زوال الإسلام، وبين بقائه ولو «**لُبْسَ الفَرْوِ مقلوبا**» على طريقة معاوية وسائر شياطين الشجرة الملعونة في القرآن.

وكان "حفظ الذكر" يستدعي حسب الخطة الإلهية أن يكون القائد الإلهي الذي يتصدّى لمحاولة القضاء على الإسلام، فرعَ الحقيقة التي تمّ تثبيتها عندما نزل قوله تعالى ﴿..وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته..﴾ المائدة:٦٧، أي أن يكون المتصدّي لهذه المؤامرة الأخطر على الذكر، أكبر من الزمن، وفوق كلّ معادلات عالم المادة، ليكون بقاء الإسلام - بحول الله تعالى وقوّته - رهن موقفه الإلهيّ الذي لا يُقيم وزناً لكلّ الاعتبارات الدنيوية، حتى إن كانت بمثابة "حكم الدولة العظمى- القطب الأوحد آنذاك"، لأنّ الهدف السامي الذي يتطلّع إليه، أكبر من الدنيا وما فيها، وهو إقامة العدل في الدنيا لتنعم البشرية به في ظلّ حدود الله تعالى، وتنال رضى الله سبحانه في الدارين. ولا يمكننا فهم شيء من ذلك إلا عندما نستحضر حجم الصدمة التي ارتطم بها من لم يستطع فهم الخروج على معادلات الدنيا، فاعتبر الإمام الحسن "مُذلَّ المؤمنين"!! وقبل أن نبادر إلى إدانة من قال ذلك وأمثاله، علينا أن نتلمّس قلوبنا هل "تجد حَرَجاً!" أم أنّها "تسلّم تسليماً" لو واجهت مثل هذا الموقف. إنه موقفٌ يُشبهُه من بعيد موقفٌ تعرّض فيه نبيٌّ لامتحان مُشابه حين قتل العبدُ الصالح الغلام، وخرق السفينة وأقام الجدار، ولم يستطع النبيُّ معه صبراً.

فهل تستطيع يا قلب - بصدق - الصبر مع الإمام الحسن، بملءِ اليقين ببالغ الحكمة والمصلحة في موقفه عليه السلام؟

**

هنا بالذات تتجلّى الحاجة إلى "هيبة" الإمام الحسن عليه السلام، لتأخذ بأيدي العقول والقلوب إلى مشارف التفكير بموقفه النبويّ الإلهيّ الحكيم، والذي لولاه لما كانت كربلاء، ولما كان كلّ ما عندنا من عاشورائها الحسنيّة الحسينيّة العظيمة.

كانت الخطة الإلهيّة تقضي باستدراج قريش ومعاويتها وآل أبي سفيانها أجمعين إلى التظاهر باسم الإسلام، وتفويت فرصة إعلان ردّة اللات والعُزّى، التي همس بها أبو سفيان حين ظنّ أنه ليس في المجلس من يُحتشم منه، فقال: تلقّفوها يا بني أمية تلقّف الكرة، فوَالذي يحلف به أبو سفيان، لا جنّة ثمّ ولا نار، وإنما هو المُلك. وكان الطعم في هذا الإستدراج "زهرة الدنيا والسلطان"، وكلُّ ذلك تمهيدٌ ليومٍ يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وآله عبر الحسين عليه السلام: «..ومثلي لا يُبايع مثلَه».

لم يكتفِ الإمام الحسن عليه السلام بعدم إعطاء أيّ شرعية لمعاوية، بل ثبّت عدم شرعيّته، وظلّ يُعلن ذلك إلى شهادته عليه السلام، سواءً في المناظرات العاصفة -التي تُعتبر من أهمّ الوثائق التاريخيّة المُضيّعة- في مجالس معاوية، أم في المجالس الخاصّة والعامّة في الكوفة ومكّة والمدينة. ولعلّ أشهر هذه المناظرات كما وثّقها الطبرسيّ في كتابه الوثائقي الشهير (الإحتجاج) هذه المناظرة:

رُوي عن [عدد من كبار المؤرخين] الشّعبي، وأبي مِخْنَف، ويزيد بن أبي حبيب المصري أنهم قالوا: لم يكن في الإسلام يوم في مشاجرة قوم اجتمعوا في محفل، أكثر ضجيجاً ولا أعلى كلاماً ولا أشدّ مبالغة في قول، من يوم اجتمع فيه عند معاوية بن أبي سفيان عمرو بن عثمان بن عفان، وعمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، والمغيرة بن أبي شعبة، وقد تواطؤا على أمر واحد.

فقال عمرو بن العاص لمعاوية: ألا تبعث إلى الحسن بن علي فتُحضره، فقد أحيا سُنّة أبيه، وخفقت النعال خلفه، أمر فأُطِيع، وقال فَصُدِّق، وهذان يرفعان به إلى ما هو أعظم منهما، فلو بعثت إليه فقصرنا به وبأبيه، وسببناه وسببنا أباه، وصغَّرنا بقدره وقدر أبيه، وقعدنا لذلك حتى [نصدق] لك فيه. فقال لهم معاوية: إني أخاف أن يُقلِّدكم قلايد يبقى عليكم عارها، حتى يدخلكم قبوركم، والله ما رأيته قطُّ إلا كرهتُ جنابَه، وهِبْتُ عتابَه، وإني إنْ بعثتُ إليه لأُنْصِفَنَّه منكم.

قال عمرو بن العاص: أتخاف أن يتسامى باطله على حقّنا، ومرضُه على صحّتنا؟ قال: لا، قال: فابعث إذاً إليه. فقال عتبة: هذا رأيٌ لا أعرفه، والله ما تستطيعون أن تلقوه بأكثر ولا أعظم ممّا في أنفسكم عليه، ولا يلقاكم بأعظم ممّا في نفسه عليكم، وإنه لأهل بيتٍ خَصِمٌ جَدِل. فبعثوا إلى الحسن، فلمّا أتاه الرسول قال له: يدعوك معاوية. قال: ومن عنده؟ قال الرسول: عنده فلان وفلان، وسمَّى كلاً منهم باسمه.

فقال الحسن عليه السلام: ما لهم؟ خَرَّ عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون. ثمّ قال: يا جارية، أبلغيني ثيابي. ثمّ قال: "اللّهمّ إني أدرأُ بك في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم، وأستعينُ بك عليهم، فاكفنيهم بما شئت، وأنّى شئت، من حولك وقوّتك، يا أرحم الراحمين"، وقال للرسول: هذا كلام الفرج،

فلمّا أتى معاوية رحّب به، وحيّاه وصافحه. فقال الحسن عليه السلام: إن الذي حيّيتَ به سلامة، والمصافحةُ أمْن.

فقال معاوية: أجل، إنّ هؤلاء بعثوا إليك وعصوني ليُقرّوك: أنّ عثمان قُتل مظلوماً، وأنّ أباك قتله، فاسمع منهم، ثمّ أَجِبْهم بمثل ما يكلّمونك، فلا يمنعك مكاني من جوابهم. فقال الحسن: فسبحان الله! البيتُ بيتُك والإذنُ فيه إليك! واللهِ لَئِن أجبتَهم إلى ما أرادوا إني لأستحيي لك من الفُحش، وإن كانوا غلبوك على ما تريد إني لأستحيي لك من الضعف، فبأيّهما تُقرّ، ومن أيّهما تعتذر...

ثمّ تُورد المناظرة افتراءات الحاضرين من بني أميّة على الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام في كلام طويل، فتصل إلى جواب الإمام الحسن الذي افتتحه عليه السلام بالمقدّمة التالية:

أحمد الله الذي هدى أوّلكم بأوّلنا، وآخركم بآخرنا، وصلّى الله على جدّي محمّدٍ النبيّ وآله وسلّم. إسمعوا مني مقالتي وأعيروني فهمكم، وبك أبدأ يا معاوية: إنّه لَعَمْرُ الله يا أزرق ما شتمني غيرُك، وما هؤلاء شتموني، ولا سبّني غيرُك وما هؤلاء سبّوني، ولكن شتمتني وسببتني، فُحشاً منك، وسوءَ رأيٍ، وبغياً، وعدواناً، وحسداً علينا، وعداوةً لمحمد صلى الله عليه وآله، قديماً وحديثاً، وأنه والله لو كنت أنا وهؤلاء يا أزرق مشاورين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وحولنا المهاجرون والأنصار ما قدروا أن يتكلّموا به، ولا استقبلوني بما استقبلوني به. فاسمعوا مني أيّها الملأُ المجتمعون المتعاونون عليّ، ولا تكتموا حقاً علمتموه، ولا تصدّقوا بباطلٍ إن نطقتُ به، وسأبدأ بك يا معاوية، ولا أقول فيك إلا دون ما فيك.

أُنشدكم بالله، هل تعلمون أن الرجل الذي شتمتموه [أي أمير المؤمنين عليه السلام] صلّى القبلتين كلتيهما وأنت تراهما جميعاً وأنت في ضلالة تعبد اللّات والعُزّى، وبايع البيعتين كلتيهما؛ بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية بالأُولى كافر وبالأخرى ناكث. ثم قال: أُنشدكم بالله، هل تعلمون أنّ ما أقول حقّاً، أنّه لَقِيَكم مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ومعه راية النبيّ صلى الله عليه وآله والمؤمنين، ومعك يا معاوية رايةُ المشركين وأنت تعبد اللّات والعُزّى، وترى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله فرضاً واجباً، ولقيكم يوم أُحد ومعه راية النبيّ، ومعك يا معاوية راية المشركين، ولقيكم يوم الأحزاب ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله ومعك يا معاوية راية المشركين، كلّ ذلك يُفلج الله حجّتَه، ويُحِقّ دعوتَه، ويُصدّق أُحدوثتَه، وينصر رايتَه، وكلّ ذلك رسول الله يُرى عنه راضياً في المواطن كلّها ساخطاً عليك.

ثم أجاب عليه السلام، كُلّاً منهم بالحُجج النبويّة الساطعة، فظهروا لأنفسهم على حقيقتهم، وعجزوا أن ينبسوا ببنت شفة.

ثمّ قام الحسن فنفض ثيابه وهو يقول: ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات..﴾ هم والله يا معاوية: أنت وأصحابك هؤلاء وشيعتك،..﴿ والطيّبون للطيّبات..﴾ أولئك مبرّؤون ممّا يقولون، لهم مغفرة ورزق كريم، هم علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه وشيعتُه.

ثمّ خرج وهو يقول لمعاوية: ذُقْ وَبالَ ما كسبت يداك وما جَنَتْ، ما قد أعدّ الله لك ولهم من الخزي في الحياة الدنيا والعذابِ الأليم في الآخرة. فقال معاوية لأصحابه: وأنتم فذوقوا وبالَ ما جَنيتُم. فقال الوليد بن عقبة: واللهِ ما ذقنا إلا كما ذقت، ولا اجترأ إلا عليك. فقال معاوية: ألم أقلْ لكم إنّكم لن تنتقصوا من الرجل، فهلّا أطعتموني أوّل مرّة فانتصرتم من الرّجل إذ فضحكُم، فواللهِ ما قام حتى أظلم عليَّ البيت، وهممتُ أن أسطو به، فليس فيكم خيرٌ اليوم، ولا بعدَ اليوم.

قام الإمام الحسن عليه السلام بالمهمّة الأخطر في باب حفظ الذكر بإذن الله، بما يعجز عن القيام به غير المعصوم من معدن سادة المعصومين.

تتجلّى المهابة النبويّة من هذا النص إلى حدٍّ يستدعي أن يعيد المحمديّ النظر في ما عقد عليه القلب من مهابة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومهابة أهل البيت عليهم السلام. فهذا "كسرى العرب" معاوية كما وصفه "الخليفة الثاني" يعترف بأنه لم ير الإمام الحسن عليه السلام إلا هابه واستولت عليه هيبتُه له إلى أن يفارقه!! وهذا عمرو بن العاص "داهية العرب" كما يُقال، يتحدّث عن الآثار الإجتماعية- السياسية لهيبة الإمام الحسن عليه السلام، فيقول: "أحيا سُنَّة أبيه، وخفقتِ النعال خلفه، أَمَرَ فأُطيع، وقال فصُدِّق، وهذان يرفعان به إلى ما هو أعظم منهما!".

وهكذا يتجلّى بوضوح معنى ما قاله الإمام الحسن عليه السلام: «إذا أردت عِزّاً بلا عشيرة، وهيبةً بلا سُلطان، فاخرج من ذلّ معصية الله، إلى عزّ طاعة الله عزّ وجلّ»، ليُشكّل ذلك أساساً لتصحيح العقيدة بالمعصوم عموماً، والإمام الحسن عليه السلام بالخصوص، وليُوقن القلب بأنّه عليه السلام قام بالمهمّة الأخطر في باب حفظ الذكر بإذن الله عزّ وجلّ، بما يعجز عن القيام به غير المعصوم من معدن سادة المعصومين.

وعند شهادته أبّنه أخوه السبط أبو عبد الله الحسين بن عليّ عليهم السلام فقال: «رحمَك الله يا أبا محمّد، إنْ كنت لتباصر الحقّ مظانّه، وتؤثر الله عند التداحض في مواطن التقيّة بحُسن الرويّة، وتستشفّ جليلَ معاظم الدنيا بعينٍ لها حاقرة، وتفيض [تقبض] عليها يداً طاهرة الأطراف، نقيّة الأسرة، وتردع بادرة غرب أعدائك بأيسر المؤونة عليك، ولا غَرْوَ فأنت ابن سلالة النبوّة، ورضيع لُبان الحكمة، فإلى رَوْح وريحان وجنّةِ نعيم، أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه، ووهب لنا ولكم حُسنَ الأسى عنه».

الكـــوفـــة

عـشيّة بيعة الإمام الحسن عليه السلام

صورة قديمة لمسجد الكوفة

لولا قوّة تأثير الإمام الحسن عليه السلام في خُطَبه، وعظيم مكانته في سامعيه، لما تألّف له جيش، ولا قامت له بعدهم قائمة.

خرج عليه السلام إلى الناس، غير ناظر إلى ما يكون من أمرهم معه، ولكنّه وقف على منبر أبيه، ليؤبِّن أباه بعد الفاجعة الكبرى في مقتله صلوات الله وسلامه عليه، فقال:

«لقد قُبض في هذه الليلة رجلٌ لم يسبقه الأوّلون، ولا يدركه الآخِرون. لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجّهه بِرايَته، فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتّى يفتح الله عليه. ولقد تُوفّي في الليلة التي قُبض فيها موسى بن عمران، ورُفع بها عيسى بن مريم، وأُنزِل القرآن، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله».

ووقف بحذاء المنبر في المسجد الجامع - وقد غصَّ بالناس - ابنُ عمه «عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب»، ينتظر هدوء العاصفة الباكية المرنّة، التي اجتاحت الحفل، في أعقاب تأبين الإمام الحسن لأبيه عليهما السلام.

ثم قال - بصوته الجهوريّ الموروث - الذي يدوّي في الأرض دويّ أصوات السماء، وما كان عبيد الله منذ اليوم، إلاّ داعي السماء الى الأرض:

«معاشرَ الناس هذا ابن نبيّكم، ووصيّ إمامكم، فبايعوه، يهدي به الله مَن اتّبع رضوانه سُبل السلام، ويُخرجهم من الظُّلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم الى صراط مستقيم».

وفي الناس إلى ذلك اليوم، كثير مِمَّن سمع نصّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، على إمامته بعد أبيه. فقالوا: «ما أحبّه الينا، وأوجَب حقّه علينا، وأحقّه بالخلافة». وبادروا إلى بيعته راغبين.

وكان ذلك يوم الواحد والعشرين من شهر رمضان، يوم وفاة أبيه عليه السلام، سنة أربعين للهجرة.

الكوفة عشيّة البَيعة

وكان على هذه الشاكلة من عناصر الكوفة إبّان بيعة الحسن عليه السلام أقسام من الناس، لنا أن نصنّفهم كما يلي:

١ - الحزب الأمويّ: وأكبر المنتسبين إليه عمرو بن حريث، وعمارة بن الوليد بن عقبة، وحجر بن عمرو، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري، وإسماعيل وإسحق ابنا طلحة بن عبيد الله، وأضرابهم.

وفي هذا الحزب عناصر قويّة من ذوي الأتباع والنفوذ، كان لها أثرها فيما نُكِبت به قضيّة الحسن من دعاوات، ومؤامرات، وشقاق.

«فكتبوا إلى معاوية بالسمع والطاعة في السرّ، واستحثّوه على المسير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن إليه عند دنوّهم من عسكره، أو الفتك به».

وفي ما يحدّثنا المسعودي في تاريخه: «أنّ أكثرهم أخذوا يكاتبونه - يعني معاوية - سرّاً، ويتبرّعون له بالمواعيد، ويتّخذون عنده الأيادي».

«ودسّ معاوية إلى عمرو بن حريث، والأشعث بن قيس، وحجّار

بن أبجر، وشبث بن ربعي دسيسةً، وآثر كلّ واحد منهم بعين من عيونه، إنّك إذا قتلت الحسن، فلك مائة ألف درهم، وجندٌ من أجناد الشام، وبنتٌ من بناتي. فبلغ الحسن عليه السلام ذلك فاستلأم (لبس اللاّمة)، ولبس درعاً وكفّرها، وكان يحترز ولا يتقدّم للصلاة بهم إلاّ كذلك، فرماه أحدهم في الصلاة بسهم، فلم يثبت فيه لِما عليه من اللاّمة».

٢- الخوارج: وهم أعداء عليّ عليه السلام منذ حادثة التحكيم، كما هم أعداء معاوية.

وأقطاب هؤلاء في الكوفة: عبد الله بن وهب الراسبي، وشبث بن ربعي، وعبد الله بن الكوّاء، والأشعث بن قيس، وشِمر بن ذي الجوشن.

وكان الخوارج أكثر أهل الكوفة لجاجة على الحرب، منذ يوم البَيعة، وهم الذين شرطوا على الحسن عند بيعتهم له حرب الحالّين الضالّين - أهل الشام -، فقبض الحسن يده عن بيعتهم على الشرط، وأرادها على السمع والطاعة وعلى أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم، فأتوا الحسين أخاه، وقالوا له: «إبسط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أباك يوم بايعناه، وعلى حرب الحالّين الضالّين أهل الشام». فقال الحسين: «**معاذ الله أن أُبايعكم ما دام الحسن حيّاً**». فانصرفوا إلى الحسن، ولم يجدوا بدّاً من بيعته على شرطه».

٣- الشكّاكون: ورأينا ذكر هؤلاء في ما عرضه المفيد رحمه الله من عناصر جيش الحسن عليه السلام. والذي يغلب على الظن، أنّ تسميتهم بالشكّاكين ترجع إلى تأثّرهم بدعوة الخوارج من دون أن يكونوا منهم، فهم المذبذبون، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء.

ورأيت المرتضى في أماليه (ج ٣، ص ٩٣) يذكر «الشكّاك» استطراداً ويلوّح بكفرهم، وكأنّه فهم عنهم التشكيك بأصل الدِّين.

وكانوا طائفة من سكّان الكوفة ومن رُعاعها المهزومين، الذين لا نيّة لهم في خير، ولا قدرة لهم على شرّ، ولكنّ وجودهم لنفسه كان شرّاً مستطيراً، وعوناً على الفساد، وآلة مُسخَّرةً في أيدي المفسدين.

٤- الحمراء: وهم عشرون ألفاً من مسلّحة الكوفة (كما يُحصيهم الطبري في تاريخه). كانوا عند تقسيم الكوفة في السبع الذي وضع فيه أحلافهم من بني عبد القيس، وليسوا منهم، بل ليسوا عرباً، وإنّما هم المهجّنون من موالٍ وعبيد، ولعلّ أكثرهم من أبناء السبايا الفارسيّات اللاّئي أُخذْنَ في «عين التمر» و«جلولاء» من سنة ١٢ - ١٧هـ، فهُم حَمَلة السلاح سنة ٤١ وسنة ٦١ في أزمات الحسن والحسين عليهما السلام في الكوفة، فتأمّل.

والحمراء شرطة زياد الذين فعلوا الأفاعيل بالشيعة سنة ٥١ وحواليها، وكانوا من أولئك الذين يحسنون الخدمة حين يغريهم السوْم، فهم على الأكثر أجناد المتغلِّبين، وسيوف الجبابرة المنتصرين.

وقويت شوكتهم بما استجابوا له من وقايع وفِتَن في مُختلف الميادين التي مرّ عليها تاريخ الكوفة مع القرن الأوّل. وبلغ من استفحال أمرهم في الكوفة أن نسبوها إليهم، فقالوا «كوفة الحمراء».

وكان في البصرة مثل ما في الكوفة من هؤلاء المهجَّنين الحمر. وخَشِي زياد - وكان والي البصرة إذ ذاك - قوّتهم فحاول استئصالهم، ولكنّ الأحنف بن قيس منعه عمّا أراد.

ووهم بعض كتّاب العصر، إذ نسب هؤلاء الى التشيّع، أبعد ما يكونون عنه آثاراً ونكالاً بالشيعيّين وأئمّتهم. ولا نُنكر أن يكون فيهم أفراداً رأوا التشيّع، ولكنّ القليل لا يُقاس عليه.

٥- الموالون: وكان إلى جنب هذه العناصر العدوّة في الكوفة «شيعة الحسن»، وهم الأكثر عدداً في عاصمة عليّ عليه السلام، وفي هؤلاء جمهرة من بقايا المهاجرين والأنصار، لحقوا عليّاً عليه السلام إلى الكوفة، وكان لهم من صحبتهم الرسول صلّى الله عليه وآله ما يفرض لهم المكانة الرفيعة في الناس.

وبرهن رجالات الشيعة في الكوفة على إخلاصهم لأهل البيت عليهم السلام، منذ نُودي بالحسن للخلافة، ومنذ نادى - بعد خلافته - بالجهاد، وفي سائر ما استقبله من مراحل. ولو قُدِّر لهؤلاء الشيعة أن يكونوا - يومئذٍ - بِمَنجاة من دسائس المواطنين الآخرين، لكانوا العدّة الكافية لدرء الأخطار التي تعرّضت لها الكوفة من الشام، وكان في هذه المجموعة المباركة من الحيويّة والقابليّة ما لا يستطيع أحد نكرانه، ونعني بالحيويّة القابليّات التي تهضم المشاكل وتفهمها، وتعطيها الأهميّة المطلوبة في حلولها.

وما ظنّك بقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وحِجر بن عَديّ الكندي، وعمرو بن الحمْقِ الخزاعي، وسعيد بن قيس الهمداني، وحبيب بن مظاهر الأسدي، وعديّ بن حاتم الطائي، والمسيّب بن نجبة، وزياد بن صعصعة، وآخرين من هذا الطراز.

أمّا الطوارئ المستعجلة المعاكسة، والأصابع المأجورة الهدّامة، فقد كانت تعمل دائماً، لتغلب هذه القابليّات، ولتغيّر من هذا التقدير.

السِّبط الأكبر

من الولادة إلى الشهادة

من أبرز ما كُتب عن السبط الأكبر الحسن المجتبى عليه السلام، كتاب «صلح الحسن عليه السلام» للفقيه الشيخ راضي آل ياسين قدّس سرّه.

ما يلي تلخيص وافٍ، يشكّل مسرداً مكثّفاً - وبتصرُّف - لسيرة الإمام الحسن عليه السلام، كما وردت في هذا الكتاب القَيِّم.

أبوه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وأمّه سيّدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله، صلّى الله عليه وعليهم. ولا أقصر من هذا النسب في التاريخ، ولا أشرف منه في دنيا الأنساب.

مولده

وُلد في المدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث للهجرة، وهو بِكر أبويه. أخذه النبيّ صلى الله عليه وآله فور ولادته، فأذّن في أُذُنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ثمّ عقّ عنه، وحَلَق رأسه، وتصدَّق بِزِنة شعره فضّة، فكان وزنه درهماً وشيئاً. وأمر فطُلي رأسه طِيباً، وسُنَّت بذلك العقيقة والتصدّق بوزن الشعر. وسمّاه «حسناً»، ولم يُعرف هذا الاسم في الجاهليّة. وكنّاه «أبا محمّد»، ولا كنية له غيرها.

ألقابه: السبط، السيّد، الزكيّ، المُجتبى، التقيّ.

زوجاته

تزوّج «أم اسحق» بنت طلحة بن عبيد الله، و«حفصة» بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، و«هند» بنت سهيل بن عمرو، و«جعدة» بنت الأشعث بن قيس، وهي التي أغراها معاوية بقتله، فقتلته بالسمّ. ولا نعهد أنّه اختصّ من الزوجات - على التعاقب - بأكثر من ثمانٍ أو عشرٍ، على اختلاف الروايتين، بمن فيهنّ أمّهات أولاده. ونَسب الناس إليه زوجات كثيرات، صعدوا في أعدادهنّ ما شاؤوا.

أولاده

كان له خمسة عشر ولداً بين ذكر وأنثى، هم: زيد، والحسن، وعمرو، والقاسم، وعبد الله، وعبد الرحمن، والحسن الأثرم، وطلحة، وأم الحسن، وأم الحسين، وفاطمة، وأم سلمة، ورقيّة، وأم عبد الله. وجاء عَقِبُه من ولديه الحسن وزيْد، ولا يصحّ الانتساب إليه من غيرهما.

أوصافه

«لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن عليّ عليه السلام خَلقاً وخُلقاً وهيئةً وهدياً وسؤدداً». بهذا وصفه واصفوه، وقالوا: كان أبيض اللون مشرّباً بِحُمرة، أدعج العينين، سهل الخدّين، كثّ اللحية، جعد الشعر ذا وفرة، كأنّ عنقه إبريق فضّة، حَسَن البدن، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الكراديس، دقيق المسربة، ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، مليحاً مِن أحسن الناس وجهاً. أو كما قال الشاعر:

قد جلّ عن طِيبِ أهل الأرض عنبرُه
ومِسكه فهو الطِّيب السماوي.

وقال واصل بن عطاء: «كان الحسن بن عليّ عليه السلام، عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك».

بعضُ عبادتِه

حجّ خمساً وعشرين حجّة ماشياً، والنجائبُ لَتُقادُ معه، وإذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث بكى، وإذا ذكر الممرّ على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله تعالى ذكرُه شهق شهقةً يُغشى عليه منها، وإذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم، وسأل الله الجنّة وتعوّذ بالله من النار. وكان إذا توضّأ، أو إذا صلّى ارتعدت فرائصه واصفرّ لونه. وقاسمَ اللهَ تعالى ماله ثلاث مرّات، وخرج من ماله لله تعالى مرّتين. ثمّ هو لا يمرّ في

قال محمّد بن اسحق: «ما بلغ أحدٌ من الشرف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما بلغ الحسنُ بن عليّ. كان يُبسَطُ له على باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما يمرّ أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا عَلِم قام ودخل بيته فيمرّ الناس».

شيء من أحواله إلاّ ذكر الله عزّ وجلّ. قالوا: «وكان أعبَد الناس في زمانه وأزهدهم بالدنيا».

أخلاقه

كان في شمائله آية الإنسانيّة الفُضلى، ما رآه أحد إلاّ هابَه، ولا خالطه إنسان إلاّ أحبّه، ولا سمعه صديق أو عدوّ وهو يتحدّث أو يخطب فَهَان عليه أن يُنهي حديثه أو يسكت.

قال ابن الزبير فيما رواه ابن كثير (ج ٨، ص ٣٧): «والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن عليّ». وقال محمّد بن اسحق: «ما بلغ أحدٌ من الشرف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما بلغ الحسنُ بن عليّ. كان يُبسَطُ له على باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما يمرّ أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا عَلِم قام ودخل بيته فيمرّ الناس».

...أمّا علمت أنّ المعروف ما كان ابتداءً من غير مسألة، فأمّا مَن أعطيته بعد مسألة، فإنّما أعطيتَه بما بَذَلَ لك من وجهه، وعسى أن يكون بات ليلته متململاً أرقاً، يميل بين اليأس والرجاء، لا يعلم بما يرجع من حاجته، أبِكآبة الردّ، أمْ بسرور النجح، فيأتيكَ وفرائصه ترعد وقلبه خائف يخفق، فإن قضيتَ له حاجته فيما بذل من وجهه، فإنّ ذلك أعظم ممّا نال من معروفك.

ونزل عن راحلته في طريق مكّة فمشى، فما مِن خلق الله أحدٌ إلاّ نزل ومشى حتى سعد بن أبي وقاص، فقد نزل ومشى إلى جنبه. وقال مدرك بن زياد لابن عباس، وقد أمسك للحسن والحسين بالركاب وسَوَّى عليهما ثيابهما: «أنت أسَنّ منهما تمسك لهما بالرِّكاب؟». فقال: «يا لُكَع! وما تدري مَن هذان؟ هذان ابنا رسول الله، أوَ ليس ممّا أنعم الله عليّ به أن أُمسك لهما، وأُسوِّي عليهما!».

التواضع

وكان من تواضعه على عظيم مكانته، أن مرَّ بفقراء وضعوا كُسَيْرات على الأرض، وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له: هلمّ يا ابن رسول الله إلى الغداء! فنزل وقال: **إنّ الله لا يُحبّ المتكبِّرين**، وجعل يأكل معهم، ثمّ دعاهم إلى ضيافته فأطعمهم وكساهم.

وكان من كرمه أن أتاه رجل في حاجة، فقال له: أكتب حاجتك في رقعة وارفعها إلينا. قال: فرفعها إليه فأضعفها له، فقال له بعض جلسائه: ما كان أعظم بركة الرقعة عليه يا ابن رسول الله! فقال: **بركتُها علينا أعظم، حين جُعِلنا للمعروف أهلاً، أمَا علِمت أنّ المعروف ما كان ابتداءً من غير مسألة، فأمّا مَن أعطيته بعد مسألة، فإنّما أعطيتَه بِما بَذَلَ لك من وجهه، وعسى أن يكون بات ليلته متململاً أرقاً، يميل بين اليأس والرجاء، لا يعلم بما يرجع من حاجته، أبِكآبة الردّ، أمْ بِسرور النجح، فيأتيكَ وفرائصه ترعد وقلبه خائف يخفق، فإن قضيتَ له حاجته فيما بذل من وجهه، فإنّ ذلك أعظم ممّا نال من معروفك.**

ورأى غلاماً أسود يأكل من رغيفٍ لقمة، ويُطعم كلباً هناك لقمة، فقال له: ما حملك على هذا؟ قال: إنّي أستحي منه أن آكل ولا أُطعمه، فقال له الحسن: لا تبرح مكانك حتى آتيك. فذهب إلى سيّده، فاشتراه واشترى الحائط (البستان) الذي هو فيه، فأعتقه، وملَّكَه الحائط.

وأخبار كرمُه صلوات الله عليه أكثرمن أن تُحصى.

الحلم والزهد

وكان من حِلمه ما يوازن بَه الجبال - على حدّ تعبير مروان بن الحكم عنه. وكان من زهده ما خصّص له محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه المتوفّى سنة ٣٨١ هجري كتاباً سمّاه «كتاب زهد الحسن عليه السلام»، وناهيك بِمَن زهد بالدنيا كلّها في سبيل الدِّين.

ومن مناقبه

أنّه سيّد شباب أهل الجنة، وأحد الإثنين اللّذين انحصَرَتْ ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله فيهما، وأحد الأربعة الذين باهل بهم النبيّ نصارى نجران، وأحد الخمسة أصحاب الكساء، وأحد الإثني عشر الذين فرض الله طاعتهم على العباد، وهو أحد المطهَّرين من الرِّجْس في الكتاب، وأحد الذين جعل الله مودَّتهم أجراً للرسالة، وجعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله أحد الثقلين اللّذين لا يضلّ من تمسَّك بهما. وهو رَيْحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وحبيبه الذي يُحبُّه ويدعو الله أن يُحبَّ مَن أحبَّه. وله من المناقب ما يطول بيانه، ثمّ لا يحيط به البيان، وإنْ طال.

الوصيّة له

أوْصى اليه أمير المؤمنين عليه السلام عند شهادته قائلاً: «**يا بنيّ، أنت وليّ الأمر ووليّ الدم**»، وأَشهدَ على وصيّته الحسين ومحمّداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ودفع إليه الكتاب والسلاح، ثم قال له: «**يا بنيّ أمرني رسول الله أن أُوصي إليك، وأن أدفع**

إليك كُتبي وسلاحي، كما أوصى إليّ رسول الله ودفع إليّ كُتُبه وسلاحه. وأمرني أن آمرك: إذا حضرك الموت أن تدفعها الى أخيك الحسين». ثمّ أقبل على الحسين فقال: «وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك هذا». ثمّ أخذ بيد عليّ بن الحسين وقال: «وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمّد. فأقرِئه من رسول الله ومنّي السلام».

البيعة

بُويع بالخلافة بعد وفاة أبيه عليه السلام، فقام بالأمر - على قصر عهده - أحسن قيام، وصالح معاوية في الخامس عشر من شهر جمادى الأولى سنة ٤١ - على أصحّ الروايات - فَحَفظ الدِّين، وحقن دماء المؤمنين، وجرى في ذلك وفق التعاليم الخاصة التي رواها عن أبيه عن جدّه صلّى الله عليهما. فكانت خلافته "الظاهرة" سبعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً.

خطبته بعد البيعة

ويعود الإمام الحسن عليه السلام - بعد أن أُخذت البيعة له - فيفتتح عهده الجديد، بخطابه التاريخيّ البليغ، الذي يستعرض فيه مزايا أهل البيت وحقّهم الصريح في الأمر، ثمّ يصارح الناس فيه بما ينذر به الجوّ المتلبّد بالغيوم من مفاجآت وأخطار.

فيقول - وهو بعض خطابه -:

«نحن حزب الله الغالبون، وعِترة رسول الله الأقربون، وأهل بيته الطيّبون الطاهرون، وأحد الثقلَيْن اللّذين خلّفهما رسول الله في أمّته، ثاني كتاب الله الذي فيه تفصيل كلّ شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعوّل علينا في تفسيره، لا نَتظنّن تأويله بل نَتيقّن حقائقه، فأطيعونا فإنّ طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ..﴾ النساء:٥٩، وقال: ﴿..وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ..﴾ النساء:٨٣». ثمّ يمضي في خطابه، ويردف أخيراً بقوله:

«وأُحذّركم الإصغاء لهتاف الشيطان فإنّه لكم عدوّ مُبين، فتكونون كأوليائه الذين قال لهم: ﴿..لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ..﴾ الأنفال:٤٨، فستلقون للرماح ورداً، وللسيوف جزراً، وللعُمُد حطماً، وللسهام غَرَضاً. ثمّ ﴿.. لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ..﴾ الأنعام:١٥٨». ثمّ نزل من على منبره، فرتب العمّال، وأمَّر الأمراء ونظر في الامور.

الاستعداد للحرب

زاد الإمام الحسن عليه السلام في عطاء المقاتلة مائة مائة، وبادر إلى ضبط الوضع الأمنيّ.روى أبو الفرج الأصفهاني: وكتب الحسن إلى معاوية: أمّا بعد، فأنت دَسَسْت إليَّ الرجال، كأنّك تحبّ اللقاء، لا أشكّ في ذلك، فتوقّعه إن شاء الله، وبلغني أنّك شَمِتَّ بما لم يشمت به ذَوو الحجى (يشير إلى ما تظاهر به معاوية من الفرح بشهادة أمير المؤمنين عليه السلام)، وإنّما مثَلك في ذلك كما قال الأوّل:

فإنّا ومَـن قـد مات منّا لكالّذي
يـــروح ويُمسي في المبيت ليغتدي
فَقُل للذي يبغي الخلاف الذي مضى
تجـــهَّز لأخرى مثـــلها فكَأَنْ قَدِ.

المبادرة إلى نهي معاوية عن شقّ عصا المسلمين

وكتب الحسن عليه السلام الى معاوية مع حرب بن عبد الله الأزدي:

مِن الحسن بن عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان. سلام عليك فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو. أمّا بعد، فإنّ الله جلّ جلاله بعث محمّداً رحمة للعالمين ومنّةً للمؤمنين، وكافّة للناس أجمعين، لِيُنذر مَن كان حيّاً ويحقّ القوْل على الكافرين. فبلّغ رسالات الله، وقام بأمر الله، حتى توفّاه الله غير مقصّرٍ ولا وانٍ، وبعد أن أظهر الله به الحقّ، ومَحَق به الشرك.

وخصّ به قريشاً خاصّة، فقال له: وإنّه لذكر لك ولقومك. فلمّا تُوفّي، تنازعت سلطانَه العربُ، فقالت قريش: نحن قبيلته وأُسرته وأولياؤه، ولا يحلّ لكم أن تنازعونا سلطان محمّد وحقّه. فرأت العرب أنّ القول ما قالت قريش، وأنّ الحجّة في ذلك لهم على مَن نازعهم أمر محمّد، فأنعمت لهم وسلّمت إليهم.

ثمّ حاججنا نحن قريشاً، بِمِثل ما حاججت به العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها. إنّهم أخذوا هذا الامر دون العرب بالإنصاف والاحتجاج، فلمّا صرنا - أهل بيت محمّد وأولياءهُ - إلى محاجّتهم وطلب النصف منهم، باعدونا واستولوا بالاجتماع على ظُلمنا ومُراغمتنا والعَنَت منهم لنا. فالموعد الله، وهو الوليّ النصير.

ولقد كنّا تعجّبنا لِتوثُّب المتوثِّبين علينا في حقّنا وسلطان بيتنا. وإذ كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، أمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدِّين أن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغمزاً يثلمون به، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده.

فاليوم فليتعجَّب المتعجِّب من تَوَثّبك يا معاوية على أمرٍ لستَ من أهله، لا بفضلٍ في الدِّين معروف، ولا أثَر في الإسلام محمود. وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله صلّى الله عليه وآله ولِكتابه.

واللهُ حسيبُك، فَسَتَرِد عليه وتعلم لِمَن عُقبى الدار. وبالله لَتَلقينَّ عن قليلٍ ربّك، ثم ليَجزينَّك بما قدَّمَت يداك. وما اللهُ بظلاّمٍ للعبيد. إنّ عليّاً لمّا مضى لسبيله - رحمةُ الله عليه يومَ قُبِض، ويومَ منَّ الله عليه بالإسلام، ويومَ يُبعث حيّاً - ولّانى المسلمون الأمرَ من بعده. فأسأل الله أن لا يؤتينا في الدنيا الزائلة شيئاً يُنقصنا به في الآخرة ممّا عنده من كرامة. وإنّما حملني على الكتابة إليك، الإعذار فيما بيني وبين الله عزّ وجلّ في أمرك، ولك في ذلك، إن فعلتَه، الحظُّ الجسيم والصلاح للمسلمين.

فَدَع التمادي في الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بَيْعتي، فإنّك تعلم أنّي أحقّ بهذا الأمر منك عند الله وعند كلّ أوّابٍ حفيظ، ومَن له قلبٌ مُنيب، واتّقِ الله، ودَعِ البَغْي، واحقن دماء المسلمين، فوالله ما لك خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر ممّا أنت لاقيه به. وادخل في السِّلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله ومَن هو أَحقّ به منك، ليطفئ الله النائرة بذلك، ويجمع الكلمة ويصلح ذات البَيْن. وإن أنت أَبَيْتَ إلاّ التمادي في غيّك، سرْتُ إليك بالمسلمين، فحاكمتُك حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

التخاذل عن الحرب معه

قالت النصوص التاريخيّة في ما ترفعه إلى الحارث الهمداني كشاهد عيان: «وركب معه - أيْ مع الحسن - مَن أراد الخروج، وتخلّف عنه خلق كثير لم يفوا بما قالوا وبما وعدوا، وغرّوه كما غرّوا أمير المؤمنين من قبله. وعَسْكَرَ في النخيلة عشرة أيّام، فلم يحضره إلاّ أربعة آلاف. فرجع إلى الكوفة ليستنفر الناس، وخطب خطبته التي يقول فيها: قد غرَرْتُموني كما غررتم مَن كان قبلي..».

أقول: ثمّ لا ندري على التحقيق عدد مَن انضوى إليه بعد ذلك، ولكنّا علِمنا أنّه «سار من الكوفة في عسكر عظيم»، على حدّ تعبير ابن أبي الحديد في شرح النهج. وحديث الأمراء الذين أرسلهم لحرب معاوية، وبيعهم أنفسهم والجيش لمعاوية، حديث مشهور. ثمّ كانت خيانة القادة في جيش الإمام الحسن عليه السلام، وصولاً إلى الصلح، ودخول معاوية الكوفة.

الاجتماع في مسجد الكوفة

ونُوديَ في الناس الى المسجد الجامع، ليستمعوا هناك إلى الخطيبيْن الموقّعيْن على معاهدة الصلح. وكان لا بدّ لمعاوية، أن يستبِق إلى المنبر، فسبق إليه وجلس عليه، وخطب في الناس خطبته الطويلة، التي لم تروِ المصادر منها إلاّ فقراتها البارزة فحسب.

منها - على رواية اليعقوبي -: «أمّا بعد ذلكم، فإنّه لم تختلف أمّة بعد نبيّها، إلاّ غلب باطلها حقّها!!» - قال: «وانتبه معاوية لما وقع فيه. فقال: إلاّ ما كان من هذه الأمّة، فإنّ حقَّها غلب باطلها!!».

ومنها - على رواية المدائني -:

«يا أهل الكوفة، أترونني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحجّ، وقد علمتُ أنّكم تصلّون وتزكّون وتحجّون، ولكنّي قاتلتُكم لأتأمَّر عليكم وأَلِيَ رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون! ألا إنّ كلّ دم أُصيب في هذه الفتنة مطلول، وكلّ شرط شرطْتُه فتحت قدميّ هاتين! ولا يُصلِح الناس إلاّ ثلاث: إخراج العطاء عند محلّه، وإقفال الجنود لوقتها، وغزو العدوّ في داره، فإنْ لم تغزوهم، غزوكم».

ورَوَى أبو الفرج الأصفهاني عن حبيب بن أبي ثابت مسنداً، أنّه ذكر في هذه الخطبة عليّاً فنال منه، ثمّ نال من الحسن!

وزاد أبو اسحق السبيعي في ما رواه من خطبة معاوية قوله: «ألا وإنّ كلّ شيء أعطيتُ الحسن بن عليّ تحت قدميّ هاتين، لا أَفي به!». قال أبو إسحق: «وكان والله غدّاراً».

ثمّ تطلّع الناس، فإذا هم بابن رسول الله الذي كان أشبههم به خَلقاً وخُلقاً وهيبة وسؤدداً، يخطو من ناحية محراب أبيه في المسجد العظيم ليصعد على منبره. وفي غوغاء الناس ولغٌ بالفضول لا يصبر عن استقراء الدقائق من شؤون الكبراء، فذكروا لجلجة معاوية في خطبته، ورباطة الجأش الموفورة في الحسن وقد استوى على أعواده، وأخذ يستعرض الجموع الزاخرة التي كانت تضغط المسجد الرحب على سعته، وكلّها - إذ ذاك - أسماع مرهفة لا همَّ لها إلاّ أن تعي ما يردُّ به على معاوية، فيما خرج به عن موضوع الصلح، فنقض العهود، وأهدر الدماء، وتطاول على الأولياء.

وكان الحسن بن عليّ عليه السلام أسرع الناس بديهةً بالقول، وأبرع الخطباء المفوّهين على تلوين الموضوعات، فخطب في هذا الموقف الدقيق، خطبته البليغة الطويلة، التي جاءت من أروع الوثائق عن الوضع القائم بين الناس وبين أهل البيت عليهم السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وَوعظ ونَصح ودعا المسلمين - في أوّلها - إلى المحبة والرضا والاجتماع، وذكّرهم - في أواسطها - مواقف أهله بل مواقف الأنبياء، ثم ردّ على معاوية - في آخرها - من دون أن يناله بِسبٍّ أو شتم، ولكنّه كان بأسلوبه البليغ، أوجعَ شاتم وسابّ.

خطبة الإمام الحسن عليه السلام

«الحمد للّه كلّما حَمده حامد، وأشهد أن لا اله إلاّ اللّه كلّما شهد له شاهد. وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى، وائتمَنَه على الوحي، صلى اللّه عليه وآله وسلّم. أمّا بعد، فواللّه إنّي لأرجو أن أكون قد أصبحتُ بحمد اللّه ومنّه، وأنا أنصحُ خلق اللّه لخلقه، وما أصبحتُ محتملاً على مسلم ضغينة، ولا مريداً له سوءاً ولا غائلة. ألا وإنَّ ما تكرهون في الجماعة، خيرٌ لكم ممّا تُحبّون في الفُرقة، ألا وإنّي ناظرٌ لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردّوا عليَّ رأيي. غفر اللّه لي ولكم، وأرشدني وإيّاكم لِما فيه المحبّة والرضا».

ثمّ قال: «أيّها الناس، إنّ اللّه هداكم بأوّلنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإنّ لهذا الامر مدّة، والدنيا دُول. قال اللّه عزّ وجل لنبيّه محمّد صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: قل ﴿ .. وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ الأنبياء: ١٠٩-١١١».

ثمّ قال: «.. وإنّ معاوية زعم لكم أنّي رأيته للخلافة أهلاً، ولم أرَ نفسي لها أهلاً، فكذب معاوية. نحن أَوْلى الناس بالناس في كتاب اللّه عزّ وجلّ وعلى لسان نبيّه. ولم نزل -أهل البيت- مظلومين منذ قبضَ اللّه نبيَّه. فاللّه بيننا وبين مَن ظلمنا، وتوثّب على رقابنا، وحمل الناس علينا، ومنعنا سهمنا من الفيء، ومنع أُمَّنا ما جعل لها رسولُ اللّه. وأقسمُ باللّه لو أنّ الناس بايعوا أبي حين فارقهم رسول اللّه، لأعطتهم السماء قَطرَها والأرض بركتها، ولما طَمعتَ فيها يا معاوية.. فلمّا خرجتْ من معدنها، تنازعتها قريشٌ بينها، فطمع فيها الطلقاء وأبناء الطلقاء، أنت وأصحابك. وقد قال رسول اللّه: ما ولّت أمّة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه، إلاّ لم يزل أمرهم يذهب سفالاً، حتى يرجعوا إلى ما تركوا. فقد ترك بنو إسرائيل هارون وهم يعلمون أنّه خليفة موسى فيهم، واتّبعوا السامريّ، وتركت هذه الأمّة أبي وبايعوا غيره، وقد سمعوا رسول اللّه يقول له: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ النبوّة، وقد رأوا رسول اللّه نصب أبي يوم غدير خم، وأمرهم أن يُبلِّغ أمرَه الشاهدُ الغائبَ. وهرب رسول اللّه من قومه وهو يدعوهم الى اللّه، حتى دخل الغار، ولو أنّه وجد أعواناً لما هرب، كفّ أبي يده حين ناشدهم، واستغاث فلم يُغث. فجعل اللّه هارون في سِعةٍ حين استضعفوه وكادوا يقتلونه، وجعل اللّه النبيّ في سعة حين دخل الغار ولم يجد أعواناً. وكذلك أبي وأنا في سعة من اللّه، حين خذلتنا هذه الأمّة. وإنّما هي السُّنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً».

ثمّ قال: «فوالذي بعث محمّداً بالحقّ، لا ينتقص من حقّنا - أهل البيت - أحدٌ إلاّ نقصه اللّه من عمله، ولا تكون علينا دولة إلاّ وتكون لنا العاقبة، وَلتعلَمُنَّ نبأه بعد حين».

ثم دار بوجهه إلى معاوية ثانياً، ليردّ عليه نيله من أبيه، فقال - وما أروع ما قال -:

«أيّها الذاكر عليّاً! أنا الحسنُ وأبي عليّ، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمّي فاطمة وأمّك هند، وجدّي رسول اللّه وجدّك عتبة بن ربيعة، وجدّتي خديجة وجدّتك فتيلة، فلعن اللّه أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرّنا قديماً وحديثاً، وأقدَمنا كفراً ونفاقاً!!».

قال الراوي: «فقال طوائف من أهل المسجد: آمين. قال الفضل بن الحسن: قال يحيى بن معين: وأنا أقول آمين. قال أبو الفرج قال أبو عبيد قال الفضل: وأنا اقول آمين. ويقول عليّ بن الحسين الأصفهاني (أبو الفرج): آمين، قال ابن أبي الحديد: قلت ويقول عبد الحميد بن أبي الحديد مصنِّف هذا الكتاب (يعني شرح النهج): آمين». أقول: ونحن بدورنا نقول: آمين.

وهذه الخطبة هي الوحيدة في تاريخ الخطابات العالمية، التي حظيت بهتاف الأجيال على طول التاريخ.

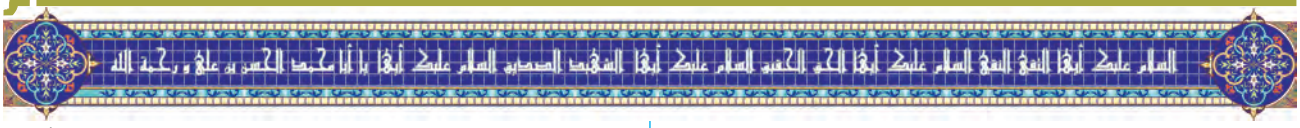

إلى المدينة

ورجع الإمام الحسن عليه السلام بعد توقيع الصلح إلى المدينة، فأقام فيها، وبيتُه حرمها الثاني لأهلها ولزائريها. وهو من هذين الحرمين، مشرقُ الهداية، ومعقل العلم، ومَوْئل المسلمين. ومن حوله الطوائف التي نفرت من كلّ فرقة لتتفقّه في الدِّين، ولتنذر قومها إذا رجعت إليهم. فكانوا تلامذته وحَمَلَة العلم والرواية عنه. وكان بما أتاح الله له من العلم، وبما مكّن له في قلوب المسلمين من المقام الرفيع، أقدر إنسان على توجيه الأمّة وقيادتها الروحيّة، وتصحيح العقيدة، وتوحيد أهل التوحيد. وكان إذا صلّى الغداة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله جلس في مجلسه، يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يحدّثهم. قال ابن الصباغ في (الفصول المهمة): «ويجتمع الناس حوله، فيتكلّم بما يشفي غليل السائلين ويقطع حجج المجادلين». وكان إذا حجّ وطاف بالبيت، يكاد الناس يحطمونه ممّا يزدحمون للسلام عليه عليه السلام.

الشهادة

سُقِي الإمام الحسن عليه السلام، السمّ مراراً، وأحسّ بالخطر في المرّة الأخيرة، فقال لأخيه الحسين عليه السلام: «**إنّي مفارقُك ولاحقٌ بربّي، وقد سُقيتُ السُمّ، ورميتُ بكبدي في الطست، وإنّي لعارفٌ بمن سقاني السمّ ومن أين دُهيت، وأنا أخاصمُه إلى الله عزّ وجلّ**».

ثمّ قال: «**وادفنّي مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّي أحقّ به وببيته. فإن أبوا عليك، فأُنشدك الله بالقرابة التي قرّب الله عزّ وجلّ منك، والرحم الماسّة من رسول الله أن لا تهريق في أمري محجمةً من دم، حتى نلقى رسول الله صلى الله عليه وآله فنختصم إليه، ونخبره بما كان من الناس إلينا**». وأوصى إليه بأهله وبولده وتركاته، وبما كان أوْصى به إليه أبوه أمير المؤمنين عليه السلام، ودلّ شيعته على استخلافه للإمامة من بعده.

وتُوفّي صلوات الله عليه في اليوم السابع من شهر صفر سنة ٤٩ للهجرة.

قال أبو الفرج الأصفهاني: «وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن عليّ وسعد بن أبي وقاص، فدسّ إليهما سمّاً فماتا منه».

وقد استعمل معاوية مروان بن الحكم، على إقناع جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي - وكانت من زوجات الحسن عليه السلام - بأن تسقي الحسن السمّ [وكان شربة من العسل بماء رومة]. فإن هو قضى نحبه زوّجها بيزيد، وأعطاها مائة ألف درهم.

وكانت جعدة هذه بحكم بُنُوَّتِها للأشعث بن قيس - المنافق المعروف - الذي أسلم مرّتين، بينهما ردّة منكرة، أقرب الناس روحاً إلى قبول هذه المعاملة النكراء.

قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: «**إنّ الأشعث شَرَك في دم أمير المؤمنين عليه السلام، وابنتُه جُعدة سمّت الحسن، وابنُه محمّد شرك في دم الحسين**». والنصوص على اغتيال معاوية الحسنَ بالسمّ متضافرة كأوضح قضيّة في التاريخ. ذكرها صاحب (الاستيعاب)، و(الإصابة)، و(الإرشاد)، و(تذكرة الخواصّ)، و(دلائل الإمامة)، و(مقاتل الطالبيّين)، والشعبي، واليعقوبي، وابن سعد في (الطبقات)، والمدائني، وابن عساكر، والواقدي، وابن الأثير، والمسعودي، وابن أبي الحديد، والمرتضى في (تنزيه الأنبياء). والطوسي في (أماليه)، والشريف الرضي في (ديوانه)، والحاكم في (المستدرك)، وغيرهم.

وقال في (البدء والختام): «وتوفّي الحسن سنة ٤٩ للهجرة. سمّته جعدة بنت الأشعث بما دسّه معاوية إليها، ومنّاها بزواج ولده يزيد، ثمّ نقض عهدها».

وقال ابن سعد في طبقاته: «سَمّه معاوية مراراً». وقال المدائني: «سُقي الحسن السمّ أربع مرّات». وقال الحاكم في مستدركه: «إنّ الحسن بن عليّ سمّ مراراً. كلّ ذلك يسلم حتى كانت المرّة الأخيرة التي مات فيها، فإنّه رمى كبده».

فرح معاوية!

لم يملك معاوية نفسه من إظهار السرور بموت الحسن عليه السلام. «وكان بالخضراء، فكبّر، وكبّر معه أهل الخضراء، ثمّ كبّر أهل

المسجد بتكبير أهل الخضراء، فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف [زوج معاوية] من خوخة لها، فقالت: «سَرَّكِ الله يا أمير المؤمنين، ما هذا الذي بلغك فسُرِرْتَ به؟». قال: «موت الحسن بن عليّ»، فقالت: «إنّا للّه وإنّا إليه راجعون»، ثمّ بكت وقالت: «مات سيّد المسلمين، وابن بنت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم»، فقال معاوية: «نِعمَّا والله ما فعلتِ، إنّه كان كذلك، أهلٌ أن يُبكَى عليه».

وزاد ابن قتيبة على هذا بقوله: «فلماّ أتاه الخبر، أظهر فرحاً وسروراً حتى سجد وسجد من كان معه. وبلغ ذلك عبد الله بن عباس - وكان بالشام يومئذ - فدخل على معاوية فلمّا جلس، قال معاوية: يا ابن عباس، هلك الحسن بن عليّ. فقال ابن عباس: نعم هلك. إنّا للّه وإنّا اليه راجعون ترجيعاً مكرّراً. وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته. أما والله ما سدَّ جسدُه حفرتك، ولا زاد نُقصانُ أجله في عمرك. ولقد مات وهو خيرٌ منك. ولئن أُصبنا به، لقد أُصبنا بمَن كان خيراً منه، جدّه رسول الله صلّى الله عليه و[وآله] وسلّم. فجبر الله مصيبته وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة. ثمّ شهق ابن عباس وبكى من حضر في المجلس، وبكى معاوية. قال الراوي: فما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم. فقال معاوية: كم أتى له من العمر؟ فقال ابن عباس: أمرُ الحسن أعظمُ من أن يَجهل أحدٌ مولده. قال: فسكت معاوية يسيراً ثمّ قال: يا ابن عباس، أصبحتَ سيّد قومك من بعده. فقال ابن عباس: أما ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين فلا».

مدفنه

روى سبط ابن الجوزيّ بسنده إلى ابن سعد عن الواقدي: «إنّه لمّا احتضر الحسن قال: ادفنوني عند أبي - يعني رسول الله صلّى الله عليه وآله - فقامت بنو أمية ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وكان والياً على المدينة فمنعوه! قال ابن سعد: ومنهم عائشة، وقالت: لا يُدفن مع رسول الله أحد».

وروى أبو الفرج الأموي الأصفهاني عن يحيى بن الحسن أنّه قال: «سمعت عليّ بن طاهر بن زيد يقول: لمّا أرادوا دفنه - يعني الحسن بن عليّ - ركِبَتْ بغلاً واستعونَتْ بني أميّة ومروان ومَن كان هناك منهم ومن حشمهم، وهو قول القائل: فيوماً على بغلٍ ويوماً على جمل».

وذكر المسعودي ركوب عائشة البغلة الشهباء وقيادتها الأمويّين ليومها الثاني من أهل البيت عليهم السلام. قال: «فأتاها القاسم بن محمّد بن أبي بكر فقال: يا عمّة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر. أتريدين أن يُقال يوم البغلة الشهباء؟ فرجعت».

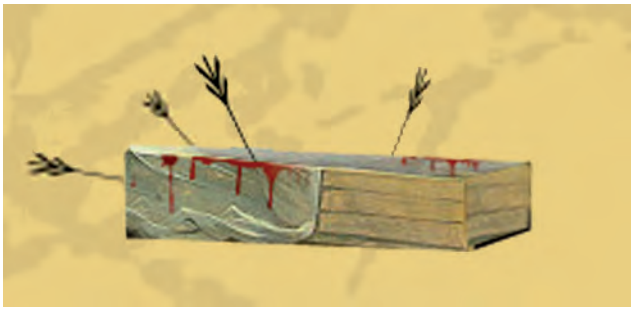

واجتمع مع الحسين بن عليّ خلق من الناس فقالوا له: «دعنا وآل مروان، فوالله ما هم عندنا إلاّ كأكلة رأس، فقال: **إنّ أخي أوصى أن لا أريق فيه محجمة دم. ولولا عهد الحسن هذا، لَعلمتُم كيف تأخذ سيوف الله منهم مأخذها. وقد نقضوا العهد بيننا وبينهم، وأبطلوا ما اشترطنا عليهم لأنفسنا**»، - يشير بهذا إلى شروط الصلح -. ومضوا بالحسن فدفنوه بالبقيع عند جدّته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

وروى أبو جعفر الطبري (الشيعي) في كتابه (دلائل الإمامة): فلمّا فرغ الحسين عليه السلام من أمره وصلّى عليه، سار بنعشه يريد قبر جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله ليُلحده معه، فبلغ ذلك مروان بن الحكم طريدَ رسول الله، فذهب مسرعاً على بغلٍ حتى دخل على عائشة وقال: يا أمّ المؤمنين! إنّ الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن عند جدّه، "..".

قالت: فما أصنع؟ قال: إلحقي وامنعيه من الدخول إليه.

".." فأرادت بنو هاشم الكلام وحملوا السلاح، فمنعهم الحسين عليه السلام وقال: «**الله، الله أن تفعلوا، وتضيّعوا وصيّة أخي ...**».

التشييع المهيب

قال في الإصابة: «قال الواقدي: حدّثنا داود بن سنان، حدّثنا ثعلبة بن أبي مالك: شهدتُ الحسن يوم مات ودُفن بالبقيع، فلقد رأيت البقيع ولو طُرِحت فيه إبرة ما وقعت إلاّ على رأس إنسان».

وأبنّه أخوه محمّد بن الحنفيّة، وقد وقف على جثمانه الشريف، واليك نص تأبينه:

«رحمك الله أبا محمّد، فوالله لئن عزّت حياتك، لقد هدّت وفاتك. ونِعم الروح روحٌ عَمر به بدنُك، ونِعم البدن بدنٌ ضمّه كفنُك، ولِمَ لا تكون كذلك، وأنت سليل الهدى، وحليف أهل التقوى، وخامس أصحاب الكساء. غذّتك كفّ الحقّ، ورُبّيت في حِجر الإسلام، وأرضعتك ثديُ الإيمان. فطِب حيّاً وميتاً، فعليك السلام ورحمة الله، وإن كانت أنفسنا غير قالية لحياتك، ولا شاكّة في الخيار لك».

بُغاثُ الطّيرِ
انقَضَّ عليها أَجْدَل

مناظرات الإمام الحسن عليه السلام بابٌ مترامي الأطراف، يفيض بدقائق المعرفة، واللّطائف المفصليّة، والدلالات الوفيرة في السياسة والاجتماع والسُنن الكونيّة، وهذا الباب قلّما يتمّ تناوله.
ويُعتبر كتاب (الإحتجاج) للطبرسيّ من مصادره الأم.
ما يلي نموذجٌ من هذه المناظرات.

مناظرته عليه السلام مع عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزياد بن أبيه:

رُوي أنّه اجتمع معاوية مع بطانته، فجعل بعضُهم يفخرُ على بعض، فأراد معاوية أن يضحك على ذُقونهم فقال لهم:

«أكثرتُم الفخر، فلو حضرَكم الحسنُ بنُ عليّ [عليهما السلام] وعبدالله بن عباس لَقَصَّرا من أَعِنَّتِكم ما طال».

فبعث إلى الإمام عليه السلام، إلى أن ذكر قولَهم، ثمّ قال عليه السلام:

«ليس من العجز أن يصمت الرجل عند إيراد الحُجَّة، ولكنْ من الإفك أن ينطق الرجل بالخنا، و يصوِّرَ البالطل بصورة الحقّ. يا عمرو! افتخارٌ بالكذب، و جُراءةٌ على الإفك، ما زلتُ أعرف مثالبك الخبيثة، أُبديها مرّةً وأُمسِك عنها أخرى، فتأبى إلّا انهماكاً في الضلالة. أَتذكُرُ مصابيح الدُجى، وأعلام الهدى، وفرسان الطراد، وحتوف الأقران، وأبناء الطعان، وربيع الضيفان، ومعدن النبوّة، ومهبط العلم؟ وزعمتُم أنّكم أحمى لِما وراء ظهوركم، وقد تبيّن ذلك يوم بدر، حين نكصت الأبطال، وتساورت الأقران، واقتحمت اللّيوث، واعتركت المنيّة، وقامت رحاها على قُطبها، وافترَّت عن نابها، وطار شرار الحرب، فقتلنا رجالَكم ، وَمَنَّ النبيُّ على ذراريكم، فكنتم لَعَمري في ذلك اليوم غير مانعين لِما وراء ظهوركم من بني عبد المطّلب. وأمّا أنت يا مروان، فما أنت والإكثار في قريش؟ وأنت طليقٌ و أبوك طريد، يتقلّب من خِزيةٍ إلى سوأة، و لقد جِيء بك إلى أمير المؤمنين، فلمّا رأيت الضرغام قد دميت براثنُه، واشتكبت أنيابُه، كنتَ كما قال القائل:

ليثٌ إذ سَمِعَ اللّويثُ زئيرَه بَصْبَصْنَ ثمّ قَذَفْنَ بالأبعارِ.

فلمّا مَنَّ عليك بالعفو وأرخى خناقك بعد ما ضاق عليك، وغَصَصْتَ بِرِيقك، لم تقعد معنا مقعدَ أهل الشكر، ولكنْ كيف تُساوينا وتُجارينا، ونحن ممّا لا يُدركنا عارٌ ولا تلحقنا خِزية. وأمّا أنت يا زيادُ وقُريشاً، لا أعرف لك فيها أديماً صحيحاً، ولا فرعاً نابتاً، ولا قديماً ثابتاً، ولا منبتاً كريماً، بل كانت أُمُّك بغيّاً، تداولها رجالٌ من قريش، وفُجّار العرب، فلمّا وُلِدْتَ لم تعرف لك العربُ والداً، فادّعاك هذا - وأشار إلى معاوية - بعد ممات أبيه. ما لك افتخارٌ.. تكفيك سُميّة، ويكفينا رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأبي عليُّ بن أبي طالب عليه السلام سيّدُ المؤمنين الذي لم يرتَدَّ على عَقِبَيه، وعمي حمزة سيدُ الشهداء، وجعفرُ الطيّار، وأنا وأخي سيّدا شباب أهل الجنّة».

ثمّ التفت إلى ابن عباس، فقال:

«يا ابنَ العمّ، إنّما هي بُغاث الطير انقضَّ عليها أجدل». (أي: ضعاف الطير انقضّ عليها الصقر).

الدعاء للإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف بعد صلاة العصر

من الأوقات التي يتأكّد فيها استحباب الدعاء للإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه: «بعد صلاة العصر» من كلّ يوم.

ما يلي دعاء الإمام الكاظم عليه السلام، ويُستحبُّ قراءته يومياً بعد صلاة العصر، وإشارة إلى دعاء معروف بـ "الدعاء في زمن الغيبة"، وأهميّة الحرص على قراءته بعد صلاة العصر من يوم الجمعة.

* **قال السيد ابن طاوس قدّس سرّه في كتابه «فلاح السائل»:**

ومن المهمّات بعد صلاة العصر الاقتداء بمولانا موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام في الدعاء لمولانا المهديّ صلوات الله عليه، كما رواه محمد بن بشير الأزدي "..." عن يحيى بن الفضل النوفلي، قال:

دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر ببغداد حين فرغ من صلاة العصر فرفع يديه إلى السماء، وسمعته يقول:

«أنتَ اللهُ لا إلهَ إلاّ أنتَ، الأوّلُ والآخرُ، والظاهرُ والباطنُ، وأنتَ اللهُ لا إلهَ إلاّ أنتَ، إليكَ زيادةُ الأشياءِ ونُقصانها، وأنتَ اللهُ لا إلهَ إلاّ أنتَ، خَلقْتَ خلقَكَ بغيرِ مَعونةٍ من غيرِكَ ولا حاجَةٍ إليهم، وأنتَ اللهُ لا إلهَ إلاّ أنتَ، منكَ المَشيّةُ وإليكَ البداء، أنتَ اللهُ لا إلهَ إلاّ أنتَ، قبلَ القبلِ وخالقَ القَبلِ، وأنتَ اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ، بعدَ البَعدِ وخالقَ البَعدِ، أنتَ اللهُ لا إلهَ إلاّ أنتَ، تَمحو ما تشاءُ وتُثْبِتُ وعندَكَ أمُّ الكتابِ، أنتَ اللهُ لا إلهَ إلاّ أنتَ، غايةَ كلِّ شيءٍ ووارثُه، أنتَ اللهُ لا إلهَ إلاّ أنتَ، لا يَعزبُ عنكَ الدَّقيقُ ولا الجليلُ، أنتَ اللهُ لا إلهَ إلاّ أنتَ، لا تَخفى عليكَ اللّغاتُ ولا تتشابَهُ عليكَ الأصواتُ، كلَّ يومٍ أنتَ في شأنٍ، لا يشغَلُكَ شأنٌ عن شأنٍ، عالمُ الغَيْبِ وأخْفَى، ديّانُ يومِ الدِّينِ، مُدبِّرُ الأمُورِ، باعثُ مَن في القُبورِ، مُحيي العظامَ وهي رَميم. أسألُكَ باسمِكَ المكنونِ المخزونِ الحيِّ القيّومِ، الذي لا يَخيبُ مَن سألَكَ به، أسألُكَ أن تُصلّي على محمّدٍ وآلِه، وأن تُعجِّلَ فَرَجَ المُنْتَقِمِ من أعدائِكَ، وأَنْجِزْ له ما وعدْتَهُ يا ذا الجلالِ والإكرام».

قال [الراوي]: قلت: مَن المدعوُّ له؟ قال عليه السلام: ذاك المهديُّ من آل محمّدٍ صلّى الله عليه وآله.

ثمّ قال عليه السلام: بأبي المُنتدح البطن، المقرون الحاجبين، أحمش الساقين، بعيد ما بين المنكبين، أسمر اللّون، يَعْتَورَه مع سمرته صفرةٌ من سهر الليل، بأبي مَن ليلُه يرعى النجوم ساجداً وراكعاً، بأبي مَن لا يأخذه في الله لومة لائم، مصباح الدُّجى، بأبي القائمُ بأمر الله.

قلت: ومتى خروجه؟

قال: إذا رأيت العساكر بالأنبار على شاطىء الفرات والصراة ودجلة، وهدمَ قنطرةٍ بالكوفة، وإحراقَ بعض بيوتات الكوفة، فإذا رأيت ذلك فإنّ الله يفعل ما يشاء، لا غالب لأمر الله، ولا مُعَقِّب لحُكمه.

[المنتدح: الواسع، وهو بمعنى «البطين» في وصف جدّه أمير المؤمنين عليهما السلام. قال الشاعر: ويا بن البطين بلا بطنةٍ ويا بنَ الفتى الفارس الأنزعِ].

**

* وحول الدعاء المشتهر بـ: "الدعاء في زمن الغيبة" قال السيد ابن طاوس قدّس سرّه في كتابه «جمال الأسبوع»:

«ذكرُ دعاء آخر يُدعى له صلوات الله عليه، وأوّله يُشبه الدعاء المتقدّم عليه (أللّهمّ عرّفني نفسك، فإنّك إنْ لم تعرّفني نفسك الخ..) **وهو ممّا ينبغي إذا كان لك عذرٌ عن جميع ما ذكرناه من تعقيب العصر يوم الجمعة، فإيّاك أن تُهمل الدعاء به، فإنّنا عرفنا ذلك من فضل الله جلّ جلاله الذي خصّنا به، فاعتمد عليه».**

ثمّ أورد الدعاء، وهو طويلٌ يُشبه في بدايته الدعاء القصير الذي يبلغ أسطراً، فكلٌّ منهما يبدأ بهذه الفقرات: «أللّهمَّ عرّفني نفسك إلى فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللتُ عن ديني»، غير أنّ هذا الدعاء الذي يؤكّد سيّد العلماء المراقبين على قراءته بعد الصلاة من عصر يوم الجمعة يبلغ عدة صفحات. فليُلاحظ.

أدعية تلقين الميّت المستحبّة
وصلاة الوحشة

تلقين الميّت: «إسمع إفهم يا فلان بن فلان» ثلاث مرّات ذاكراً اسمه واسم أبيه، ثم يقول: «هل أنت على العهد الذي فارقتنا عليه من شهادة أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله عبدُه ورسولُه وسيّدُ النبيّين وخاتم المرسَلين، وأنّ عليّاً أميرُ المؤمنين وسيّدُ الوصيّين وإمامٌ افترضَ اللهُ طاعتَه على العالمين، وأنّ الحسنَ والحسين، وعليَّ بنَ الحسين، ومحمّدَ بن عليّ، وجعفرَ بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعليَّ بن موسى، ومحمّدَ بن عليّ، وعليَّ بن محمّد والحسنَ بن عليّ، والقائمَ الحجّةَ المهديَّ صلوات الله عليهم أئمّةُ المؤمنين، وحُجَجُ الله على الخلق أجمعين، وأئمّتُك أئمّةُ هدىً بك أبرار، يا فلان بن فلان إذا أتاكَ الملكان المُقرّبان رَسولَيْن من عند الله تبارك وتعالى، وسألاك عن ربّك، وعن نبيّك، وعن دينك، وعن كتابك، وعن قبلتك، وعن أئمّتك، فلا تخف ولا تحزن وقل في جوابهما: الله ربّي، ومحمّدٌ صلى الله عليه وآله نبيّي، والإسلامُ ديني، والقرآنُ كتابي، والكعبةُ قِبلتي، وأميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب إمامي، والحسنُ بن عليّ المجتبى إمامي، والحسينُ بن عليّ الشهيد بكربلاء إمامي، وعليّ زينُ العابدين إمامي، ومحمّدُ الباقر إمامي، وجعفرُ الصادق إمامي، وموسى الكاظم إمامي، وعليُّ الرضا إمامي، ومحمّدُ الجواد إمامي، وعليُّ الهادي إمامي، والحسنُ العسكريُّ إمامي، والحجّةُ المنتظَرُ إمامي، هؤلاء صلوات الله عليهم أجمعين أئمّتي وسادتي وقادتي وشُفعائي، بهم أتولّى ومن أعدائهم أتبرّأ في الدنيا والآخرة، ثمّ إعلم يا فلان بن فلان، أنّ الله تبارك وتعالى نِعْمَ الرّب، وأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله نِعْمَ الرسول، وأنّ عليَّ بن أبي طالب وأولادَه المعصومين الأئمّة الاثني عشر نِعْمَ الأئمّة، وأنّ ما جاء به محمّدٌ صلى الله عليه وآله حقٌّ، وأنّ الموتَ حقٌّ، وسؤالَ مُنكر ونكير في القبر حقٌّ، والبعثَ والنُّشورَ حقٌّ، والصراطَ حقٌّ، والميزانَ حقٌّ، وتطايُرَ [تطاير] الكُتُب حقٌّ، وأنّ الجنةَ حقٌّ، والنارَ حقٌّ، وأنّ الساعةَ آتيةٌ لا رَيْبَ فيها، وأنّ اللهَ يبعثُ مَن في القبور». ثمّ يقول: «أفَهِمْتَ يا فلان؟». وفي الحديث: «أنّه يقول: فهمت»، ثمّ يقول: «ثبّتَكَ اللهُ بالقول الثابت، وهداكَ اللهُ إلى صراط مستقيم، عرَّفَ اللهُ بينَك وبين أوليائك في مستقرٍّ من رحمته». ثمّ يقول: «أللّهمّ جافِ الأرضَ عن جنبَيْه، واصعد بروحه إليك، ولقّه منك برهاناً، أللّهمَّ عفوك عفوك».

والأوْلى أن يُلقَّن بما ذُكر من العربيّ، وبلسان الميت أيضاً إن كان غير عربي.

تلقين الميت بعد الوضع في اللّحد: يضرب بيدِه على منكبه الأيمن، ويضع يده اليسرى على منكبه الأيسر بقوّة، ويُدني فمه إلى أُذُنه ويحرّكه تحريكاً شديداً، ثم يقول: «يا فلان بن فلان إسمعْ إفهمْ ثلاث مرّات اللهُ ربُّك، ومحمّدٌ نبيُّك، والإسلامُ دينُك، والقرآنُ كتابُك، وعليٌّ إمامُك، والحسنُ إمامُك، إلى آخر الأئمّة، أفهِمْتَ يا فلان؟». ويعيد عليه هذا التلقين ثلاث مرّات، ثم يقول: «ثبّتك اللهُ بالقول الثابت، هداكَ اللهُ إلى صراط مستقيم، عرّف الله بينك وبين أوليائك في مُستقرٍّ من رحمته، أللّهمَّ جافِ الأرض عن جَنبيْه، واصعد بروحه إليك، ولقّه منك بُرهاناً، أللّهمّ عفوك عفوك».

تلقين آخر بعد الدفن: عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ما على أهل الميت منكم أن يدرأوا عن ميّتهم لقاء مُنكر ونكير؟ قيل: كيف يصنع؟ قال: إذا أفرد الميّت فليتخلّف عنده أولى الناس به، فيضع فمه عند رأسه فينادي بأعلى صوته: يا فلان بن فلان، أو يا فلانة بنت فلان! هل أنت على العهد الذي فارقتنا عليه من شهادة أنْ لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله سيّد المرسَلين [النبيّين]، وأنّ عليّاً أميرُ المؤمنين وسيّدُ الوصيّين، وأنّ ما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله حقّ، وأنّ الموت حقّ، والبعث حقّ، وأنّ الله يبعث مَن في القبور». قال: فيقول مُنكر ونكير [لنكير]: انصرف بنا عن هذا، فقد لُقّن حجّتَه.

زيارة أهل القبور: «بسم الله الرّحمن الرّحيم، السلامُ على أهل لا إلهَ إلاّ الله، من أهل لا إلهَ إلاّ الله، يا أهلَ لا إلهَ إلاّ الله، كيف وجدْتُم قولَ لا إلهَ إلاّ الله، مِن لا إلهَ إلاّ الله، يا لا إلهَ إلاّ الله، بحقِّ لا إلهَ إلاّ الله، إغْفِرْ لِمَن قال: لا إلهَ إلاّ الله، واحشُرنا في زُمرةِ مَن قال: لا إلهَ إلاّ الله، محمّدٌ رسول الله، عليٌّ وليُّ الله».

صلاة الهديّة للميت (الوحشة) ليلة الدفن: وهي على رواية، ركعتان، يُقرأ في الأولى الحمد وآية الكرسي، وفي الثانية الحمد والقدر عشر مرّات، ويقول بعد الصلاة: «أللّهمّ صلِّ على محمّدٍ وآل محمّد، وابعث ثوابها إلى قبر فلان».

وفي رواية أخرى: في الركعة الأولى الحمد و(قل هو الله أحد) مرّتين، وفي الثانية الحمد والتكاثر عشر مرّات. وإن أتى بالكيفيّتيْن كان أَوْلى. وتكفي صلاة واحدة من شخص واحد، وإتيان أربعين أوْلى، لكن لا بقصد الورود والخصوصيّة، كما أنّه يجوز التعدُّد من شخص واحد بقصد إهداء الثواب، والأحوَط قراءة آية الكرسي إلى ﴿..هم فيها خالدون﴾، والظاهر أنّ وقتها تمام الليل، وإن كان الأَولى أوّله بعد العشاء.

«صلّوا كما رأيتموني أصلّي» رسول الله صلى الله عليه وآله

للصلاة صورتها وأفعالها الظاهريّة، إلاّ أنّ لحقيقتها وباطنها الحظ الأوفى. قد نصلّي فتدعو لنا صلاتنا وتوصلنا إلى مَنْ أمَرَ بها. وفي حال التهاون، قد تدعو علينا ولا تزيدنا من الله إلاّ بُعداً.

في كتابه (علامات أهل السرّ) يعرض العارف الكامل الشيخ حسن عليّ الأصفهاني لحقيقة الصلاة، وكيفية التدرّج في مقاماتها، وأثرها على العبد. ما يلي مقتطفات من هذا الكتاب القيّم، بتصرّف يسير.

لماذا نصلّي؟

الهدف من الصلاة هو حضور القلب، والاستغراق الكامل، وفناء ذات العابد بالمعبود، والفوز بمشاهدة الحق. لكنّ المبتدئ يحتاج للوصول إلى هذا المقام إلى رياضة كثيرة ومجاهداتٍ لا تُحصى، وما لم يشتغل المرء بأمر القلب مدّة، فلن يصبح فارساً في هذا الميدان. إنّ حقيقة وروح وقلب الصلاة هو التضرّع لله عزّ وجلّ، والمناجاة مع ربّ الأرباب، والرّكوع والسجود والتشهّد والتكبير والتسليم والأذكار صورة الصلاة الظاهرية، ولهذا السبب قالوا إنّه إنّما يُقبل من الصلاة المقدار الّذي يكون القلب متوجّهاً للمعاني حين التكلّم. وفي الحقيقة، فإنّ الصلاة التي ينطق بها اللّسان والقلب متوجّه أثناء ذلك لأمرٍ آخر، ليست بصلاة.

الارتقاء في أداء الصلاة:

إعلم أيها العزيز أنّ ما هو محلّ حاجة للإنسان صورة نازلة فيها أقل ما يقنع بشكل يتأدّى بها أمر الإنسان، ومن ثمّ تترقّى شيئاً فشيئاً إلى أن تصل إلى درجة فوق الفوق. مثلاً، الإنسان يحتاج إلى منزل ليحفظ نفسه من الحرّ والبرد يكون مثل منازل الفلاحين، ومن ثمّ يترقّى إلى أن يصل إلى منازل الأعيان والأشراف كمثل العمارات والحدائق. والصلاة أيضاً إفرضها بهذا النحو، فمرتبتها النازلة هي بالنحو الذي يقولون عن الشخص إنّه مسلم وبدنه طاهر ويصلّي. ثمّ تترقّى هذه الصلاة إلى أن تصل إلى مرتبة لا يسمح المصلّي فيها بورود وخيالات الدّنيا أبداً، والأرقى من ذلك هو أن لا يبقى عنده طريق لتخيّل أيّ شيء وحتّى تخيّل الآخرة، ويكون كل توجّهه معطوفاً للتضرّع والالتجاء إلى ربّ الأرباب. عندها تحصل أسرار الصلاة، حيث تحصل ستة أشياء:

الأول: حضور القلب، أي أنّ القلب أثناء الصلاة لا يتعلّق بغير الله جلّت عظمته.

الثاني: فهم معاني القراءة والذكر والتسبيح في الصلاة بشكل يكون القلب مطابقاً للّسان في فهم تلك الألفاظ.

الثالث: التعظيم، أي أن تكون عظمة المعبود ومبدأ المقصود في خاطره في تلك الحالة.

الرابع: الهيبة، أي أن يهجم الخوف على قلبه من غاية عظمة الله، لئلاّ يكون في عبادته تقصير.

الخامس: الرجاء، بأن يكون مقام كرم وجود الله أكرم الأكرمين معلوماً له، وأنّه لن يحرمه من نهاية مرحمته، وسيعفو عن ذنوبه.

السادس: الحياء، بأن يرى نفسه وعبادته أصغر من أن تليق ببابه، ويأتي بعبادته بمنتهى الحياء والذلّة والإنحناء.

بماذا نستعين لنترقّى؟

ورد في الحديث: «**إنّ الصلاة إذا ارتفعت في وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاء مشرقة وتقول: حفظتني حفظك الله، وإذا ارتفعت في غير وقتها وبغير حدودها رجعت إلى صاحبها وهي سوداء مظلمة تقول: ضيّعتني ضيّعك الله**».

وورد في رواية الإمام الصادق عليه السلام قال: «**قال الله عزّ وجلّ في بعض ما أوحي: إنّما أتقبل الصلاة ممّن يتواضع لعظمتي، ويكفّ نفسه عن الشهوات من أجلي، ويقطع نهاره بذكري، ولا يتعظّم على خلقي، ويطعم الجائع ويكسو العاري ويرحم المصاب ويواسي الغريب، فذلك يشرق نوره مثل الشمس، أجعل له في الظلمة نوراً، وفي الجهالة علماً، أكلاؤه بعزّتي وأستحفظه ملائكتي، يدعوني فألبّيه، ويسألني فأعطيه، فَمَثل ذلك العبد عندي كمثل جنّات الفردوس، لا يسبق أثمارها ولا يتغيّر عن حاله**».

ومن المستحسن قبل الشروع في الصلاة أن يقرأ هذا الدعاء: «**ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون. ربِّ أسألك حولاً من حولِك، وقوّةً من قوّتك، وتأييداً من تأييدك، حتّى لا أرى غيرك ولا أشاهد سواك**».

يا أيّها العزيز

﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يوسف: ٨٨،

يجب أن يكون لسان الحال مترنّماً بهذا المقال.

«منّي ما يليق بلؤمي ومنك ما يليق بكرمك»، لقد أتيتُ بما في وسعي وقوّتي، إذا أعنتني وساعدتني أستطيع الوصول إلى أعلى عليّين، وإلاّ فسأكون محبوساً في أسفل سافلين، تصدّق علينا، إذ لا نستحق شيئاً.

أيّها العزيز، عليك أن تسعى ليلاً ونهاراً لعلّك تشرب من مَعين العبادة جرعة.

تسبيح لكلّ يوم من الشهر

بحرٌ زاخرٌ هو إرث أهل بيت النبوّة عليهم السلام من الدعاء والذّكر والتسبيح لمَن شاء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً. بين يديك، من كتاب «الدعوات» للقطب الراوندي، تسبيح مخصوص لكلّ يومٍ من أيّام الشهر عن الرّسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم وآله الأطهار عليهم السلام.

تسبيح محمّد صلى الله عليه وآله في أوّل يوم من الشهر: سبحانَ الله عددَ رضاه، سبحانَ الله عددَ كلماته، سبحانَ الله عددَ خلقه، سبحانَ الله زنةَ عرشه، سبحانَ الله ملءَ سماواته، سبحانَ الله ملءَ أرضه، سبحانَ الله مثل ذلك، والحمدُ لله مثل ذلك، ولا إلهَ إلا الله مثل ذلك، واللهُ أكبرُ مثل ذلك.

تسبيح عليّ عليه السلام في اليوم الثاني: سبحانَ مَنْ تعالى جَدُّهُ وتقدَّستْ أسماؤه، سبحانَ مَنْ هوَ إلى غيرِ غايةٍ يدومُ بقاؤه، سبحانَ مَن استنارَ بنورِ حجابه دون سمائه، سبحانَ مَنْ قامَتْ له السماواتُ بلا عَمَدٍ، سبحانَ مَنْ تعظَّمَ بالكبرياءِ والنُّور سناؤه، سبحانَ مَنْ تَوَحَّدَ بالوحدانية فلا إلَهَ سِواه، سبحانَ مَنْ لَبِسَ البهاءَ والفخرُ رداؤه، سبحانَ مَنِ اسْتوى على عرشِه بوحدانيَّته.

تسبيح فاطمة عليها السلام في اليوم الثالث: سبحانَ من استنارَ بالحَوْلِ والقوّة، سبحانَ من احتَجَبَ في سبعِ سماواتٍ فلا عينٌ تراه، سبحانَ من أذَلَّ الخلائق بالموت، وأعزَّ نفسَه بالحياة، سبحانَ مَنْ يبقى ويفنى كلُّ شيءٍ سواه، سبحانَ مَنِ استخلصَ الحمدَ لنفسه وارتضاه، سبحانَ الحيّ العليم، سبحانَ الحليم الكريم، سبحانَ الملك القُدُّوس، سبحانَ العليّ العظيم، سبحانَ الله وبحمده.

تسبيح الحسن بن علي عليه السلام في اليوم الرابع: سبحانَ مَنْ هو مُطَّلِعٌ على خوازنِ القلوب، سبحانَ مَن هو مُحصي عددِ الذنوب، سبحانَ مَن لا يخفى عليه خافيةٌ في السماواتِ والأرض، سبحانَ المُطَّلِعِ على السرائرِ عالمِ الخفيَّات، سبحانَ مَن لا يَعزُبُ عنه مثقالُ ذرَّةٍ في الأرضِ ولا في السَّماء، سبحانَ مَنِ السَّرائرُ عنده علانية، والبواطنُ عنده ظواهر، سبحانَ الله وبحمده.

تسبيح الحسين بن علي عليه السلام في اليوم الخامس: سبحانَ الرَّفيعِ الأعلى، سبحانَ العظيمِ الأعظم، سبحانَ مَنْ هو هكذا ولا يكونُ

هكذا غيره ولا يقدرُ أحدٌ قدرتَه، سبحانَ من أوّله علمٌ لا يُوصَف، وآخره علمٌ لا يَبيد، سبحانَ مَن علا فوق البريَّات بالإلهيّة فلا عينٌ تُدركه، ولا عقلٌ يمثّله، ولا وهمٌ يُصوِّره، ولا لسانٌ يصفُه بغاية ما له من الوصف، سبحانَ مَنْ علا في الهواء، سبحانَ مَن قَضَى الموت على العباد، سبحانَ الملِكِ المُقتدر، سبحانَ الملك القُدُّوس الباقي الدائم.

تسبيح عليّ بن الحسين عليه السلام في اليوم السادس: سبحانَ مَن أشرقَ نورُه كلّ ظُلْمة، سبحانَ مَن قدر بقدرته كلّ قدرة، سبحانَ من احتجبَ عن العبادِ بطرائقِ نفوسِهم فلا شيءَ يحجبُه، سبحانَ الله وبحمده.

تسبيح محمّد بن عليّ عليه السلام في اليوم السابع: سبحانَ الخالقِ البارئ، سبحانَ القادرِ المقتدِر، سبحانه الباعثُ والوارث، سبحانَ مَن خضعت له الأشياء، سبحانَ من تسبِّحُ الرعدُ بحمده والملائكةُ من خيفَتِه، سبحانَ الله العظيم وبحمده.

تسبيح جعفر بن محمّد عليه السلام في اليوم الثامن: سبحانَ مَن هوَ عظيمٌ لا يُرام، سبحانَ مَن هو قائمٌ لا يلهو، سبحانَ مَن هُو حافظٌ لا يَنسى، سبحانَ مَنْ هو عالمٌ لا يسهو، سبحانَ مَنْ هو محيطٌ بخلقه لا يغيبُ، سبحانَ مَن هو محتَجِبٌ لا يُرى، سبحانَ مَن

استَتَرَ بالضياءِ فلا شيءٌ يُدركُه، سبحانَ مَن النُّورُ منارُه، والضياءُ بهاؤه، والبهجةُ جمالُه، والجلالُ عِزُّه، والقوةُ قدرتُه، والقدرةُ صفتُه، سبحانَ الله وبحمده.

تسبيح موسى بن جعفر عليه السلام في اليوم التاسع: سبحانَ مَن مِلءَ الدهرِ [ملأَ الدهرَ] قُدسُه، سبحانَ مَن لا يغشى الأمد نوره، سبحان مَن أشرقَ كلّ ظلمةٍ بضوئه، سبحان من يدينُ لدينه كلُّ دينٍ ولا يُدان لغير دينه دين، سبحان من قدَّر كلَّ شيءٍ بقدرته، سبحانَ مَن ليس لخالقيَّته حدٌّ، ولا لقادريَّته نفاد، سبحان الله العظيم وبحمده.

تسبيح عليّ بن موسى عليه السلام في اليومين العاشر والحادي عشر: سبحانَ خالقِ النور، سبحانَ خالقِ الظُلمة، سبحان خالقِ المياه، سبحان خالقِ السماوات، سبحان خالقِ الأرَضين، سبحان خالقِ الرياح والنبات، سبحان خالقِ الحياة والموت، سبحان خالقِ الثرى والفَلوات، سبحان الله وبحمده.

تسبيح محمّد بن عليّ عليه السلام في اليومين الثاني عشر والثالث عشر: سبحان مَنْ لا يَعتدي على أهلِ مملكته، سبحانَ مَن لا يؤاخذ أهلَ الأرضِ بألوانِ العذابِ، سبحان الله وبحمده.

تسبيح علي بن محمّد النقيّ عليه السلام في اليومين الرابع عشر والخامس عشر: سبحان مَن هو دائمٌ لا يسهو، سبحانَ مَن هو قائمٌ لا يلهو، سبحانَ مَن هو غنيٌّ لا يفتقر، سبحان الله وبحمده.

تسبيح الحسن بن عليّ الزكيّ عليه السلام في اليومين السادس عشر والسابع عشر: سبحانَ مَن هو في علوِّه دانٍ، وفي دنوِّه عالٍ، وفي إشراقِه منير، وفي سلطانه قويّ، سبحان الله وبحمده.

تسبيح صاحب الزمان عجل الله فرجه في اليوم الثامن عشر إلى آخر الشهر: سبحانَ الله عددَ خلقه، سبحانَ الله رِضى نفسه، سبحانَ الله مِدادَ كلماته، سبحانَ الله زِنةَ عرشه، والحمدُ لله مثل ذلك.

آداب زيارة سيّد الشهداء عليه السلام

لزيارة ضريح الإمام الحسين عليه السلام آدابٌ خاصّة من قَبيل: الصلاة، وطلب الحاجة، والحزن، والغبرة، والبساطة، وطيّ طريق الزيارة، والسير على الأقدام، وغسل الزيارة، والتكبير، والتوديع (بحار الأنوار).

أورد الشهيد الثاني في كتاب «الدروس» أربع عشرة نقطة في آداب زيارته عليه السلام، وخلاصتها ما يلي:

الأولى: الغُسل قبل دخول الحرم، والدّخول على طهارة وبثياب نظيفة، وأن يدخل بخشوع.

الثانية: الوقوف على باب الضريح والدعاء والاستئذان بالدخول.

الثالثة: الوقوف إلى جانب الضريح والاقتراب من القبر.

الرابعة: الوقوف مستقبلاً الحَرَم مستدبِراً القِبلة عند الزيارة، ثمّ وضع الوجه على القبر، ثمّ الوقوف عند الرأس.

الخامسة: قراءة الزيارات الواردة والتسليم.

السادسة: صلاة ركعتين بعد الزيارة.

السابعة: الدعاء وطلب الحاجة من بعد الصلاة.

الثامنة: قراءة القرآن عند الضريح وإهداء ثوابه إلى الإمام.

التاسعة: حضور القلب على كلّ حال، والاستغفار من الذنب.

العاشرة: احترام السَّدَنة وخَدَمَة الحرم والإحسان إليهم.

ضريح سيّد الشهداء عليه السلام

الحادية عشرة: بعد الرجوع إلى البيت، التوجّه إلى الحرم والزيارة مرّة أخرى، وقراءة دعاء الوداع.

الثانية عشرة: أن تكون أعمال الزائر بعد الصلاة أفضل مِمّا قبلها.

الثالثة عشرة: تعجيل الخروج عند قضاء الوطر من الزيارة، لتزداد الرغبة، وعند الخروج تمشي القهقرى.

الرابعة عشرة: إعطاء الصدقة للمحتاجين في تلك البقعة، ولا سيّما الفقراء من ذريّة الرّسول صلى الله عليه وآله. (الدروس الشرعيّة ٢:٢٣)

ورعاية هذه الآداب تُوجِب القُرب الرُّوحيّ والمعنويّ، وتزيد من فائدة الزيارة، وفلسفة تشريع الزيارة تكمن في الاستفادة من الآفاق المعنويّة لمَزارات أولياء الله.

الحداثة والمجتمع الدّيني

د. محمّد جواد لاريجاني *

هل بإمكان المجتمع الإسلاميّ أن يكون مجتمعاً عصريّاً؟
سؤال طرحه الدكتور محمّد جواد لاريجاني، وأجاب عنه من خلال هذه المقالة التي تبحث في حقيقة الحداثة والعصرنة، و ما بعدهما، والأهمّ من ذلك، في صلتهما بالمجتمع الديني الإسلامي.

أودُّ أن أفتتح مقالتي بتوجيه سؤالين يساعدان على توسعة الحديث للوصول في ختام هذه المقالة إلى ما نتوخّاه.

الأوّل: هل بإمكان المجتمع الإسلاميّ أن يكون مجتمعاً عصريّاً؟ إنّما قلت: الإسلاميّ، لأنّ الإسلام منفصِل عن بقيّة الأديان، ونحن لا نعتبر كلّ شيء ديناً. كما يجب أن يكون واضحاً ما الذي نقصده بالمجتمع الدِّينيّ.

ربَّما كان المُرتكَز الأهم، أنّني رجل سياسيّ، أقضي أغلب أوقاتي في شؤون السياسة، لذا فإنّ وضع المجتمع الإسلاميّ وما إذا كان بمقدوره أن يكون عصريّاً أم لا، هو بالنسبة إليّ أمر تخصُّصيّ. ومن الطبيعيّ أن يكون ما أقصده هنا بِعَصْرنة المجتمع هو تنظيمه المنطِقيّ، أي إنَّ عصرنَتَنا للمجتمع الإسلاميّ أمر يتمتّع بالانسجام ولا ينطوي على التناقض، وهو ثقافة يناقض بعضها بعضاً.

الثاني: هل يستطيع المجتمع الإسلامي أن يصبح عصريّاً؟ إنَّ المطروح هنا هو سرعة العمل، وربّما وجب أخذ نظريّات أخرى بعين الاعتبار. وإنّ افتراض إمكان عصرَنَة المجتمع الإسلاميّ يؤدّي إلى طَرْح هذا السؤال: هل بإمكان مجتمعنا الحالي أن يصبح عصريّاً؟ وهذا موضوع آخر. عندما يتحدّث إلينا السياسيّون الأميركيّون والأوروبيّون يتفَوَّهون بكلامٍ عجيب، ويقولون: إذا أردْتُم أن تصبحوا عصريّين فعليكم أن تطوِّروا اقتصادكم، ولتطوير اقتصادكم، عليكم أن تستعينوا بنا، فلدينا التكنولوجيا ورؤوس الأموال، ولا تتحقَّق التنمية من غير رؤوس أموال، وهم ـ كشرطٍ لهذه المساعدة ـ يقولون: نستطيع مساعدتكم عندما تدخلون في نظامنا ولا تعارضوننا، وعندما يتطابق اقتصادكم مع اقتصادنا، وسياستكم مع سياستنا. وإذا صحّ هذا الخيار، فستكون نتيجته أن لا يبقى أيّ شيءٍ للإسلام. إذاً فقضيّة إمكانيّة الحداثة ستكون مَثَار اهتمام إلى جانب أصل الحداثة.

أريد في هذه المقالة تناول السؤال الأوّل. لأننا نحن الذين درسنا المجتمع الإسلامي بشكل أكبر، على معرفة أوْسَع به.

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ المجتمع الدِّينيّ في الغرب هو المجتمع الذي تُمثِّل الكنيسة نظامه الدِّيني. وهذه الهيكليّة هي الهيكلية التي نقصدها، إلاّ أنّنا لا نملك كنيسة في الإسلام.

فالمسجد والحوزة والمرجعيّة ليست مؤسسات، ولا يستطيع أيٌّ منها أن يكون بذاته صاحب سلطة، ورغم أنّ بإمكانكم أن تشاهدوا في نظامنا علماء في الزِّيّ الدينيّ تسنَّموا السلطة، إلاّ أنّ ذلك لا يعني وجود منظَّمة، أو مؤسسة رسميّة دينيّة، هيْمَنَت على النِّظام بشكل تنظيمات قانونيّة. وهنا ينبغي أن نقدِّم تعريفاً أكثر دقّة للمجتمع. والتعريف الذي اتخذْتُ منه أساساً هو أنّ المجتمع الدِّينيّ ـ كما أراه ـ هو المجتمع الذي شاع فيه الفكر الدِّينيّ بشكلٍ طبيعيٍّ جداً في عقلانيّة التعامل في ذلك المجتمع. وأنا أتحدَّث عن التعامل وعقلانيّة التعامل، لأنَّ المجتمع لا يعني في حقيقته مجموعة أفراد من الناس جُمِعوا إلى جانب بعضهم البعض. وإنّما يتحوّل هذا التجَمُّع إلى مُجتمَع، عندما يكون لهم عمليّاً وضع جَمْعِيّ مشترَك، أيْ عندما ينتُج منهم عمل اجتماعيّ. كما ينبغي أن تظهر لأفراد هذا المجتمع آثار، وما لم يتحقَّق ذلك، فإنَّ النِّظام السائد هناك ليس نظاماً اجتماعيّاً، بل نظام بين أعضاء مجموعة خاصة.

وكما يقول أرسطو: فإنّ الإنسان حيوان ناطق، والنّطق أو «Log-os» ظاهرة معقَّدة تشمل الكلام والتفكير. والأهمّ من ذلك، القدرة على الانتقال من الفكر إلى الذهن، أيْ استعراض الأفكار، فكثير من الحيوانات أيضاً تتكلّم وتفكّر، لكنّنا لا نقول إنَّها تتمتَّع بالنّطق. بيد أنّه يوجد جانب إنسانيّ لا ينتج من النّطق باحتمال كبير، وهو جانب كَوْنه عاملاً، أي أن يؤدِّي الإنسان فعلاً إراديّاً، فهو عامِل وفاعِل. وهذا أوسع مدى من النّطق. وإنّ الجوهر الإنسانيّ مرتبط تماماً بصدور هذا الفعل الإراديّ عنه. وربّما كان النّطق ـ في أحد جوانبه ـ جزءاً من عنصر الفعل الإراديّ

* مفكّر إسلامي بارز - طهران

هذا، وأحد أركانه، ولا توجد علاقة منطقيّة بين هذين الإثنين، وربّما كان الثاني أوسع من الأوّل من حيث نطاق تعريفه. وفي الحقيقة، فإنّ المجتمع أو النّظام الاجتماعيّ، هو قيمة تظهر من وصف معنى فاعليّة الفَرْد. فالفرْد العامِل يتحوّل بشكلٍ جَماعيٍّ إلى عُنصُرٍ اجتماعيٍّ، ولذا فإنّه يستنفِر جميع الجوانب الذاتيّة للفعل الإراديّ الفرديّ، وخصائص الفعل الإراديّ، بشكل ذاتيٍّ والخاصّة بالفعل الإراديّ للفرد، تنتقل أيضاً إلى الجماعيّ. والعقلانيّة في الحقيقة هي أهمّ جذور الفعل الإراديّ.

ولمّا كان النّظام الاجتماعيّ والمجتمع الإسلاميّ بالنسبة إلينا، هو المجتمع الذي يمتلك نظاماً خاصّاً، فإنّ المكان الذي يُفصِح فيه هذا النّظام عن وُجوده ليس الشعارات والخُطَب، بل الأعمال التي تصدر بشكلٍ جماعيٍّ عن ذلك المجتمع. إذن، علينا أن نعرف أين نبحث عن المبادئ الأساسيّة لإسلاميّتنا في المجتمع الإسلاميّ. وعلى هذا فإنّنا لا نبحث عنها في الخطابات.

يبدو النّظام الإسلاميّ واضحاً حيث يصدر عنه عمل جماعيّ. واستناداً إلى هذا، فقد وجدنا العلاقة بينهما أيضاً. والمجتمع الإسلاميّ هو المجتمع الذي يندرج فيه الإسلام بشكلٍ طبيعيٍّ وتِلقائيٍّ في صدور الأفعال هذه، جماعيّة كانت أم فرديّة. ومن الممكن أن لا تكون لهذا المجتمع حكومة، فلا يكون في حال متقدِّمة. ومن الممكن أن تكون له حكومة، وهذا هو الوضع الطبيعيّ. فإنّ النّظام الاجتماعيّ في وضعه المتطوِّر يحتاج بشكلٍ أكيد إلى مؤسّسة تُدعى الحكومة.

وبهذه المقدِّمة التي أوردتُها أستطيع عمليّاً الخوض في المحوَر الثاني للسؤال، بوصفه تعريفاً للحداثة. فلقد اضطُرِرْتُ لأجل فَهم المجتمع الدِّينيّ إلى البحث في موضوعَيْ العمل الاجتماعيّ والعمل الجَمعيّ. فنحن بحاجة إلى هذا التعريف في فَهْم الحداثة أيضاً. وأنا أفكّر بما هو أوسع بكثير من التضادّ بين الحداثة والتقليد، والصحيح أن أتحدّث عنه بهذا الشكل. فليس الحديث عن تضادِّهما أمراً نافعاً، لأنّه إذا قرّر أن لا نفرض مِعْيار العقلانيّة بحقّ شيءٍ حديث أو شيءٍ تقليديٍّ، فسيكون كلاهما عديم الجَدْوى، وذلك شيء لا يُشعرنا بالسرور. إذاً، ربّما توجَّب أن لا يكون التَّضادّ بين الحداثة والتقليد نقطة لانطلاقنا، بل علينا أن نبدأ من موضع آخر. فعلينا أن نغيِّر إلى حدٍّ ما من فهمنا للحداثة.

مَنْ هو الإنسان العصريّ؟ هل هو مَنْ يستخدم أدوات متطوِّرة جداً؟ يبدو أنّنا لا نستطيع القول بسهولة: إنّه عصريّ. تُرى هل نستطيع اعتبار المجتمع حديثاً، لِمجرَّد كَوْنه يمتلك ناطحات سحاب، وشوارع واسعة، يستقِلّ الناس فيه سيّارات فارهة؟ إنّ الحداثة أيضاً أمر ذو علاقة بِكَوْن الإنسان عاملاً. فلأنّ الإنسان عامل، وتَصدُر عنه أفعال إراديّة، فإنّ التّحديث أيضاً يُعَدّ إحدى خصائص أعماله. وإنّ الإنسان العصريّ إنّما يصبح عصريّاً لأنّه يعمل بشكل خاص. ولأنّ المجتمع العصريّ يـؤدِّي أعماله بشكلٍ خاصّ، وتَنتُج منه أعمال جماعيّة، فهو حديث، وليس لأنّ الأجهزة التي يستخدِمُها حديثة.

عندما يتحدّث إلينا السياسيّون الأميركيّون والأوروبـيّـون يتفَوَّهون بكلام عجيب، ويقولون: إذا أَرَدْتُم أن تصبحوا عصـريّين فعليكم أن تـطـوِّروا اقـتـصـادكم، ولـتـطـويـر اقـتـصـادكم، عليكم أن تستعينوا بنا، فلدينا التكنولوجيا ورؤوس الأمـوال، ولا تتحقَّق التنمية من غير رؤوس أموال

وهنا أقدِّم نموذجاً للحداثة، أو نظريّة خاصّة لِفَهْم الحداثة، أوردتُها في كتابي «نقد التديُّن والحداثة»، وهي: أنّ الرغبة في الحداثة في الدِّين، إنّما هي بسبب خاصّية العقلانيّة الموجودة في الحداثة، أي الطريقة الخاصّة في العقلانيّة التي تحدِّد عملاً خاصّاً في الحداثة، وهذه النزعة التي سمَّيْتُها عقلانيّة التكنولوجيا، والتي تبتعد بِقَدَرٍ ما عن مفهوم العقلانيّة للآليّة. وبناءً على النموذج الذي قدَّمْتُه للحداثة، فإنّ الإنسان الحديث هو الذي تكون أعماله عقلانيّة وقائمة على العقل التكنولوجيّ. والمجتمع الحديث هو الذي يكون فعله نظاماً اجتماعيّاً، وتكون الأفعال التي تصدر عن نظامه الاجتماعيّ عقلانيّة، ومبنيّة على العقل التكنولوجيّ. ومن الضروري أن أتحدَّث قليلاً عن العقل التكنولوجيّ، وسأذكر هنا أربع سمات لهذا العقل:

السّمة الأولى: العقل التكنولوجيّ يرى نفسه في وضعٍ بيئيٍّ دائماً. فعندما يريد العامل إنجاز عمل ما فهو مطوّق على الدَّوام. والوضعيّة هي جزء من العمل الواقع وترتبط به بشكلٍ ما. تُرى أيّ تأثير لهذا الوضع الطبيعيّ على العامل؟ فحيثما اقتصر اهتمام العامل على الخصائص المباشرة لِبيئته، فهو يستخدم عقله التكنولوجيّ في هذه الحالة. وبطبيعة الحال، فإنّني أتناول المفهوم البيئيّ بشيءٍ من التساهل، لأنّه من الممكن أنْ يكون المفهوم الذي أستخدمه للبيئة يشمل الإمكانيّات الاجتماعيّة أيضاً، إلاّ أنّ الوضع المباشر قائم.

السّمة الثانية: يحاول العقل التكنولوجيّ دائماً أن يحصل على أدقّ المعلومات عن نطاق تصرُّفاته على مستوى البيئة، ولهذا فهو قائم على المعلومات والعلم. والعقل الفنّيّ يريد أن يكون في أحسن حال، خاصّة في الجوانب ذات العلاقة بمعرفة حال السلوك. وليس عجيباً أن يكون العلم مهمّاً جداً في الحداثة، ولهذا فإنّ الاعتماد على الفهم الدَّقيق السلوكي في العقلانيّة التكنولوجيّة هو مبدئيّاً أحد الجوانب الأساسيّة تماماً.

السّمة الثالثة: يتّخذ العقل التكنولوجيّ دائماً في اختياره الهدف الناحية العمليّة أساساً. و«العملانيّة» تعني للعقل الفنّي: أنّه عندما يريد اختيار هدف فأوّل سؤال يطرحه هو: ما الذي ينسجم وقدراتي؟ أي أنّ العقل التكنولوجيّ لا يفكّر أولاً بما يجب عليه القيام به، بل يفكّر بالذي يستطيع فعله بما لديه من وسائل مُتاحة. وبطبيعة الحال، فإنّ «العملانيّة» أشمل من الإمكانيّة، بل إنّ العملانيّة تعني أحياناً وفي بعض المواضع، السُّهولة وقلّة التكاليف وما شابه.

السّمة الرابعة: يَكمُن العقل التكنولوجيّ في التَّخطيط، أيْ أنّ العامل عندما يريد التصرّف، فإنّ أهمّ سؤال يَرِد على ذهنه عن الخطّة التي يختارها، هو: إلى أيّ حدٍّ ستنفع هذه الخطة؟

وبحسب رأيي، فإنّ النّموذج الذي عرضْتُه والذي يقوم على أربعة أُسُس، يوضح جميع سمات ظاهرة الحداثة. فمثلاً: إنّ كَوْن العقل الحديث علمانياً والناس العصريّين لهم نزعات علمانيّة، هو أمر طبيعيّ جداً، ذلك أنّك حين تهبط بالوضع الحقيقيّ إلى الوسط البيئيّ فإنّ البحث عن الجذور هو نوع من إضاعة الوقت، إنْ لم نقل أنّه جنون. وعلى هذا، فليس عجيباً أن نرى الناس في العصر الحديث لا يرغبون في البحث عن جذورهم وأصل وجودهم، بل يُبدون تغاضِياً واضحاً تجاه مثل هذه الأمور. والسّمة الشّاخصة للعيان في هذا النموذج هي قضيّة التنمية. فإذا رأيت في الحداثة أنّ المجتمعات الحديثة تستخدم آلات حديثة، وتتطوّر يوماً بعد يوم في مجال استخدام الآلات، فذلك أمر طبيعيّ؛ وكذلك مقدار الفائدة المتحقّقة في الخطّة. إذن، فمن الطبيعيّ أن يؤدّي ذلك إلى الطَّوْر الآليّ. وكلّ الأشياء التي نراها بشكلٍ عاديّ، وبالعقل السليم في ظاهرة الحداثة، نستطيع العثور على مبادئها في السّمات الأربع الذي ذكرناها، بشكلٍ أو بآخر. وعليه، فإنّ هذا النموذج ـ كما أرى ـ سيكون نموذجاً مفهوماً. ونستطيع من هنا أن ندرك جيداً «ما بعد الحداثة». ولا يعني «ما بعد الحداثة» أنّه طرأ الآن تغيير على قضيّة تَطَوُّر الاتصالات مثلاً، كما أنّه لا يعني مبدئيّاً استمرار هذا التطوُّر التكنولوجيّ. فهو ليس استمراريّة لطريق الحداثة، بل هو تجاوُز حدود العقل التكنولوجيّ. وخلال اجتياز هذا الحدّ، فإنّ العقل التكنولوجيّ هو الذي يجعلنا دائماً نشقّ الطريق في الحداثة نفسها. فهناك طُرُق شتّى في ما بعد الحداثة. كما أنّ التأرجُح في ما بين الحداثة وما بعد الحداثة، هو الآخر لا يعني أنّ العلاقات كانت ذات شكل ما في ظُروف معينّة، ثمّ تطوَّرَت الآن. المعلومات هي التي تطوَّرَت، فالوسائل لم تكن بالنسبة إلينا معياراً للحداثة، فكيف تكون معياراً لما بعد الحداثة؟

إنّ الاختلاف بين الحداثة وما وراء الحداثة يكمن في العقلانيّة. فإذا وَضَعْتَ العقل التكنولوجيّ جانباً وتجاوَزْتَ حدوده، فقد دخَلْتَ نِطاق ما بعد الحداثة

إنّ الاختلاف بين الحداثة وما وراء الحداثة يكمن في العقلانيّة. فإذا وَضَعْتَ العقل التكنولوجيّ جانباً وتجاوَزْتَ حدوده، فقد دخَلْتَ نِطاق ما بعد الحداثة. وفي هذه الحالة، هل يستطيع المجتمع الإسلاميّ أنْ يكون عصريّاً أم لا؟ إنّ لديَّ بهذا الشأن شكوكاً حقيقيّة؛ ذلك أنّ معنى هذا الكلام هو التساؤل عمّا إذا كان العقل التكنولوجيّ ينسجم مع الفكر الإسلاميّ أم لا؟

وللجواب ينبغي أن ندرس تلك المحاوِر الأربعة. هل يمكنني أن أُقْصِر نفسي على معرفة البيئة لِفَهم الوضع الحقيقيّ؟ بطبيعة الحال، إنّني أؤيِّد وجود صورة أدقّ ما تكون عن الوضع، أيْ الاستناد إلى العلم والهدفيّة. لكن هل أنّ «العملانيّة» كافية؟ من البديهيّ أنّها ليست كافية. إنّنا نتحدَّث عن السعادة الإنسانيّة، عن سعادة الإنسان، عن السعادة الذاتيّة للإنسان، عن السعادة الذاتيّة للمجتمع، عن الكمال الحقيقيّ للإنسان وما شابه ذلك، وعلى هذا فـ«العملانيّة» تقع مباشرة إلى جانب هذا الصواب.

وفي ما يتعلّق بخطّة التنفيذ فإنّ المهارة مهمّة جداً، إلاّ أنّ الواجب يتحكَّم أحياناً بالمهارة بأسْرِها. فالإنسان يؤدّي أحياناً عملاً قد يكون خاطئاً في مِعيار العقل التكنولوجي، أيْ ليس مهارة، لكنّه يُمكن أنْ يكون صحيحاً بِوَصفه أداءً للواجب، ومن هنا فإنّ معضلتنا مع الحداثة في المجتمع الدِّينيّ والمجتمع الإسلاميّ، ليست في الصراع بين الجديد والقديم، بل من أجل أشياء أكثر أهميّة على ما يبدو. ولا أريد القول: إنّ هذه المعضلة تعني أنّ الطريق إلى التصرُّف الصحيح مُغلق في وجوهنا، لكن يُستنتج بشكلٍ عام أنّ الحداثة لا تنفع مجتمعنا الدِّينيّ، وعلينا أن نفكر في مرحلة ما بعد الحداثة، إنْ نحن أرَدْنا إقامة مجتمعٍ إسلاميٍّ قَويم.

الفقيه القاضي أبو الفتح الكَراجِكي الطرابلسيّ

من تلامذة الشيخ المفيد، والشريف المرتضى

*** من أعلام القرنين الرابع والخامس (ت ٤٤٩هـ)، معاصر للشيخ الطوسي.**
*** ألّف الكثير من كُتبه في طرابلس، وتنقّل بين بيروت وصيدا وصور، ودُفن في صور.**
*** أحد أربعة أعلام وصلتنا بروايتهم أدعية أهل البيت عليهم السلام.**
*** كتابه (روضة العابدين) بحجم (مصباح المتهجّد)، وهو مفقود. شوهدت نسخة منه قبل حوالي ١٠٠ سنة عند «حسن اللّحام» في حيّ الخراب بدمشق.**
***وقال المحدث القمي: «الشيخ الأجلّ الأقدم الأعلم الفاضل، المتكلّم، الفقيه، المحدّث، الثقة، الجليل القدر، شيخ مشايخ الطائفة.. يعبّر عنه الشهيد كثيراً في كُتبه بالعلامة مع تعبيره عن العلامة الحلّي بالفاضل».**

هو أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكَراجِكي، من أعلام مُخضرَمي القرنين الرابع والخامس للهجرة. والكَراجِكي - على الأرجح - نسبةً إلى الكراجِك، وهي عمل الخيم الذي اشتغل به هو أو أحد آبائه، فنُسب إليها. ولهذا وصفه غير واحدٍ من مترجميه بالخيَمي. كما يُنسب الكَراجِكي إلى طرابلس الشام، فيُوصف بالطَرابلسيّ، لإقامته فيها مدّة طويلة أيّام حكمَها بنو عمار، وقد عدّه العلامة المجلسي في (بحار الأنوار) من جملة فقهائها. وفي باب الكُنى من (رياض العلماء) للميرزا الأفندي: «أبو الفتح الصيداوي، من أعاظم تلامذة بعض تلاميذ السيد المرتضى، ومن علماء أصحابنا». ورجّح السيد محسن الأمين في (أعيان الشيعة) أن يكون الصيداوي المذكور في (الرياض) هو المترجَم له، ويقول في موضع آخر عند ذكره مدينة صيدا: «..وسكنها الكراجكي صاحب (كنز الفوائد)».

حياته

أهملت المصادر التاريخيّة مكان ولادة الشيخ الكراجكي وتاريخها، لكنّ بعض المعاصرين استظهر من القرائن أنّها كانت في حدود سنة ٣٧٥ للهجرة. في المقابل، اتّفقت كلمة مؤرّخيه على أنّه تُوفّي في صور سنة ٤٤٩ هـ في الثاني من ربيع الآخر، لكنّ الشيخ محمد حرز الدين انفرد في (مراقد المعارف) بالقول أنّه تُوفّي في بغداد، وقال: «مرقده ببغداد «..» في جامع الصفويّة المعروف بجامع الآصفيّة تحريفاً، ثم بتكية المولويّة «..» زرنا مرقد الشيخ الكليني لأوّل مرة سنة ١٣٠٥ هـ ببغداد، وكان قد دلّنا على قبر الشيخ الكراجكي فضيلة الشيخ إمام الجامع والمقيم بنفس الجامع، فكان رسم قبره دكّة عالية بارتفاع ثلثي قامة إنسان خلف دكّة قبر الشيخ الكليني قدّس سرّه..».

مدينة «صور» في العهد الفاطمي

عصرُه

عاش أبو الفتح الكراجكي الشطر الأكبر من حياته ما بين النصف الأخير من القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس للهجرة.

يقول العلامة الشيخ عبد الله نعمة في مقدّمته على كتاب (كنز الفوائد) للشيخ الكراجكي: «وكانت هذه الفترة حافلة بضروب من الانقسامات السياسية الهائلة، وبقيام دول صغيرة، مُنيت بها الدولة الإسلامية (الأم)، وانفصلت عنها. فقد استقلّ بنو بويه بفارس والرّيّ وأصبهان والجبل. وأصبحت الموصل وديار بكر وغيرهما من الأمصار في أيدي الحمدانيّين، والمغرب وأفريقيا في أيدي الفاطميّين، وتوزّعت بقيّة بقاع العالم الإسلامي ما بين الأمويّين في الأندلس، والسامانيّين في الخراسان، والبريديّين، والقرامطة، والديلم. ولم يبق في يد العباسيّين سوى بغداد وأعمالها، محتفظين بسيادة معنوية على هذه الدويلات المنفصلة عنها، التي كانت تقدّم للخليفة في بغداد الدعاء في خطب الجُمع والأعياد وتشتري منه ـ في المقابل ـ الألقاب.

كما حفلت هذه الفترة أيضاً بضروب عديدة من المذاهب والنِحل، وبانقسام كبير في الآراء والنزعات، في مناظرات عنيفة حادّة، حول القِدم والحدوث، والجبر والاختيار، والخلافة والإمامة وما إليها من العصمة والنص.

وفي تلك الحقبة برز من أعلام الأشاعرة محمد بن الطيّب المعروف بالقاضي الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)، ومن المعتزلة القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ)، ومن الشيعة الإماميّة الشيخ محمد بن محمد بن النعمان التلعكبري المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، والشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) وتلميذهما أبو الفتح الكراجكي (ت ٤٤٩ هـ).

وفي تلكُم الأيّام تمكّن بنو بويه من السيطرة على الخليفة في بغداد، وعطفوا من ثمّ على الشيعة، فانحسر عنهم الكثير من الكبت والحرمان والملاحقة، ما مكّنهم ـ لا سيّما الشيخ المفيد والشريف المرتضى ـ من أن ينشطوا دون خوف في تبليغ الفكر الإمامي داخل مناطق كانت موصدة أمامهم من قبل، كبلاد فارس وأكثر جهات العراق وسوريا، وأن يُبرزوا التشيّع في حقيقته النقيّة الصافية الممدودة بالمنطق والأدلة العلميّة، وقد أخذوا على عاتقهم مهمة الدعوة الإسلاميّة، وصدّ هجمات الملاحدة من القرامطة والغلاة وغيرهما.

وكان أبو الفتح الكراجكي من أبرز من تحملوا المسؤولية في هذا السبيل. وكان الدور الذي قام بأعبائه مهماً وخطيراً. فقد قدِّر له أن يعيش ـ شطراً من عمره ـ في هذا الثغر الشامي وفي الساحل اللبناني، ليقوم بترسيخ العقيدة الإسلامية، والحدِّ من النزعة الإسماعيليّة، يوم كانت فلسطين ولبنان واقعين تحت نفوذ الدولة الفاطمية، وحين كانت الفكرة الإسماعيلية تعيش في أكثر بقاعهما. وقد اختار الكراجكيّ مدينة طرابلس اللبنانيّة قاعدة لانطلاقه وعمله، حين كان أمراء بني عمار الشيعة يتولّوْن حكمها، ويسيطرون عليها. ومن هذه القاعدة انطلق مناظراً ومجادلاً، وصمد في وجه الموجة الإسماعيليّة حتى انحسرت عن أكثر هذه المنطقة، وحلّت مكانها العقيدة الإماميّة. وشمل نشاطه أيضاً مقاومة سائر المخالفين، كالمعتزلة والأشاعرة، وأهل الديانات الأخرى، كاليهود والنصارى والبراهمة وسواهم، كما يبدو ذلك من متون كتبه المختلفة». هذا، ويظهر من طرق رواياته المذكورة في كنز الفوائد وغيره أنه كان سائحاً في البلاد، -وغالباً- في طلب الفقه والحديث وغيرهما من العلوم.

أساتذته وشيوخ روايته وتلامذته

قال السيد الأمين: «أسند اليه جميع أرباب الإجازات، من تلامذة الشيخ المفيد والشريف المرتضى والشيخ الطوسي، روى عنهم وعن آخرين من أعلام الشيعة والسنة، وروى عنه وقرأ عليه جماعة من علماء عصره..»، ومن أبرز أساتذته:

١ – الشيخ المفيد.

٢- الشريف المرتضى.

٣- أبو يعلى حمزة الديلمي المعروف بسالار.

٤- شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي، وقد شكّك بعضهم في صحّة ذلك.

٥- أبو الحسن محمد بن شاذان القميّ، وهو ابن اخت ابن قولوية القميّ الشهير، روى عنه الكراجكي بمكّة المكرّمة.

كما أخذ عن بعض المشايخ في حلب والقاهرة ومكة والرملة وبغداد وغيرها من البلدان، منهم: الحسين بن محمد بن علي الصيرفي البغدادي، قال الكراجكي عنه: «وكان مشتهراً بالعناد لآل محمد والمخالفة لهم. وقد سمعت من هذا الراوي المخالف عدة فضائل لآل محمد صلّى الله عليهم، سخّره الله لنقلها فرواها راغماً حجةً عليه بها».

وأمّا تلامذته، فأشهرهم:

١ – الشيخ عبد الرحمان المعروف بالمفيد النيسابوري، وهو عم والد الشيخ أبي الفتوح الرازي.

٢- الحسن بن بن بابويه الملقّب بحسكا الرازي القمي.

٣- ظفر بن الداعي بن مهدي العلوي الأسترآبادي، وكان فقيهاً صالحاً.

٤ – الشيخ القاضي عبد العزيز ابن البراج الطربلسي.

٥- الفقيه الحسين بن هبة الله الطرابلسي، روى عن الكراجكي كتابيه (معدن الجواهر) و(روضة العابدين).

أقوال العلماء في فضله

كانت للكراجكيّ رحمه الله شخصية علمية متفوّقة، ومكانة اجتماعية مرموقة، وقد وصفه بعض من ترجم له بأنه كان فقيهاً محدّثاً متكلّماً نحويّاً لغويّاً طبيباً عالماً بالنجوم، أو بأنه رأس الشيعة وصاحب التصانيف الجليلة ومن كبار أصحاب الشريف المرتضى رضوان الله تعالى عليه.

- وقال العلامة المجلسي في (البحار): «وأما الكراجكي فهو من أَجِلّة العلماء والفقهاء والمتكلّمين، وأسند إليه جميع أرباب الإجازات، وكتابه كنز الفوائد من الكتب المشهورة التي أخذ عنه جُلُّ من أتى بعده، وسائر كتبِه في غاية المتانة».

- ذكره الذهبي في غير واحدٍ من مؤلفاته وقال عنه في (تاريخ الإسلام): «أبو الفتح الكراجكي شيخ الشيعة، "..." بارعٌ في فقههم وأصولهم، نحوي، لغوي، منجم، طبيب، رحل إلى العراق ولقي الكبار كالمرتضى..»، وقال الصفدي في (الوافي بالوفيّات)

واليافعي في (مرآة الجنان) نحو ذلك.

ولعل هـذا وغـيره مما لا يبلغه الحصر خير شهادة ودليل على فضله وجلالة قدره وعلمه، فقد أسند إليه جلّ أرباب الإجـــازات، وجعله خاتمة المحدثين الميرزا النوري رحمه الله على رأس جملة من المشايخ الذين تنتهي السلسلة في الإجازات إليهم.

المؤلفات

قال السيد محسن الأمين: «له مؤلفات كثيرة بلغت السبعين حسب بعض معاصريه»، وفي ما يلي شطر من هذه المؤلفات:

١. الإبانة عن المماثلة في الإستدلال بين طريق النبوّة والإمامة.

٢. الأخبار في الآحاد.

٣. الاختيار من الأخبار، وهو مختصر كتاب (الأخبار) للقاضي النعمان.

٤. إذكار الأخوان بوجوب حقّ الإيمان، عملها للشيخ الأجل أبي الفرج البابلي، واحتمل العلامة الشيخ نعمة أن يكون البابلي نسبة إلى قرية البابلية قريباً من الصرفند على ساحل جبل عامل، او أن يكون اسم القرية نسبةً إليه.

٥. الاستنصار في النص على الأئمة الأطهار، يتضمّن ما ورد من طريق الخاصة والعامة من النص على أعداد الأئمة عليهم السلام.

٦. الاستطراف في ذكر ما ورد من الفقه في الإنصاف.

٧. الأصول في مذهب آل الرسول.

٨. انتفاع المؤمنين بما في أيدي السلاطين، صنّفه في صيدا.

٩. الانتقام ممّن غدر بأمير المؤمنين عليه السلام وهو نقض على ابن شاذان الأشعري فيما أورده في آية الغار.

١٠. الأنساب.

١١. الأنيس، يقع في ألفي ورقة، وهو مبوّب في كلّ فن، مات ولم يتمّه.

١٢. إيضاح السبيل إلى علم أوقات الليل، يتضمن ذكر المنازل الثمانية والعشرين وكواكبها، ومواقع بعضها من بعض، صورها، والارشاد إلى معرفتها، والاستدلال على أوقات الليل بها.

١٣. الإيضاح عن أحكام النكاح، عمله بصيدا، ذكر فيه الخلاف بين الإسماعيلية والإمامية.

١٤. الباهر في الأخبار.

١٥. البرهان على صحّة طول عمر الإمام صاحب الزمان، وهي ممّا تضمّنه كتابه كنز الفوائد.

١٦. البستان في الفقه، صنّفه لبعض القضاة، ويقع في نيّف وثلاثين شجرة، ولعلّه (المشجّر) الآتي ذكره.

١٧. البيان عن دلالة شهر رمضان.

١٨. التأديب، عمله لولده.

١٩. التحفة في الخواتيم.

٢٠. التعريف بوجوب حق الوالدين، عملها لولده موسى.

٢١. التفضيل، وهو على الظاهر يُعرف أيضاً باسم الرسالة العلويّة في تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على سائر البريّة سوى الرسول صلى الله عليه وآله، يروي فيه حديث الطائر المشوي عن علي بن الحسن بن مندة.

٢٢. التلقين لأولاد المؤمنين، ألّفه بطرابلس.

٢٣. التنبيه على أغلاط أبي الحسن البصري.

٢٤. تهذيب المسترشدين، متّصل بالتلقين المذكور، يشتمل على ذكر العبادات الشرعيّة، ألّفه بطرابلس أيضاً.

٢٥. الجليس، شبيه الكشكول في خمسة أجزاء.

٢٦. جواب رسالة الأخوين، يتضمّن الردّ على الأشعريّة وفساد أقوالهم وطعنهم على الشيعة.

٢٧. جواب الرسالة الحازميّة في إبطال العدد وتثبيت الرؤية، وهي رد على أبي الحسن بن أبي حازم المعري.

٢٨. حجة العالِم في هيئة العالَم، يتضمّن الدلالة على أن شكل السماوات والأرض كشكل الكرة، وإبطال مقال من خالف في ذلك.

٢٩. دليل النص بخبر الغدير.

٣٠. ذكر الأسباب الصارفة عن معرفة الصواب.

٣١. الراشد أو (الرائد) المنتخب من (غرر الفوائد) وهو أمالي المرتضى.

٣٢. الرحلة، أشار إليه ابن أبي طي في فهرسته.

٣٣. ردع الجاهل وتنبيه الغافل، وهو نقض كلام أبي المحاسن المعري الذي نقض به على الشريف المرتضى في المسح على الرجلين.

٣٤. الرسالة الدامغة للنصارى، وهي نقض كلام أبي الهيثم النصراني في ما رامه من تثبيت الثالوث والاتحاد.

٣٥. الرسالة الصوفيّة.

٣٦. رسالة في الرد على المنجّمين، وهي ممّا احتواه (كنز الفوائد)، ولكنها من النصوص المفقودة لم تُطبع في الكنز، إلا أنّ السيد ابن طاوس في كتابه (النجوم) نقل عن (كنز الفوائد) قطعة كبيرة يُحتمل أن تكون من هذه الرسالة.

٣٧. الرسالة العامريّة في الجواب عن مسألة سألت عنها الغلاة، وأنفذها إلى العامري القاضي، عملها بالقاهرة.

٣٨. الرسالة الناصرية في عمل ليلة الجمعة ويومها.

٣٩. روضة العابدين ونزهة الزاهدين، ثلاثة أجزاء في الصلاة، ألّفه لولده موسى.

٤٠. رياض الحكم، عارض فيه ابن المقفع.

٤١. رياضة العقول في مقدمات الأصول.

٤٢. الزاهر (الزاهد) في آداب الملوك، عمله للأمير صارم الدولة ذي الفضيلتين.

٤٣. شرح الاستبصار في النص على الأئمة الأطهار.

٤٤. شرح (جمل العلم) للشريف المرتضى.

٤٥. عدة البصير في حجج يوم الغدير، أثنى عليه النوري في (المستدرك).

٤٦. العيون في الآداب.

٤٧. غاية الإنصاف في مسائل الخلاف، وهو نقض على أبي صلاح الحلبي في مسائل خلافية بينه وبين الشريف المرتضى، نصر فيها رأي المرتضى رحمهما الله.

٤٨. الغاية في الأصول، في حدوث العالم وإثبات مُحدِثه.

٤٩. الفاضح في ذكر معاصي المتغلبين على مقام أمير المؤمنين (لم يتم).

٥٠. الفهرست، ينقل عنه السيد ابن طاوس في (الدروع الواقية) وابن حجر في (لسان الميزان).

٥١. القول المبين عن وجوب مسح الرجلين.

٥٢. كنز الفوائد، ولعلّه أجلّ كتبه على الإطلاق،

يناقش فيه بأسلوب واضح خالٍ من التعقيد أدقّ المسائل الفكريّة، كمسألة حدوث العالم، ومسألة الحال التي يقول بها المعتزلة، ومسألة الكسب الأشعريّة، والقضايا الخلافيّة بين السنة والشيعة.

٥٣. الكافي بصحة القول برؤية الهلال، عمله بمصر.

٥٤. كتاب في الحساب الهندي وأبوابه وعمل الجذور والمكعبات المفتوحة والصمّ.

غلاف (المعتمد في الإمامة) للكراجكي
بخط ابن قاسم العيناثي (القرن ١١ هجري)

٥٥. المجالس في مقدمات صناعة الكلام.

٥٦. مختصر (كتاب ابن جذاع) للشريف المرتضى في ذكر المعقّبين من وُلد الحسن والحسين عليهما السلام.

٥٧. مختصر البيان عن دلالة شهر رمضان.

٥٨. مختصر التذكرة بأصول الفقه، استخرجها من كتب أستاذه الشيخ المفيد.

٥٩. مختصر (تنزيه الأنبياء) للشريف المرتضى.

٦٠. مختصر (دعائم الإسلام) للقاضي النعمان.

٦١. مختصر طبقات الورّاث، عمله للمبتدئين بطرابلس.

٦٢. مختصر القول في معرفة النبي صلى الله عليه وآله بالكتابة وسائر اللغات، عمله بالقاهرة.

٦٣. المدهش، أو الجدول المدهش.

٦٤. المزار، وهو مختصر في زيارة النبي إبراهيم عليه السلام.

٦٥. المسألة التبيانيّة في فضل أمير المؤمنين × على جميع البريّة سوى سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله.

٦٦. مزيل اللبس ومكمل الأنس.

٦٧. المسألة القيسرانية في تزويج النبيّ صلى الله عليه وآله عائشة وحفصة.

٦٨. المشجّر.

٦٩. معارضة الأضداد باتفاق الأعداد.

٧٠. معدن الجواهر ورياضة الخواطر، في الآداب والحكم وممّا رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، رواه عنه تلميذه الفقيه الحسين بن هبة الله الطرابلسي.

٧١. معونة الفارض على استخراج سهام الفرائض.

٧٢. المقنع للحاج والزائر.

٧٣. المنسك العضبي، ألّفه بطبريّة.

٧٤. منسك لطيف في مناسك النسوان.

٧٥. المعتمد في الإمامة، قال العلامة الطهراني في الذريعة: «استنسخه الشهيد الثاني بخطه..». وصورة الغلاف المرفقة، هي للنسخة التي نقلها ابن قاسم العيناثي عن تلك التي بخط الشهيد الثاني رضوان الله عليه.

٧٦. المنهاج إلى معرفة مناسك الحاج.

٧٧. موعظة العقل للنفس.

٧٨. نصيحة الإخوان.

٧٩. نصيحة الشيعة، (لم يتم).

٨٠. نظم الدرر في مبنى الكواكب والصور، يتضمّن ذكر أسماء الكواكب المُسمّاة على ما نطقت به العرب وأهل الرصد.

٨١. نقض رسالة فردان المروزي في الجزء.

٨٢. نهج البيان في مناسك النسوان.

٨٣. النوادر.

٨٤. الوزيري.

٨٥. هداية المسترشد، (لم يتم)...

٨٦. التعجب من أغلاط العامة في مسألة الإمامة، جمع فيه بين أقوالهم المناقضة لأفعالهم الفاسدة. ومن جملة ما ورد في هذا الكتاب: «وجعلوا ما فعلوا سِمَةً لأولادهم. فمنهم في أرض الشام: بنو السراويل، وبنو السرج، وبنو سنان، وبنو المكبريّ، وبنو الطشتيّ، وبنو القضيبيّ، وبنو الدرجيّ. فأما بنو السراويل: فأولاد الذي سَلب سراويل الحسين عليه السلام. وأما بنو السرج: فأولاد الذي أسرجت خيله تدوس جسد الحسين عليه السلام، ودخل بعض هذه الخيل إلى مصر، فقُلعت نعالُها من حوافرها، وسُمِّرت على أبواب الدُور ليُتبرَّك بها، وجرت بذلك السُنة عندهم حتى صاروا يتعمّدون عمل نظيرها على أبواب دورهم «..» وأما بنو سَنان: فأولاد الذي حمل الرمح الذي على سنانه رأس الحسين عليه السلام.

(ما ينبغي التنبّه إليه: ليس كلّ من كان من آل سنان فهو من نسب هذا الملعون، فهناك بطن من قبيلة اسمه سنان، كما أنّ من شيوخ الشيخ الصدوق «السناني» الذي يترضّى عليه. وقد كانت التسمية بـ«سنان» منتشرة جداً كما يظهر من مصادر الأنساب، كما أنّ الفرق كبير بين السنان بكسر السين والسَنان بفتحه، فالثاني جمع لمفردة طائر «السنونو»، فليلاحظ).

وأمّا بنو المكبريّ: فأولاد الذي كان يكبّر خلف رأس الحسين عليه السلام، وفي ذلك يقول الشاعر:

ويُكبِّرون لإنْ قُتلتَ وإنّما
قتلوا بك التكبيرَ والتهليلا.

وأما بنو الطشتيّ: فأولاد الذي حمل الطشت الذي تُرك فيه رأس الحسين عليه السلام، وهم ـ بدمشق ـ مع بني المكبريّ معروفون. وأما بنو القضيبيّ: فأولاد الذي أحضر القضيب إلى يزيد لعنه الله لنكت ثنايا الحسين عليه السلام. وأمّا بنو الدرجيّ: فأولاد الذي ترك الرأس في درج جيرون».

وفاته

قال الصفدي في (الوافي بالوفيّات): «الكراجكيّ الشيعيّ، محمد بن علي، أبو الفتح الكراجكي شيخ الشيعة، والكراجكي بكافين وجيم هو الخيمي مات بصور في شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربع مائة ..».

وقال الذهبي في (تاريخ الإسلام): «محمد بن علي، أبو الفتح الكراجكي شيخ الشيعة. والكراجكيّ هو الخيميّ، مات بصور في أربع ربيع الآخر..».

من وصايا المرجع الراحل الشيخ محمد أمين زين الدين قدس سره

إبدأ بنفسك

المرجع الراحل الشيخ محمد أمين زين الدين، عالمٌ حجازيّ، أَطَلّ في النجف الأشرف في الستّينات على جيل الشباب المتوثّب للتغيير بكتابه الحركيّ النوعيّ: (إلى الطليعة المؤمنة).

ولقد كان رحمه الله ظاهرة حركيّة فريدة، فهو «الشيبة» الأبرز بين التغييريين، والأديب المتميّز في وَسَطٍ كثُر فيه الأدباء الطليعيّون، ثمّ كتب رسالته العمليّة (كلمة التقوى)، فكانت إنجازاً فقهيّاً مُبتكَراً في الشمول والعرض وعُمق الرؤية والتحقيق.

من رسالته العمليّة (كلمة التقوى) اختارت «شعائر» هذا النصّ حول الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر.

إبدأ بنفسك لتَنهى غيرك

يجب على المؤمن ـ وخصوصاً إذا كان من أهل العلم والدين، والمتصدّين لنصيحة الناس وإرشادهم وأمرِهم بالمعروف ونَهيِهم عن المنكر ـ أن يأمر نفسه بالمعروف الواجب، وأن ينهى نفسه عن المنكر المحرَّم، الصغير منه والكبير، وأن يكون من أشدِّ الناس التزاماً بذلك، وأثبتِهم على إطاعته وتطبيقه على نفسه. وقد ورد في وصيّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولده محمد بن الحنفية:

«**كُن آخَذَ الناس بما تأمرُ به، وأَكَفَّ الناس عمّا تنهى عنه، وَأْمُر بالمعروف تَكُن من أهله**»، وعنه عليه السلام في بعضِ خُطَبِه: «**وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه، فإنّما أُمِرتُم بالنهي بعد التناهي**»، وعن عليٍّ بن الحسين عليهما السلام في حديثٍ له وصف فيه المؤمن والمنافق، قال: «**والمنافق ينهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي**».

ويُستَحَبُّ له أن يأمر نفسه بالمعروف المندوب، وأن يكون من المواظبين عليه، وأن ينهى نفسه عن المكروهات، ويكون من التاركين لها، وأن يأخذ نفسه باكتساب الأخلاق والفضائل الحميدة والتمسّك بها، ويجاهدها بنبذ الأخلاق والرذائل المذمومة والابتعاد عنها، حتى يصبح من أهل المعروف في الدنيا وأهل المعروف في الآخرة، كما نطقت به النصوص الواردة عن أدلّة الهدى عليهم السلام.

فإذا هو تحلّى بجميع ذلك، واستكمل محامدَه، واجتنب مذامَّه في القول والعمل، ثمَّ أمر الناس الآخرين بالمعروف، ونهاهم

المرجع الراحل الشيخ محمد أمين زين الدين

عن المنكر، ودعاهم إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، فقد قام بالامتثال بأرفع مرتبة من الأمر والنهي في الأداء، وأضمنِها في التأثير، وأكبرها مقاماً عند الله، وأقربها زُلفَةً لديه.

وقد ورد في بعض أقوال أمير المؤمنين عليه السلام:

«**مَنْ نصّب نفسه للناس إماماً، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبُه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومُعلِّمُ نفسِه ومؤدِّبُها أحقُّ بالإجلال من معلِّم الناس ومؤدِّبهم**».

ومن الله التوفيق والعون لنيل هذه المرتبة، وغيرها من مراتب الكمال النفسانيّ والخير الأعلى المقصودِ لأهل الدين.

من مستحبّات الدّفن*

قبل الدّفن

الأول: أن يكون عمق القبر إلى الترقوة أو إلى قامة.

الثاني: أن يُجعل له لحدٌ ممّا يلي القبلة في الأرض الصلبة، وأن يُحفر بقدر بدن الميت في الطول والعرض، وبمقدار ما يمكن جلوس الميت فيه في العمق، ويُشقّ في الأرض الرخوة وسط القبر شبه النهر فيوضَع فيه الميت ويُسقف عليه.

الثالث: أن يُدفن في المقبرة القريبة على ما ذكره بعض العلماء، إلاّ أن يكون في البعيدة مزيّة بأنْ كانت مقبرة للصلحاء، أو كان الزائرون هناك أزيَد.

حين الدّفن

الرابع: أن يوضع الجنازة دون القبر بذراعين أو ثلاثة أو أزيد من ذلك، ثم يُنقل قليلاً ويوضع، ثم يُنقل قليلاً ويوضع، ثم ينقل في الثالثة مترسّلاً ليأخذ الميت أهبته، بل يُكره أن يُدخل في القبر دفعة، فإنّ للقبر أهوالاً عظيمة.

الخامس: إن كان الميت رجلاً، يوضَع في الدفعة الأخيرة بحيث يكون رأسه عند ما يلي رجلي الميت في القبر، ثم يدخل في القبر طولاً من طرف رأسه، أي يُدخل رأسه أوّلاً، وإن كان امرأة توضع في طرف القبلة، ثم تدخل عرضاً.

السادس: أن يُغطّى القبر بثوب عند إدخال الإمرأة.

السابع: أن يُسلّ من نعشه سلاًّ، فيرسَل إلى القبر برفق.

الثامن: الدعاء عند السلّ من النعش بأن يقول: «بسم الله وبالله، وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله، أللّهمّ إلى رحمتك لا إلى عذابك، أللّهمّ أفسِح له في قبره، ولقّنه فيه حجّته، وثبّته بالقول الثابت، وقِنا وإيّاه عذاب القبر».

وعند معاينة القبر: «أللّهمّ اجعله روضةً من رياض الجنّة، ولا تجعله حفرةً من حُفر النار». وعند الوضع في القبر يقول: «أللّهمّ عبدك وابن عبدك وابن أمَتك، نزل بك وأنت خيرُ منزولٍ به».

وبعد الوضع فيه يقول: «أللّهمّ جافِ الأرض عن جَنْبَيه، وصاعد عملَه، ولقّه منك رضواناً». وعند وضعه في اللّحد يقول: «بسم الله وبالله، وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله».

ثم يقرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي والمعوّذتين و(قل هو الله أحد)، ويقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، وما دام مشتغلاً بالتشريح [تشريح اللحد: تنضيده باللّبن ونحوه] يقول: «أللّهمّ صِل وحدتَه، وآنِس وحشتَه، وآمِن روعتَه، وأسْكِنْه من رحمتك رحمةً تُغنيه بها عن رحمة مَن سواك، فإنّما رحمتُك للظالمين».

وعند الخروج من القبر يقول: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أللّهمّ ارفع درجتَه في عِليّين، واخلُف على عَقِبِه في الغابرين، وعندك نحتسبُه يا ربّ العالمين».

وعند إهالة التراب عليه يقول: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أللّهمّ جافِ الأرض عن جَنْبَيه، واصعد إليك بروحِهِ، ولقِّه منك رضواناً، وأَسْكِنْ قبرَه من رحمتك ما تُغنيه به عن رحمة مَن سواك»، وأيضاً يقول: «إيماناً بك وتصديقاً بِبَعثك، هذا ما وعدنا اللهُ ورسوله، أللّهمّ زِدنا إيماناً وتسليماً».

التاسع: أن تُحَلَّ عُقَد الكفن بعد الوضع في القبر، ويبدأ من طرف الرأس.

العاشر: أن يُحسر عن وجهه، ويُجعَل خدُّه على الأرض، ويُعمل له وسادة من تراب.

الحادي عشر: أن يُسند ظهره بلَبِنة أو مدرة، لئلاّ يستلقي على قفاه.

الثاني عشر: جعل مقدار لَبِنة من تربة الحسين عليه السلام تلقاء وجهه، بحيث لا تصل إليها النجاسة بعد انفجار الجسد.

الثالث عشر: تلقينُه بعد الوضع في اللّحد قبل الستر باللَّبِن. (أنظر (لولا دعاؤكم) في هذا العدد).

الرابع عشر: أن يُسدّ اللّحد باللَّبن لحفظ الميت من وقوع التراب عليه، والأَولى الابتداء من طرف رأسه، وإن أُحكِمت اللبن بالطين كان أحسن.

الخامس عشر: أن يخرج المباشر من طرف الرجلين فإنّه باب القبر.

السادس عشر: أن يكون من يضعه في القبر على طهارة مكشوف الرأس، نازعاً عمامته ورداءه ونَعليْه، بل وخُفَّيْه إلاّ لضرورة.

السابع عشر: أن يُهيل غير ذي رحم - ممَّن حضر - التراب عليه بظهر الكفّ قائلاً: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون».

الثامن عشر: أن يكون المباشر لوضع الإمرأة في القبر محارمُها أو زوجُها، ومع عدمهم فأرحامها، وإلاّ فالأجانب، ولا يبعد أن يكون الأَولى بالنسبة إلى الرجل، الأجانب.

التاسع عشر: رفع القبر عن الأرض بمقدار أربع أصابع مضمومة أو مُفرجة.

العشرون: تربيع القبر؛ بمعنى كونه ذا أربع زوايا قائمة، وتسطيحه، ويُكره تسنيمه بل تركه أحوط.

* العروة الوثقى، السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي.

علماء النجف

كان الفقيه الكبير الرّاحل الشيخ محمّد رضا المظفّر، من أبرز المُجدّدين في الحوزة العلميّة الأعرق في النّجف الأشرف. وفي الصورة عدد من الأعلام الذين كانوا طلاباً في كليّة الفقه التي أسّسها العلاّمة المظفّر رحمه الله، من أبرز هؤلاء الأعلام: آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي، المرجع الشهيد السيّد محمّد صادق الصدر قدس سره، عميد المنبر الحسيني المرحوم الشيخ الوائلي رحمه الله... (الصورة نقلاً عن موقع اليقين الإلكتروني)

أساتذة وطلاب الدفعة الأولى والثانية بكليّة الفقه في النجف الأشرف:

١. الشيخ محمّد رضا المظفّر (عميد كليّة الفقه وأستاذ الفلسفة وأصول الفقه)،
٢. الشيخ محمّد حسين الصغير (سكرتير جمعية التحرير الثقافي) طالب،
٣. الشيخ عبد المهدي مطر (أستاذ النحو والصرف وعلم الحديث)،
٤. الشيخ محمّد كاظم شمشاد الهندي (مدرّس الفلسفة للصفوف المبتدئة)،
٥. الشيخ أحمد الوائلي،
٦. الشيخ عارف البصري،
٧. السيد أحمد زكي تفاحة،
٨. الشيخ عباس الخاقاني،
٩. عبد الرسول الكرمي،
١٠. الشيخ محمّد مهدي الآصفي،
١١. الشيخ عبد الحميد الحر،
١٢. السيد مصطفى جمال الدين،
١٣. الشيخ جابر الخاقاني،
١٤. الشيخ محمود المظفّر،
١٥. السيد محمّد بحر العلوم،
١٦. الشيخ نعمة الساعدي،
١٧. الشيخ عبد الهادي الفضلي،
١٨. الشيخ محمود الكوثراني،
١٩. السيد مير حسن أبو طبيخ،
٢٠. الشيخ محمّد الخاقاني،
٢١. السيد عدنان البكاء،
٢٢. السيد علي السيد ناصر السلمان،
٢٣. الشيخ يونس المظفّر،
٢٤. الشيخ محمّد الأيرواني،
٢٥. الشيخ أحمد قبيسي،
٢٦. السيد محمّد محمّد صادق الصدر،
٢٧. الشيخ عبد الصمد الكرماني،
٢٨. الشيخ مجيد الصيمري،
٢٩. السيد جعفر القزويني،
٣٠. الشيخ جعفر هادي حسن،
٣١. السيد حسين الخرسان،
٣٢. الشيخ محمّد الدربندي،
٣٣. الشيخ عبد العالي المظفّر،
٣٤. الشيخ محمّد علي الأيرواني،
٣٥. الشيخ علي الفضلي،
٣٦. السيد عبد الهادي الحكيم،
٣٧. السيد نوري اللعيبي،
٣٨. السيد طالب الرفاعي،
٣٩. السيد محمّد تقي الطبطبائي،
٤٠. الشيخ مهدي السماوي،
٤١. السيد هاشم السيد سلمان،
٤٢. السيد أحمد شوقي الأمين.

بحقٍّ أقول لكم...

لكي لا يقتصر الحوار على «كلمة سَواء»، وينفصل عن «الأساس» الذي يجب أن تُبنى عليه هذه الكلمة السَّواء، وهو «ألاّ نعبد إلاّ الله» أي: وعي حقيقة الوجود والموجود، والمُبتدأ والمآل، لذلك ينبغي التوفّر على أبحاث العلاقة بين الفِكر والأخلاق، وبين الفِكر والرّوح، وصولاً إلى اعتماد المخزون الأخلاقيّ – الروحيّ أساساً في حركة الحوار والدعوة إلى كلمة سَواء. في ما يلي، تقدّم «شعائر» مادّة مقترحة كَمُفردة من محوَر أبرز بين أُسس الحوار، هو محوَر (البُعد الروحيّ) سعياً إلى «كلمة سَواء». وهذه المادّة هي تعاليم للحواريّين والأجيال، وجّهها نبيّ الله عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام. جدير بالذكر أنّ هذه التعاليم أوردها الإمام الكاظم موسى بن جعفر الصادق عليه السلام، ضمن وصيّته المعروفة لهشام بن الحكم، كما وردت في «أصول الكافي» للعلاّمة الكليني رحمه الله.

يا هشام، إنّ المسيح عليه السلام قال للحواريّين: يا عبيد السُّوء، يَهولُكم طول النخلة، وتذكرون شوكها ومؤونة مراقيها، وتَنسون طِيب ثمرها ومرافقها. كذلك تذكرون مؤونة عمل الآخرة فيطول عليكم أمَده، وتنسون ما تُفضون إليه من نعيمها ونورها وثمرها. يا عبيد السُّوء، نقّوا القمح وطيّبوه وأدقّوا طحنه، تجدوا طعمه ويهنّئكم أكله، كذلك فأخلصوا الإيمان وأكملوه، تجدوا حلاوته وينفعكم غبّه.

بِحقٍّ أقول لكم: لو وجدتُم سِراجاً يتوقّد بالقطران في ليلة مُظلمة، لاستضأتم به ولم يمنعكُم منه ريح نَتنه. كذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممّن وجدتموها معه، ولا يمنعكم منه سوء رغبته فيها. يا عبيد الدنيا بحقٍّ أقول لكم: لا تدركون شرف الآخرة إلاّ بِتَرك ما تحبّون، فلا تنظروا بالتوبة غداً، فإنّ دون غدٍ يوماً وليلة، وقضاء الله فيهما يغدو ويروح. بحقٍّ أقول لكم: إنّ مَن ليس عليه دَيْن من الناس، أَروَح وأقلّ همّاً ممّن عليه الدّيْن، وإن أحسن القضاء. وكذلك مَن لم يعمل الخطيئة أروَح همّاً مِمّن عمل الخطيئة، وإن أخلص التوبة وأناب. وإنّ صِغار الذنوب ومحقّراتها من مكائد إبليس، يُحقّرها لكم ويُصغّرها في أعينكم، فتجتمع وتكثر فتحيط بكم.

بحقٍّ أقول لكم: إنّ الناس في الحكمة رجُلان: فَرَجُل أتقنَها بِقَوله وصدَّقها بفعله. ورَجُل أتقنَها بِقَوله وضيَّعها بِسوء فعله، فَشَتّان بينهما، فَطوبى للعلماء بالفعل، ووَيْلٌ للعلماء بالقَول.

يا عبيد السُّوء، اتّخذوا مساجد ربّكم سُجوناً لأجسادكم وجباهِكم. واجعلوا قلوبكم بيوتاً للتقوى. ولا تجعلوا قلوبكم مأوًى للشهوات، إنّ أجزَعكم عند البلاء، لأشدُّكم حبّاً للدنيا. وإنّ أصبرَكم على البلاء، لأزهدُكم في الدنيا.

يا عبيد السُّوء، لا تكونوا شبيهاً بالحداء الخاطفة، ولا بالثعالب الخادعة، ولا بالذئاب الغادرة، ولا بالأُسد العاتية كما تفعل بالفرائس. كذلك تفعلون بالناس، فريقاً تخطفون، وفريقاً تخدعون، وفريقاً تغدرون بهم. بحقٍّ أقول لكم: لا يُغني عن الجسد أن يكون ظاهره صحيحاً وباطنه فاسداً، كذلك لا تُغني أجسادكم التي قد أعجبَتْكم وقد فَسَدَت قلوبكم. وما يُغني عنكم أن تُنقّوا جلودكم وقلوبكم دَنِسة. لا تكونوا كالمنخل يَخرج منه الدَّقيق الطيِّب ويُمسك النّخالة. كذلك أنتم تُخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغِلّ في صدوركم. يا عبيد الدنيا، إنّما مَثَلكم مَثل السراج يضيء للناس ويُحرق نفسه.

يا بني إسرائيل، زاحموا العلماء في مجالسهم ولو جَثواً على الرُّكب، فإنّ الله يُحيي القلوب المَيتة بِنور الحكمة، كما يُحيي الأرض المَيتة بِوابِل المطر.

يا هشام، مكتوب في الإنجيل: طوبى للمتراحمين، أولئك المرحومون يوم القيامة. طوبى للمُصلِحين بين الناس، أولئك هم المقرَّبون يوم القيامة. طوبى للمُطهَّرة قلوبهم، أولئك هم المُتَّقون يوم القيامة. طوبى للمتواضِعين في الدنيا، أولئك يرتَقون منابر المُلك يوم القيامة. يا هشام، قلّة المنطق حُكم عظيم، فعليكم بالصمْت، فإنّه دعة حسنة، وقلّة وِزر، وخفّة من الذنوب. فحصِّنوا باب الحلم، فإنّ بابه الصبر. وإنّ الله عزّ وجلّ يُبغض الضحّاك من غير عجب، والمشّاء إلى غير أرب. ويجب على الوالي أن يكون كالراعي، لا يغفل عن رعيّته ولا يَتكبّر عليهم. فاستَحْيوا من الله في سرائركم، كما تستحيون من الناس في علانيَتكم. واعلموا أنّ الكلمة من الحكمة ضالّة المؤمن، فعليكم بالعِلم قبل أن يُرفع، ورَفعُه غَيْبةُ عالِمِكم بين أظهركم...

تجديد الخمينيّة: «قم» على خط المواجهة!

السيد محمد صادق الحسيني *

مرّة أخرى، تستعيد طهران عافيتها انطلاقاً من مدينة قم المقدّسة، وكأنّ التاريخ يعيد نفسه. من جديد، ثمّة مَن يتحدّث عن «خمينيّة» جديدة أخذت تتحرّك في عروق الحوزة الدينيّة، ومجتمع النخبة الإيراني، منذ مدّة وعلى مدى الساعة، على أنغام لقاءات المرشد الأعلى للثورة الإسلاميّة الإمام السيّد عليّ الخامنئيّ مع كبار مراجع قم وعوائل شهدائها وحشود جماهيرها، والتي ترافقت مع خطابات أعادت الحياة مرة أخرى إلى ما بات يُعرف بـ «الإسلام السياسيّ»!

السيد القائد في قم

يُذكر أنّ قائد الثورة الإسلاميّة قام بزيارة تاريخيّة لمدينة قم المقدّسة قبل أسابيع، ترافقت مع استقبالٍ جماهيريٍّ حاشدٍ قلَّ نظيرُه، قارنه العديدون مع الاستقبال التاريخيّ الذي حصل للإمام المؤسّس للثورة الإسلاميّة الإمام الخميني قدّس سرّه، لدى عودته من باريس إلى طهران عشيّة الانتصار في العام ١٩٧٩م!

ولعلّ الحركة التي بدأت تدبُّ في كلّ شرايين الدولة والمجتمع منذ أيام، كانت بسبب الأنباء المتواترة القادمة من هناك، والتي تؤكّد تمكُّن مرشد الثورة الإمام السيد عليّ الخامنئيّ من إعادة لَمِّ شمل الحوزة والقيادة الدينيّة من أعلى مستوياتها إلى أدناها، في حركة وَحْدَوِيَّة لافتة، ما دفع معارضي النظام الذين طالما راهنوا على انقسام قم كخشبة خلاص لهم، اعتبارها بمثابة «القشّة التي قصمت ظهر البعير»!

من جهة أخرى، فإنّ الأنباء التي نشرها محافظ البنك المركزيّ الإيرانيّ منذ مدّة، والتي تفيد «بوجود ما يزيد على المائة مليار دولار في احتياطات الخزانة الوطنيّة، وما يوازي نحو عشرة سنين من حاجة البلاد من احتياطيّ الذهب»، جعلت المراقبين لمُجريات تأثير العقوبات على إيران يتأكّدون من عبثيّتها أكثر من أيّ وقت مضى، وربّما كان هذا واحداً من العوامل التي دفعت برئيس وزراء إيطاليا إلى التصريح بأنّ: «العقوبات الدوليّة على إيران ليست ذات تأثير، والأجدى اعتماد وسائل تقارب مع طهران أكثر من أساليب عزل»، كما نشرت مواقع إلكترونيّة عديدة!

وفي كلتا الحالتين، ثمّة من يؤكّد أنّ ما يحصل في هذين الاتّجاهين من تطوّرات على الساحة الإيرانيّة إنّما يعيد ترتيب الوضع الداخليّ الإيرانيّ بشكل يجعل من الصعب على الغرب، إن لم يكن من المستحيل، أن يقهر إرادة صاحب القرار في إيران، أو أن يجعله ينحني أمام عملية تضييق حلقة الحصار الاقتصادي عليه من الخارج، خاصّة وأنّ التعليمات الصادرة بهذا الخصوص من القيادة العليا واضحة لا لبس فيها: «استعدّوا لقيام اقتصاد مقاوم وعمليّات التفاف واسعة على العقوبات لجعلها أثراً بعد عين»، كما جاء في إحدى خطب الإمام السيد عليّ الخامنئيّ قبل مدّة قصيرة!

وإذا ما أضفنا الانتصار الدبلوماسيّ اللافت الذي سجّلته القيادة الإيرانيّة على الساحة الإقليميّة، لا سيّما ذلك الجانب المتعلّق بالزيارة التاريخيّة للرئيس محمود أحمدي نجاد إلى لبنان، وما تركَتْه من أثر على وزن إيران الإقليميّ وامتداد نفوذها، «مظهراً» على شواطئ المتوسّط، فإنّ من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، بعد كلّ ذلك أن يبقي المفاوض الإيرانيّ، الذي يستعدّ لجولة جديدة من المفاوضات مع مجموعة الخمسة زائد واحد، على الدرجة نفسها من الوزن والثقل.

على أيّة حال، فالعارفون ببعض خفايا ما يحصل بين طهران وقم يعتبرون المحطّة الأخيرة لحركة القيادة الإيرانيّة العُليا بمثابة

* كاتب ومحلّل سياسي

تتويج لدبلوماسيّة داخليّة وخارجيّة قادها، ولا يزال يقودها، الإمام الخامنئيّ شخصيّاً في كلّ محطاتها الداخليّة والخارجيّة، وهو يُعدّ لمفاجآت جديدة على المستوى الخارجيّ قد تكون فلسطين إحدى محطّاتها التاريخيّة، مستندين في ذلك إلى حديث خاص تمّ إبلاغه في وقت ليس ببعيد على مستوى الخواصّ تمّ التأكيد فيه: «بأنّ المنازلة الكبرى بين العدو الصهيوني وقوى المقاومة والممانعة لا شكّ واقعة، وأنّ على الجميع أن يستعدّ لها، لأنّها ستكون الحاسمة والتي ستغيّر وجه المنطقة» على حدّ نقل أولئك الخواصّ، أيّاً تكن التكتيكات أو الأساليب التي يتّبعها الغرب مع طهران في عمليّة ما يسمّيه هو بـ «سياسة العصا والجزرة».

المنازلة الكبرى بين العدو الصهيوني وقوى المقاومة والممانعة لا شكّ واقعة، وعلى الجميع أن يستعدّ لها، لأنّها ستكون الحاسمة وستغيّر وجه المنطقة

إنّ كلّ مطّلع على أحوال الوضع الإيرانيّ من الداخل، بات يعلم جيداً أنّ أثر تلك السياسة العرجاء لن تزيد النظام الإيرانيّ ونُخَبه وجماهيره إلاّ مزيداً من الصلابة والصرامة، ومزيداً من الالتفاف حول صانع القرار الوطنيّ، بعدما استطاع أن يستنفر الذاكرتين الدينيّة والقوميّة، ويحشدهما في إطار معركة مقدّسة صار عنوانها «قيامة إيران الإسلاميّة الكبرى». لا بل ثمّة من يذهب إلى أبعد من ذلك، رابطاً بين ما يحصل في إيران الداخل، لا سيّما على المستوى الدينيّ والحوزويّ تحديداً، وبين نهضة وتنامي الإسلام السياسيّ على مستوى الإقليم عموماً، ولا سيّما على مستوى نموذج «حزب الله» اللبنانيّ المتحالِف استراتيجيّاً مع كلّ من دمشق وطهران، ليخلص إلى أنّ ثمّة مشروعاً نهضويّاً إسلاميّاً مشرقيّاً تعمل طهران بكلّ ما أُوتيت من قوّة ومن رباط الخيل على تكريسه وبلوَرته، ليشكّل نواة «مشرق جديد»، وليقف حائلاً بوجه «الشرق الأوسط الجديد» الأميركيّ الإسرائيليّ، والمعتمَد لدى بعض الدوائر الإقليميّة عنواناً لحروب فتنويّة متنقّلة مطلوبٌ وَأْدُها في مهدها مهما كلّف ذلك من ثمن. وطِبقاً لما يتواتر من قُم، التي تحوّلت إلى عاصمة مؤقّتة لهذا المشروع خلال زيارة المرشد الأعلى إليها، فإنّ هذا الأمر قد تمّ تداوله بالتفصيل والدقّة اللاّزمة مع كبار المراجع الدينيّين والنُّخَب الحوزويّة، ليكونوا في صورة ما تُعِدُّ له طهران من استراتيجيّة إقليميّة كبرى، لا سيّما في مجال «الحرب الناعمة» المعتمَدة من جانب أصحاب مشروع «الشرق الأوسط الجديد» الآنف الذكر!

تسعُ خِصال

* رسول الله صلى الله عليه وآله: «أُعطيت في عليّ تسع خصال: ثلاثاً في الدنيا، وثلاثاً في الآخرة، واثنتين أرجوهما له، وواحدة أخافها عليه. وأمّا الثلاثة التي في الدنيا، فساتر عورتي، والقائم بأمر أهل بيتي، ووصيّي في أهلي. وأمّا الثلاثة التي في الآخرة، فإنّي أُعطى لواء الحمد فأعطيه يحمله، وأتكئ عليه عند قيام الساعة، ويُعينني على مفاتيح الجنة. وأمّا الاثنتان اللّتان أرجوهما له، فإنّه لا يرجع بعدي كافراً ولا ضالاً، وأمّا الواحدة التي أخافها عليه فغدرُ قريش به بعدي».
* رسول الله صلى الله عليه وآله: «رُفع عن أمّتي تسعة: الخطأ والنسيان، وما أُكرهوا عليه، وما لا يعلمون، وما لا يُطيقون، وما اضطرّوا إليه، والحسد، والطيرة، والتفكّر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة».
* الإمام الباقر عليه السلام: «تكون تسعة أئمّة بعد الحسين بن عليّ عليه السلام، تاسعهم قائمهم».
* الإمام الصادق عليه السلام: «لِفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عزّ وجلّ: فاطمة، والصدّيقة، والمباركة، والطاهرة، والزكيّة، والراضية، والمرضيّة، والمحدَّثة، والزهراء».
* الإمام الصادق عليه السلام: «إذا همَّ العبد بحسنة كُتِبت له حسنة، فإذا عملها كُتبت له عشر حسنات، وإذا همّ بسيئة لم تُكتب عليه، فإذا عملها أُجِّل تسع ساعات، فإن ندم عليها واستغفر وتاب لم يُكتب عليه، وإن لم يندم ولم يتُب منها كُتبت عليه سيئة واحدة».
* عن جابر بن عبد الله الأنصاري: كنت ذات يوم عند النبيّ صلى الله عليه وآله إذ أقبل بوجهه على عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: «ألا أُبشّرك يا أبا الحسن؟»، فقال: «بلى يا رسول الله»، فقال: «هذا جبرئيل يخبرني عن الله جلّ جلاله أنه قد أعطى شيعتك ومحبّيك تسع خصال: الرفق عند الموت، والأُنس عند الوحشة، والنور عند الظلمة، والأمن عند الفزع، والقسط عند الميزان، والجواز على الصراط، ودخول الجنة قبل سائر الناس، ونورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم».

«إبصار العين في أنصار الحسين»

للعلامة الشيخ محمد بن طاهر السماوي

إعداد: طالب صلاح

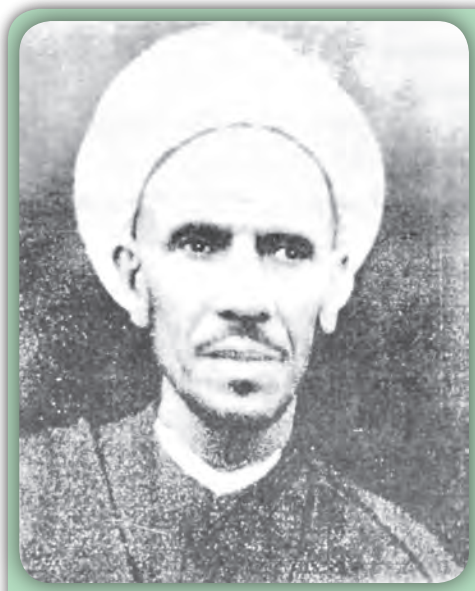

الشيخ محمّد بن طاهر السَّماوي

الكتاب: «إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام».
المؤلّف: الشيخ محمّد بن طاهر السَّماوي (ت ١٣٧٠ هـ).
الناشر: «مركز الدراسات الإسلاميّة لحرس الثورة» ـ تحقيقات عاشوراء، قم- إيران. الطبعة:الأولى، سنة ١٤١٩ هـ.

كتاب مرجعيّ فريد في بابه، كان وما يزال الترجمة المنهجيّة الوافية والأبرز لأصحاب الإمام الحسين عليه السلام. تقوم منهجيّته على:

١ - سِعة التتبّع في المصادر الأهمّ لتقديم ترجمة الأصحاب.

٢ - التركيز على منابتهم، ليتمّ نضد كلّ أفراد قبيلة تحت عنوانها.

٣- نضد الحالات المتشابهة في عشرين فائدة، والمراد بالحالات المتشابهة، مثلاً: الذين مشى إليهم الإمام الحسين عليه السلام عند شهادتهم، وهكذا.

٤ - ضبط الغريب، وهو باب شديد الأهميّة تمّ فيه ضبط الألفاظ الغريبة، إنْ في رجز أصحاب سيّد الشهداء عليه السلام، أو في الأسماء، أو غيرها.

إنّه حقاً كتابٌ جديرٌ بالقراءة والتدريس.

من هو السماوي؟

جاء في مقدّمة التحقيق: «هو الشيخ محمّد بن طاهر بن حبيب بن حسين بن محسن بن تركي الفضلي الشهير بـ «السماوي». عالم جليل، وشاعر شهير، وأديب معروف. وُلد في السماوة (٢٧ ذي الحجّة عام ١٢٩٢ هـ ق)، ونشأ بها، وبعد عشر سنوات من عمره تُوفّي والده، فهاجر إلى النجف الأشرف لطلب العلم، فقرأ المبادئ على مشايخه، وأشهرهم الشيخ شكر بن أحمد البغدادي، والشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي، وأخذ الرياضيّات على الشيخ آقا رضا الأصفهاني، والأصول والفقه على الشيخ عليّ ابن الشيخ باقر والشيخ حسن صاحب الجواهر، والشيخ آغا رضا الهمداني، والسيّد محمّد الهندي، والشيخ محمّد طه نجف، والشيخ حسن المامقاني، والشيخ فتح الله المعروف بشيخ الشريعة الأصفهاني، وأعلام آخرين. وممّن أجازه إجازة اجتهاد: الشيخ عليّ بن الشيخ باقر وصاحب الجواهر، والسيّد محمّد الهندي، والسيّد حسن الصدر.

بقي الشيخ السماويّ في النجف إلى عام ١٣٢٢هـ، وبعدها رجع إلى مَسقط رأسه وبقي فيه إلى عام ١٣٣٠ هـ، ثمّ طُلب من بغداد فعُيِّن عضواً في مجلس الولاية الخاص خمس سنين، وفيها كانت الحرب العالميّة الأولى، فارتحل منها إلى النجف عند الاحتلال الإنكليزيّ وبقي فيها إلى أن عُيِّن قاضياً، واستمرّ في موقعه هذا طيلة زمن الاحتلال وعامين من الحكم الوطنيّ، ثمّ نُقل إلى كربلاء فبقي فيها سنتين، ونُقل إلى بغداد فبقي فيها عشر سنوات بين القضاء والتمييز الشرعيّ، وأخيراً نُقل إلى النجف بناءً على طلبه فبقي فيها سنة، واستقال على أثر سوء تفاهم وقع بينه وبين فخامة السيّد محمد الصدر أدّى إلى ذلك «..» والسماوي شخصيّة علميّة أدبيّة فذّة، جَمعتْ كثيراً من أصول الفضائل، وطَمحتْ إلى أسمى الأهداف.

وقال الشيخ جعفر النقدي: «فاضل، سبقت دوحة فنونه في رياض الفضائل، وجرت جداول عيونه في غضون الكمالات».

وقال عبد الكريم الدجيلي في جريدة (اليقظة): «كان السماويّ خير من يمثّل العالِم في المدرسة القديمة بأسلوب كلامه، وطريقة حواره، وهيئة بزّته، واتزانه وتعقّله. وهو إذا حضر مجلساً يأسر قلوب الحاضرين بسرعة البادرة، وحضور النكتة، وقوّة الحافظة، وسِعة الخيال. فهو ينتقل بك من الشعر العالي المتسامي إلى طُرف من التاريخ والآداب، ثمّ إلى نوادر من الحديث والتفسير.

وهو إلى جانب ذلك، يسند حديثه بإحكام ودقّة تعبير، فيدلّك على الكتاب الذي يضمّ هذه النادرة أو تلك النكتة، وعلى الصحائف التي تحويها، وعلى السنة التي طُبع فيها هذا الكتاب إن كان مطبوعاً، وإلى عدد طبعاته إن كانت متعدّدة، وحتّى التحريف والتشويه بين الطبعات! «..» فهو يعيد لك عهد

«عَلم الهدى» في مجالسه، و«القالي» في أماليه، و«المبرّد» في كامله، و«الجاحظ» في بيانه وتبيينه، ولا تفارقه الابتسامة التي تقرأ منها عمق التفكير، وجلال العلم، وغبار السنين. توفّي في النجف في الرّابع من المحرّم عام ١٣٧٠ هـ، ودُفن بها، وأرّخ وفاته بعضهم ضمن تاريخ وفاة الشيخ جعفر النقدي، الذي كانت وفاته بعده بأيّام «..». من آثاره: (الطليعة في شعراء الشيعة)، (إبصار العين في أنصار الحسين)، (ظرافة الأحلام فيمن نظم شعراً في المنام)، (الكواكب السماويّة في شرح القصيدة الفرزدقيّة)، و(شجرة الرياض في مدح النبيّ الفيّاض)».

مِن مُقدِّمة المؤلّف

قال الشيخ السماوي: «أمّا بعد، فإنّي كنت شديدَ التطلّع إلى معرفة أعيان أنصار الحسين، كثيرَ التشوّف والتشوّق إلى تراجمهم لأعرفَهم معرفةَ عين، فلذلك تراني منذ عشر سنواتٍ أتصفّح كتب الرجال والمقاتل والغارات، وأتطلّبها تَطلُّبَ الطير للأقوات، في الابتياع والاستعارات، وألتقطُ مِن كلّ كتابٍ ثمرةَ الغراب، حتّى تمّت لي تراجمُ أولئك الأنجاب، إلاّ ما شذّ ولم أعثر عليه بخَيلٍ ولا رِكاب، فأخرجتُها من السواد إلى البياض، وضبطتُ في آخر كلّ ترجمةٍ ما وقع فيها من الغريب؛ ليَسلمَ الأديبُ من الاعتراض، وسمّيتُها: (إبصار العين في أنصار الحسين)، ورتّبتُها على:

ـ فاتحةٍ أذكر فيها أحوال الحسين عليه السلام على الاختصار.

ـ ومقاصدَ أذكرُ فيها قبيلةً قبيلةً، ومَن انتسب إليها من الأنصار.

ـ وخاتمةٍ أذكر فيها ترتيب أسمائهم على حروف المعجم؛ ليسهل استخراجُ كلّ مُترجَم.

وخدمتُ بالكتاب حجّةَ الله في أرضه وسمائه، وعنوانَ قُدسه المشتقّ اسمُه مِن عظيم أسمائه، ريحانةَ الرسول، وقُرّةَ عين البتول، وثمرةَ قلب الوصيّ، وشقيقَ الزكيّ، أحدَ الثقلين، وحبيبَ خيرةِ الثقلين: أبا عبد الله الحسين، صلوات الله عليه وسلامه ورضوانه وإكرامه، فإن حاز القبول، فهو المأمول.

يا نَسيمَ القَبولِ بالله بالشَّوْ ... قِ بِحُسْنِ اللّقا بِطِيبِ الوُصولِ

هُبَّ نحوي فالروضُ أزهَرَ مِنْ ... سُقْيادُموعي، واحتاج مَحضَ القبولِ».

التعريف بالكتاب

جاء في مقدّمة التحقيق: «قال آغا بزرك الطهرانيّ: (إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام) للعلاّمة الماهر الشيخ محمّد بن طاهر السماوي، ألّفه أوان قضائه في النجف الأشرف سنة ١٣٤٣ هـ بالنجف، ثمّ أضاف إليه أشياءَ لم تُطبع بعد. وقد ذكر المؤلّف رحمه الله في هذا الكتاب أسماءَ مائةٍ وعشرين من أنصار الإمام الحسين عليه السلام، سواءٌ الذين استُشهِدوا بين يدي الإمام عليه السلام يومَ الطفّ في كربلاء، أو الذين جُرِحوا ولم يُستشهَدوا كالحسن المثنّى، أو الذين استُشهِدوا في نُصرته قبل يوم الطفّ في البصرة كسليمان بن رزين، أو في الكوفة كقيس بن مسهّر الصيداوي ومسلم بن عقيل وهاني بن عروة، وغيرهم رضوان الله عليهم."..". كان السماوي رحمه الله في كتابه هذا سبّاقاً إلى وضع منهجٍ لإحصاء أسماء شهداء الطفّ وضبط تراجمهم والتعريف بهم، ثمّ جاءت الكتب على منواله تُحقّق وتُضيف.

والكتاب يشتمل على فاتحة، ذكَر فيها المؤلّف رحمه الله أحوال الإمام الحسين عليه السلام من الولادة حتّى الشهادة، باختصار.

وفي الكتاب سبعة عشر مقصداً، تعرّف المؤلّف رحمه الله في كلّ واحدٍ منها إلى قبيلةٍ من القبائل التي كان منها نصيرٌ أو أكثر من أنصار الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

أمّا خاتمة الكتاب، فتحتوي على إشارةٍ إلى عشرين فائدةً، جميعها ترتبط بأنصار الإمام الحسين عليه السلام».

* وتجدر الإشارة إلى أهمّيّة الفوائد العشرين هذه التي أشار إليها المحقّق في كلامه المتقدّم، فهي فريدة في بابها لم يسبق المؤلّف لمثلها ولم يأتِ بعده أحد بما يقاربها، وإليك عناوينها تتمّة للفائدة:

الخاتمة في فوائد تتعلّق بأنصار الحسين عليه السلام:

١. بنو أسد يدفنون الأجساد الطاهرة ص٢١٩.
٢. في الرؤوس التي قُطعت بعد الشهادة ص٢٢٠.
٣. في أنصار الحسين عليه السلام غير الطالبيّين ص٢٢٠.
٤. أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله المستشهَدين مع الحسين عليه السلام ص٢٢١.
٥. في المَوالي الذين استُشهدوا مع الحسين عليه السلام ص٢٢١.
٦. في الذين قُتلوا بعد الحسين عليه السلام ص٢٢٢.
٧. في الذين ماتوا من الجراحات من أنصار الحسين عليه السلام ص٢٢٢.
٨. في الذين استُشهدوا مع آبائهم في الطفّ ص٢٢٢.
٩. في الأخوة الذين استُشهدوا مع الحسين من بني هاشم ص٢٢٣.
١٠. في الذين قُتلوا، وكانت أمّهاتهم في الخيَم ص٢٢٣.
١١. في الصبيان الذين قُتلوا مع الحسين عليه السلام ص٢٢٤.
١٢. في الذين أبْنهم الحسين عليه السلام ص٢٢٥.
١٣. في الذين مشى الحسين عليه السلام إليهم بعد استشهادهم ص٢٢٦.
١٤. في الذين قُطِّعت أعضاؤهم بعد استشهادهم ص٢٢٦.
١٥. في الذين رُميت رؤوسهم نحو الحسين عليه السلام ص٢٢٧.
١٦. امرأة استُشهدت في الطفّ ص٢٢٧.
١٧. امرأتان قاتلتا مع الحسين عليه السلام في الطفّ ص٢٢٧.

١٨. في النسوة اللواتي برزْنَ بين الأعداء يوم الطف ص٢٢٨.
١٩. بقاء عيالات غير الطالبيّين من أنصار الحسين عليه السلام ص٢٢٨.
٢٠. في الصبيَّيْن اللذين قُتلا بعد استشهاد الحسين عليه السلام ص٢٢٨.

وقد ختم المؤلّف كتابه (إبصار العين) بقوله رحمه الله:

«فهؤلاء مائة واثنا عشر نفراً من أنصار الحسين عليه السلام، ترجمتهم في هذا الكتاب المسمّى (إبصار العين)، وما حصلتُ على هذه التراجم إلاّ بكدّ اليمين، وعرق الجبين، وسهر الناظِر، وفكر الخاطِر، وما استسهلتُ هذه المخاطِر إلاّ لأنّني:

خدمْتُ به سبط النبيّ مترجماً ... لأنصاره المستشهَدين على الطفّ
فإن كان مقبولاً وظنّي هكذا ... فيا سعد حظّي بالكرامة واللّطفِ
وإلاّ فإنّي واقف وسينهمي ... على واقفٍ تحت الحياصيّبُ الوطْفِ

وهذا آخر ما يجرى به اليراع، وتنثني عليه العضد والذراع، ختمتُه حامداً لله رب العالمين، مصلّياً على محمّدٍ وآله الميامين، في البلد الأمين نجف كوفان، لِثمانٍ بَقين من شعبان، سنة ألف وثلاثمائة وإحدى وأربعين من الهجرة النبويّة، على مهاجرها الصلاة والسلام والتحيّة».

على بحرٍ من الدَّمع والجَوى

في مدح الإمام الثامن من أئمّة المسلمين

عليّ بن موسى الرضا عليه السلام

لقد أشرَقت في طوسٍ شمسٌ بها أُنسي ... فذابَتْ وِصالاً في أشعَّتها نفسي
وألقَت على العُشاقِ بُرد معارف ... وراحت بِكفِّ اللّطفِ تَمحو به بُؤسي
وتُحيي بِه مَيت البلادِ بعطفِها ... وأملأُ من ماءِ الولاء لها كأسي
وأكْرعُه شوقاً لآلِ محمّدٍ ... فَيَهوي سُجوداً فَوق أعتابِهم رأسي
عليُّ بن موسى جَوْهر القُدسِ والعُلا ... رَؤوفٌ عَطوفٌ راحمُ الجِنِّ والإنسِ
هو السرُّ فاقَ العقلَ والعقلُ دونه ... وليس لفانٍ أنْ يرى جَوْهر الشمسِ
فداكَ دَمي رُحماك هاكَ مدامعي ... فَجَمرةُ نار الشَّوْق يَعشقُها أُنسي
أَبِيتُ على بحرٍ من الدمعِ والجَوَى ... عسى فُلْك المَفتونِ في حيّكم يرْسي
فَتَستاف روحي من سلاف هواكمُ ... كمَا صارَ نشواناً بِكم رَجَبُ البَرْسي
فَيا مَعدِن الإكسيرِ هاكَ نُفوسنا ... فَصَقْلاً بِذا الإكسير تَبْرا من الرِّجسِ
رميْتُ بِقوْسِ العشقِ شَمعة حُبّكم ... فطافَتْ وذابَتْ في الهوَى نبْلةُ القَوْسِ.

مختارات من قصيدة للشاعر: عليّ إسماعيل خليل شاهين – لبنان

العرش، الإستواء، الكرسيّ

تواصل «شعائر»تقديم المصطلحات الدينيّة التي تمسّ الحاجة إلى معرفتها. ونقدّم هنا ثلاثة مصطلحات، من كتاب «المصطلحات الإسلاميّة» كما حدّدها العلّامة الراحل السيد مرتضى العسكري رحمه الله تعالى.

العَرْش

العرش في اللّغة: شيء مُسَقَّف، وجمعُه عروش، وسمِّي مجلس السلطان عَرشاً، اعتباراً بعُلوِّه، وكُنِّي به عن العِزّ، والسُّلطانِ، والمملكة. في لسان العرب: ثلّ اللهُ عَرْشَهُمْ أَيْ هَدَمَ مُلْكَهُمْ.

وفي هذا المعنى قال الشاعر:

إذا ما بنو مروان ثُلَّتْ عروشهم

وأودتْ كما أودت إيادٌ وحِمْيَرُ.

أراد إذا ما بنو مروان هلك مُلكهم وبادوا.

***

استوى

* مادّة (سوى) في المصادر اللّغويّة:

أ- (التحقيق في كلمات القرآن): الاستواء يختلف باختلاف المواضع، ففي كلّ موضع بحسبه وعلى ما يقتضيه.

ب- (مفردات الراغب): استوى فلان على عمالته، واستوى أمر فلان، ومتى عُدِّيَ بعلى اقتضى معنى الاستيلاء كقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ طه:٥.

ج- (المعجم الوسيط): يُقال استوى على سرير المُلك، أو على العرش: تولّى المُلك.

كما قال الأخطل في مدح بشر بن مروان الأمويّ:

قد استوى بِشرٌ على العراق

من غير سيفٍ أو دمٍ مهراقِ.

***

الكُرسيّ

الكرسيُّ في اللّغة: السرير والعِلم.

روى الطبري والقرطبي وابن كثير عن ابن عباس واللّفظ من الطبري بإيجاز أنّه قال: كُرسيُّه: عِلْمُهُ.

قال الطبري: «كما أخبر عن ملائكته أنّهم قالوا في دعائهم: ﴿.. رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا..﴾ غافر:٧، فأخبر تعالى ذكره أنَّ علمه وسع كلّ شيء، فكذلك قوله: ﴿..وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ..﴾ البقرة:٢٥٥، قال: وأصل الكرسيّ العلم، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها عِلم مكتوب: كراسة. ومنه يقال للعلماء الكراسيّ.

ومنه قول الرّاجز: (حتّى إذا ما احتازها تكرّساً) يعني: علم.

ومنه قول الشاعر:

تحفُّ بهم بيض الوجوه وعصبةٌ

كراسيُّ بالأحداث حين تنوبُ.

يعني بذلك علماء بحوادث الأُمور».

وحكى الله عن إبراهيم عليه السلام أنّه قال لقومه: ﴿.. وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ الأنعام:٨٠، وعن شعيب عليه السلام أنّه قال لقومه: ﴿.. وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا..﴾الأعراف:٨٩، وعن موسى عليه السلام أنّه قال للسّامري: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ طه:٩٨، وقال الإمام الصادق عليه السلام، السادسُ من أوصياء الرّسول صلى الله عليه وآله، في جواب من سأله عن قوله تعالى: ﴿..وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ..﴾ البقرة:٢٥٥، قال: علمُه.

وإنّ الكرسيَّ جاء في القرآن الكريم ـ أيضاً ـ بمعنيين:

أ ـ بمعنى السّرير، كما جاء في قوله تعالى في قصّة سليمان عليه السلام: ﴿.. وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا..﴾ ص:٣٤. ب ـ بمعنى العلم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿..يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ..﴾ البقرة:٢٥٥. ومجيئه في هذه الجملة بعد علمه يدلّ على أنّ المقصود من كرسيّه، علمه تعالى. ويكون معنى الجملة عندئذٍ: يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلّا بما شاء، وَسِع علمُه السّماوات والأرض. وعلى هذا فإنّ معنى بعض الروايات إنّ «كلّ شيءٍ في الكرسيّ» أي أنّ كلّ شيء في علم الله.

التمثيل والنيابة

حين يكون تداول السلطة مطابقاً لإرادة الناخبين

خضر إبراهيم

أتاح النظام التمثيلي الذي نشأ في غرب أوروبا، وخصوصاً في إنكلترا، للمواطنين أن يشعروا أنّ لهم قسطاً ومسؤوليّة شخصيّة في الدولة. وقد حرّك هذا وعيَهم السياسي وطوّره. فالمبدآن السياسيّان اللذان تقوم عليهما الديموقراطية الحديثة هما: مبدأ التمثيل الشعبيّ، ومبدأ الأكثريّة، حيث يرجعان في جذورهما إلى هذه التجربة التي أراد الملوك منها خدمة مقاصد السلطة.

وقد لعب هذان المبدآن دوراً كبيراً في تشكيل الوحدة القوميّة والوعي القوميّ. ذلك لأنّ البرلمان الذي كان يعبّر عنهما، كان يتجاوز الحدود والحواجز المحليّة والإقليميّة، ويُولّد رأياً عاماً ويعزّز مشاعر وروابط مشتركة.

فالانتخاب في بُعده الفلسفي، هو عمليّة انتقاء او اصطفاء، تؤدّي إلى حفظ بقاء الأفراد واحتفاظهم بأكمل الصفات، إما بالمطلق أو بالقياس إلى غيرهم. وهو قسمان: إراديّ وطبيعيّ.

أما الأول: فهو الانتقاء الموجّه إلى تحقيق غاية معيّنة. ومن هنا ضرورة البرنامج في هذه الحالة.

أما الثاني: فهو عند داروين نتيجة آليّة للتنازع الحيوي، الذي يؤدّي إلى بقاء الأقوى والأصلح والأحذق. وهكذا يؤدّي الانتخاب الطبيعيّ إلى بقاء الأنواع الصالحة، وزوال الأنواع الضعيفة التي لم تتمكّن من النجاح في مُعترَك الحياة.

لكن النظام التمثيليّ أو النيابيّ يخدم في أساسه سياسة معيّنة تهدف إلى منع الإفراط في السلطة، أي اتخاذ تدابير تأخذ في الاعتبار كثرة وتنوّع المصالح والمفاهيم التي تتلاقى في المجتمع، وتؤسّس للاعتدال، للخط الوسط، كمحصّلة لتآلف القوى. إنّه التسوية.

وارتكازاً على هذا النظام، فإنّ السيادة ليست سوى ممارسة الإدارة العامة التي لا يمكن ارتهانها أبداً. فالسيد الذي ليس سوى كائن اجتماعي لا يمكن تمثيله إلا بذاته. ومع أنه يُمكن تداول السلطة، فلا يُمكن تداول الإرادة. إذن ليس نواب الشعب ممثليه، ولا يمكنهم أن يكونوا كذلك، فما هم إلا مفوّضيه. ولا يُمكنهم تبعاً لذلك إبرام أيّ عقد نهائياً.

وحسب مونتسكيو، فإنّ فصل السلطات هو الضمانة الضروريّة للحريّة السياسيّة، مع عدم الخلط بين هذه الحرية وسلطة الشعب، وارتباطها ارتباطاً وثيقاً بالقانون، فالحريّة هي الحقّ في فعل كلّ ما تسمح به القوانين. وإذا كان بمستطاع مواطن أن يفعل ما تمنعه القوانين فلا يبقى ثمّة حريّة، لأنّ الآخرين لهم هذه السلطة أيضاً.

يلزم ذلك اعتماد «العقد الاجتماعيّ»، إذ قبل فحص الفعل الذي بواسطته ينتخب شعب ما، يصير من المفيد النظر في الفعل الذي به يكون الشعب شعباً. إنه ليس عقداً مبرماً بين الأفراد، لكنه العقد الذي يبرمه كلّ فرد مع نفسه، والذي يحوّل كلّ فرد إلى مواطن، وأحكام هذا العقد تنخفض كلّها إلى حكم واحد: هو الارتهان الكامل لكلّ مشترك لحقوق الجماعة بأسرها. واستنتاجاً، لا مفرّ من إيجاد مبادئ الحقّ السياسيّ لمجتمع حقيقيّ ينحلّ فيه التوتّر بين الفرديّ والجماعيّ من خلال معادلة السلطة والحريّة.

مثل هذا التنظير الكلاسيكيّ لمفهوم التمثيل النيابي الشعبيّ لم يستقم على سياق واحد. حتى في التجارب الغربيّة، وخصوصاً في أوروبا وأميركا الشماليّة، جرت اجتهادات دستوريّة وقانونيّة معمَّقة حول هذا المفهوم. ذلك أنّ التجربة وخصوصيّة كلّ بلد ومجتمع جعلت من التمثيل البرلمانيّ والديموقراطيّة الناجمة عنه، أمراً خاضعاً لتلك الخصوصيّة عينها، وذلك على الرغم من الاشتراك العام في الكليّات والعموميّات التي يوحي بها المفهوم في البلدان الأخرى، ولا سيما تلك التي لم تشهد صدمة الحداثة السياسيّة على الطريقة الغربيّة، ما يفتح الباب على حقل واسع من النقاش في هذا الصدد.

حِكَم

.. ويتجدّد مجلس لقمان الحكيم

يَا بُنَيّ ...

مَرَرتُ عَلى كَثِيرٍ مِنَ الأَنبِيَاء فَاستَفَدتُ مِنهُم عِدَّةَ أَشيَاء:

إِذَا كُنتَ فِي صَلاَةٍ فَاحفَظ قَلبَكَ

وإِذَا كُنتَ فِي مَجلِسِ النَّاسِ فَاحفَظ لِسَانَكَ

وإِذَا كُنتَ فِي بُيُوتِ النَّاسِ فَاحفَظ بَصَرَكَ

وإِذَا كُنتَ عَلَى الطَّعَامِ فَاحفَظ مَعِدَتَكَ

واثنَتَانِ لا تَذكُرهُمَا أَبَدًا: إِسَاءَةُ النَّاسِ إِلَيكَ ... وإِحسَانُكَ لِلنَّاس.

لُغَة

* الفرق بين الشريعة والدِّين: أنّ الشريعة هي الطريقة المأخوذة فيها إلى الشيء، ومن ثمّ سُمِّي الطريق إلى الماء شريعة ومَشْرَعة، وقيل الشارع لكثرة الأخذ فيه. والدِّين ما يُطاع به المعبود، ولكلّ واحد منّا دين وليس لكلّ واحد منا شريعة، والشريعة في هذا المعنى نظير الملّة، إلاّ أنّها تفيد ما يفيده الطريق المأخوذ ما لا تفيده الملّة، ويُقال شَرَعَ في الدين شريعة، كما يُقال طَرَق فيه طريقاً، والملّة تفيد استمرار أهلها عليها.

* الفرق بين الشرح والتفصيل: أنّ الشرح بيان المشروح وإخراجه من وجه الإشكال إلى التجلّي والظهور، ولهذا لا يستعمل الشرح في القرآن، والتفصيل هو ذكر ما تضمّنه الجملة على سبيل الإفراد، ولهذا قال تعالى ﴿..ثمّ فُصِّلت من لدن حكيم خبير﴾ ولم يقل شُرِحت، وفرق آخر أنّ التفصيل هو وصف آحاد الجنس وذكرها معاً، وربّما احتاج التفصيل إلى الشرح والبيان، والشيء لا يحتاج إلى نفسه.

* الفرق بين الكأس والقدح: وذلك أنّ الكأس لا تكون إلاّ مملوءة، والقدح تكون مملوءة وغير مملوءة. وكذلك الفرق بين الخوان والمائدة، وذلك أنّها لا تُسمّى مائدة إلاّ إذا كان عليها طعام، وإلاّ فهو خوان. والله سبحانه وتعالى أعلم.

«الفروق اللّغويّة، أبو هلال العسكري».

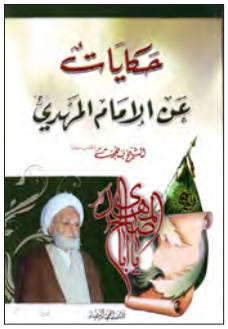

الكتاب: حكايات عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف
الناشر: «دار المحجّة البيضاء»، بيروت ٢٠١٠.

صدر مؤخراً عن «دار المحجة البيضاء» مجموعة قصص عرفانيّة مأخوذة من أقوال ومواعظ آية الله الشيخ محمّد تقي بهجت قدس سره وهي تحت عنوان «حكايات عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف».

هذا الكتاب هو عبارة عن تظهير لسيرة الإمام الحجّة من خلال ما رُوي عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، حيث يبيّن الشيخ المقدّس طبيعة العلاقة بين الإمام وشيعته. وقد جاء في بعضها أنّه عليه السلام يرى الناس ويعرفهم، وخصوصاً أتباعه والأولياء والعرفاء الذين يعرفونه ويلتقونه.

أبرز الموضوعات الواردة في هذا الكتاب هي:

ربيع الظهور – الغيبة ومطبّات الطريق – وظيفة المنتظرين – الألطاف الخاصة – قرب الظهور – التشرّف باللّقاء.

الكتاب: «دراسات في نهج البلاغة».
إعداد: «مركز نون للتأليف والترجمة».
الناشر: «جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة»، بيروت ٢٠١٠.

ضمن «سلسلة المعارف الإسلاميّة» صدر عن «جمعية المعارف الإسلامية الثقافيّة» كتاب «دراسات في نهج البلاغة» ويتضمّن أحد عشر درساً تتناول الآليّة التي اعتمدها الشريف الرضي في جمع خطب الإمام عليّ عليه السلام، كما تقدّم ردوداً علميّة على الشبهات التي أُثيرت حول هذا السِفر الخالد، وتتطرّق إلى جملة من المفاهيم التي عالجها أمير المؤمنين صلوات الله عليه في خُطبه ومواعظه؛ من قبيل العبادة، والقرآن الكريم، والجهاد، وعهد مالك الأشتر رضي الله عنه، وغير ذلك.

الكتاب: «مقاربات منهجيّة في فلسفة الدِّين».
المؤلف: الشيخ شفيق جرادي.
الناشر: «مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي»، بيروت.

عن «مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي» في بيروت، صدر للشيخ شفيق جرادي كتاب بعنوان «مقاربات منهجيّة في فلسفة الدين»، تضمّن ثمانية فصول:

الأول: إشكاليّة العلاقة بين المنهج والنص الديني.

الثاني: الإسلام وفلسفة الدين (وجهة نظر).

الثالث: مقدّمات منهجيّة للغة الظاهرة الدينيّة.

الرابع: العقل في جدليّاته.

الخامس: حكمة الإشراق وجدليّة الأنساق.

السادس: الحي والكلمة في اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر.

السابع: الإيمان بين الشك واليقين.

الثامن: الدين والعلمنة في نظام المعرفة والقِيَم.

الكتاب: «بحوث في مدرسة الصدر (بين الخلدونيّة والهيغليّة. تربية واقعيّة وفلسفة منتصرة)».
المؤلف: عبد اللطيف الحرز.
الناشر: «دار الفارابي»، بيروت.

من ضمن سلسلة «غريب على الطريق»، صدر عن دار الفارابي في بيروت، كتاب «بحوث في مدرسة الصدر بين الخلدونيّة والهيغليّة. تربية واقعيّة وفلسفة منتصرة»، لمؤلّفه عبد اللطيف الحرز.

في الفصل الأول من الكتاب يجري المؤلف مقارنة في الفكر والمنهج من ابن خلدون إلى الشهيد محمد باقر الصدر، وينتقل في الفصل الثاني إلى التفسير بين كشف النص وكشف الواقع ـ مراجعة مبدئيّة لنظريّة محمّد باقر الصدر.

وفي الفصل الثالث: الصدر الثاني وإبداع المفهوم التداوليّ ـ الفكر المستقبليّ في مواجهة بؤس المجتمع الإسلاميّ.

وفي الفصل الرابع: من هيغل إلى الصدر الثاني ـ محاولة أوّلية في مقارنة تجديد الوعي وجدله.

إصدارات أجنبية

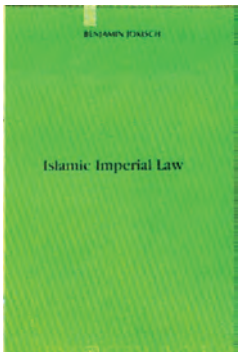

الكتاب: «الحقوق في الدولة الإسلامية »
Islamic Imperial Law
المؤلف: د. بنيامين يوكيش. Binjamin Jokisch
الناشر: «جامعة هامبورغ»، ٢٠١٠

تأتي أهمية هذا الكتاب بالإضافة إلى كونه يدرس التوثيق تاريخياً وحقوقياً ويتابع الحقوق الإسلامية في القرون الأخيرة، أنه يقدّم ولأول مرّة أبحاثاً في قضايا وملفات عملية من القرن الثالث من الهجرة، ويعرض لنشوء علم الأصول والفقه وجذوره وما تفرّع عنه، كما يسلط الضوء على مدى تأثير المذهب الحنفي (مذهب الحكومة الرسمي) في الدولة والمجتمع. الجدير ذكره أن المؤلّف حصل على دكتوراه من جامعة هامبورغ الألمانية عام ١٩٩٥، ويدرّس حالياً في مجال الأبحاث والدراسات الإسلامية والعربية في هذه الجامعة.

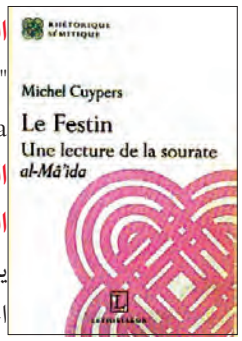

الكتاب: «تحليل وتفسير لسورة المائدة على ضوء نظرية "البلاغة السامية"»
Le Festin: une lecture de la sourate al ma'ida
الكاتب: ميشل كوبيرس
الناشر: مكتبة لاتليو- باريس- ٢٠١٠

يقدّم هذا الكتاب توضيحاً لاصطلاحات وقوانين المنهج الجديد في «التجزئة والتحليل البلاغي» بصورة مبسّطة وواضحة، وهو يتناول سورة المائدة كنموذج لتطبيق هذا المنهج مستعيناً بمصادر مختلفة ومتنوّعة من إسلامية وغير إسلامية، القديمة منها والجديدة، فضلاً عن نصوص سامية ويهودية ومسيحية قديمة. يخلص الكاتب إلى نتيجة علميّة وهي أن نصّ القرآن الكريم يتميّز بوحدة وتنسيق فريدين. والمعروف أن «كوبيرس» متخصص في الدراسة الأدبية لنص القرآن الكريم وخصوصاً من جهة نظمه وارتباطه بالنصوص الأدبية المقدّسة التي سبقته، كما يجيد اللغة والأدب الفارسي ويجري أبحاثاً في معرفة الشرق بصفته عضواً في المجتمع الدومينكي في مصر منذ العام ١٩٨٩.

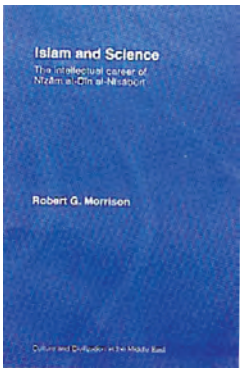

الكتاب: الإسلام والعلم. Islam and Science
الكاتب: روبرت موريسون. Robert G. Morrison
الناشر: مركز الشرق الأوسط للثقافة والحضارة- أميركا- ٢٠١٠

يعرض الكتاب لحياة نظام الدين النيسابوري من نشأته وصولاً إلى دراسة فكره العلمي والديني، ويضيء على شموليته العلمية والفنية في مجالات خمسة: تفسير القرآن، الفقه، علم الكلام الإسلامي، علم النجوم، والتنجيم. كما يتناول مدى تأثره على شخصيات علمية رائدة من العالم الإسلامي أمثال: الغزالي، فخر الدين الرازي، المحقّق الطوسي، وقطب الدين الشيرازي. يُذكر أن هذا الكتاب هو رسالة دكتوراه في الدراسات الإسلامية قدمها موريسون في جامعة «كلمبيا» وهو حالياً يعمل كأستاذ مساعد في كلية (Bowdoin) الأميركية.

الكتاب: «تاريخ الفكر العربي والإسلامي».
المؤلف: دومينيك أورفوا.
الناشر: «المكتبة الشرقية»، بيروت.

صدر عن «المكتبة الشرقيّة» في بيروت كتاب «تاريخ الفكر العربي والإسلامي» للكاتب الفرنسي دومينيك أورفوا، عملت رندة بعث على تعريبه، وهو في ٨١٤ صفحة، ويتضمّن ٣٣ فصلاً إضافة إلى فهرس الأعلام.

وقد عرض المؤلف في هذه الفصول: قِيَم ما قبل الإسلام، بنى الأفكار في القرآن، أوائل النزاعات الداخليّة في الإسلام وانعكاساتها الفكريّة، أولى المسائل الفقهيّة: تقدير الله للأحداث، المرجئة، الانعكاسات الأيديولوجيّة لاستيلاء العبّاسيّين على السلطة، التفكير في اللغة العربيّة وامتداداته التأويليّة، بدايات المنهج الشرعي والفكر السياسي والتاريخ، تمثّل المعرفة الأجنبيّة، تشكّل الكلام، التعبير العربي عن الفكر المسيحي، بدايات التصوّف النظري، ظهور الفلسفة، تشعّب الكلام، الفلسفة كنظام إيديولوجي، توطّد الفكر الشيعي، المناهج الأخلاقيّة، الفكر العلمي، إتقان الفلسفة، التشكيل السكولاستي للصراطيات، الحقبة الكلاسيكيّة للتأمّل في اللغة العربيّة، تجارب في الإجمال الإحيائي، الفلسفة العربيّة تنتقل إلى إسبانيا، حركة الموحّدين والتباسها، ازدهار الفكر الذمّي وأفوله، دروب الإشراق، تعميق السنيّة، الفكر الاجتماعي، ماورائيو فارس، الفكر الإسلامي الكلاسيكي في آسيا الشرقيّة، ردّ الفعل على التحدّي العربي، ظهور فكر إسلامي نقدي، والاتجاهات الراهنة.

دوريات

«مجلة الدراسات الإسلامية والعربية» (٣٩)

صدر مؤخراً عن «كلية الدراسات الإسلامية والعربية» في دبي «مجلة الدراسات الإسلامية والعربية» في عددها التاسع والثلاثين. نقرأ في هذا العدد مجموعة من الأبحاث والمقالات التي تُعنى بالدراسات القرآنية والتربوية والعلوم المعاصرة، أبرزها:

- نظرات دعوية في الإعجاز العلمي في خلق حواس الإنسان.
- مشكل التعدد الثقافي واللغوي بين الموقف الفلسفي والموقف التربوي.
- التعليم العربي الإسلامي في الجزائر بين موقف الاحتلال الفرنسي ومبدأ الإصلاح البادیسي.
- أسلوب الشرط في الحديث النبوي الشريف.
- الجملة في نظر اللسانيين العرب.
- أثر التنافس غير العلمي في ظاهرة الخلاف النحوي.
- صعوبة النحو بين الحقيقة والوهم.

«المنهاج» (٥٩)

في هذا العدد من مجلة «المنهاج» نقرأ القسم الثالث من أعمال المنتدى الذي يضم قراءات في علم اجتماع المعرفة والمعرفة الدينية. وفيه مجموعة من الدراسات والمقالات لعدد من الباحثين والمفكرين، أهمها:

- سوسيولوجيا المعرفة في فكر الشهيد الشيخ مطهري.
- إقبال اللاهوري وعلم اجتماع المعرفة.
- المناهج الرئيسية للبحث في المعرفة الدينية.
- نظرية المعرفة والتوالد الذاتي عند الشهيد السيد الصدر.

وفي الأبحاث المتفرقة نقرأ للباحث العراقي يحيى محمد حول خصائص «الدائرة البيانية وإشكالياتها المنهجية»، وللباحث المغربي د. إدريس هاني حول «الدولة الموحّديّة، العمل السياسي والاتجاه المذهبي». ونقرأ للشيخ أكرم بركات حول مسيرة الشيخ أحمد عارف الزين العلمية، ونظرية الحروف المقطعة في القرآن الكريم للشهيد السيد مصطفى الخميني، وقراءة الكافية في الجدل للجويني بقلم د. آيت حمو.

«المحجّة» (٢١)

صدر العدد الجديد من مجلة «المحجّة» الصادرة عن «معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية»، وخُصِّص لواحدة من أهم القضايا الفلسفية المعاصرة، جاءت تحت عنوان: «عودة الميتافيزيقا».

تضمن العدد مجموعة من المقالات والأبحاث لدارسين وعلماء من العالم الإسلامي والغرب أبرزها:

- إشكالية الميتافيزيقا وأزمة تجاوزها في فلسفة العلم المعاصرة للدكتور خنجر حمية.
- إمكان الميتافيزيقا لجوناثان لوو.
- الأنطولوجيا: هل هي تأسيسية؟ لإيمانويل لفيناس.
- العودة إلى الميتافيزيقا بقلم إدوار نيكول.
- الحقيقة الميتافيزيقية بين حس الطبيعة وحدس الوجود لحسن بدران.
- السينويّة ونقد هايدغر لتاريخ الميتافيزيقا للدكتور نادر البزري.

«المعارج» (١٣١)

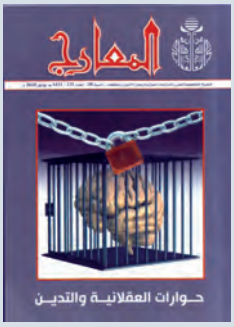

صدر العدد الجديد من مجلة «المعارج» التي تعنى بالدراسات القرآنية وحوار الأديان والثقافات، وتتضمّن محوراً رئيسياً تحت عنوان: «حوارات العقلانية والتديّن».

من أبرز المقالات:

- افتتاحية بقلم رئيس التحرير والمشرف العام الشيخ حسين شحادة بعنوان: «التجديد بوصفه يقظة أخلاقية».
- الفكر العربي المعاصر بين المشرق والمغرب بقلم د. أحمد البرقاوي.
- احتلال العقل والهوية للدكتور رفعت السيد أحمد.
- رحلة بين العقل والوحي بقلم الدكتور عبدالإله بلقزيز.
- العرب وفجوة المعرفة للدكتور نبيل علي.
- مكانة العقلانية في الثقافة العربية للباحث تامر سفر.
- المسلمون ورحلة البحث عن العقلانية للباحث الإيراني جواد علي كسار.
- العقل والآله للباحث الروسي غاري كسباروف.
- نظرية العقل في الإسلام للدكتور أحمد علي محمد.
- العقلانية العربية المعاصرة للدكتور عبد الأمير الأعسم.
- التطور الحضاري العربي للدكتور محمد السيد سعيد
- الإيمان والعقل للباحث الأميركي هانس كينغ.
- العقل البشري للدكتور محمد راتب النابلسي.

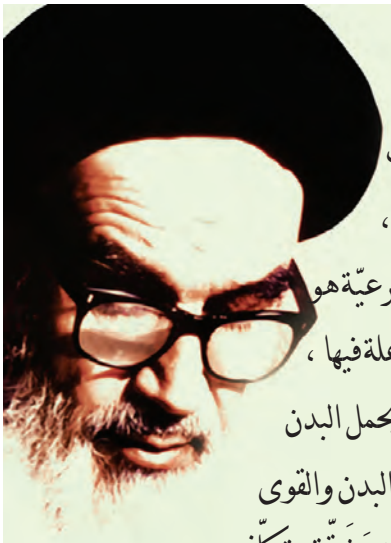

حُبُّ الدُّنيا

* من المفاسد الكبيرة لِحُبّ الدّنيا أنّه يُعيق الإنسان عن الرّياضات الشرعيّة والعبادات والمناسك، ويُقوّي البُعْد الطبيعيّ، فتستعْصي الطبيعة على إطاعة الرُّوح فلا تنقاد لها، ويوهِن العزم الإنسانيّ ويُضعفه، علماً بأنّ أحد الأسرار الكبرى للعبادات والرّياضات الشرعيّة هو جَعْل البَدَن والقوى الطبيعيّة والبُعْد المُلْكي تابعة للرُّوح ومنقادة لها، وجَعْل إرادة النّفس فاعلة فيها، وتَغْليب ملكوت النّفس على مُلْكها، بحيث يصبح للنّفس من السلطَنَة والقدرة والأمر ما يحمل البدن على القيام بأيّ أمرٍ، أو الامتناع عن أيّ أمر تريد بمجرّد تعلّق إرادتها بذلك، فيُصبح مُلْك البدن والقوى الظاهرة المُلْكيّة تابعة ومقهورة ومسخّرة للملكوت، بحيث يمكنه القيام بأيّ عمل يريده بدون مَشَقّة وتكلّف.

وإحدى فضائل العبادات الشاقّة المجهدة وأسرارها، أنّ هذا الهدف يتحقّق بسببها أكثر، ويصبح الإنسان بواسطتها صاحب عزم، ويتغلّب على طبيعته، ويهيمن على المُلْك.

وإذا تمّت الإرادة واكتملت، وقوِيَ العزم واستحكم، يصبح مَثَل مُلْك البدن وقواه الظاهرة والباطنة مَثَل ملائكة الله لا يعصون الله تعالى، ويمتثلون كلّ ما أمرهم به، وينتهون عن كلّ ما نهاهم عنه، من دون أيّ تكلّف ومشقّة.

كذلك قوى مُلْك الإنسان، إذا أصبحت مُسخّرة للرّوح فإنّ التكليف والمشقّة يزولان تلقائيّاً، ويُستبدلان بالراحة، وتستسلم أقاليم المُلْك السبعة للملكوت في ذلك العالم.

ميزان إحدى مراتب الجنّة التي هي من أفضل الجنان، هو الإرادة والعزم، فما لم يكن الإنسان صاحب إرادة نافذة وعزم قويّ، فلا سبيل له إلى تلك الجنّة وذلك المقام العالي.

في الحديث أنّ أهل الجنّة عندما يستقرّون فيها، يأتيهم كتاب من ساحة القدس الإلهي جلّت عظمته وفيه:

«من الحيّ القيّوم الذي لا يموت إلى الحيّ القيّوم الذي لا يموت. أمّا بعد، فإنّي أقول للشيء كُنْ فيكون وقد جعلتُك تقول للشيء كُنْ فيكون».

لاحظ أيّ مقام هذا، وأيّة سلطنة، وأيّة قدرة إلهيّة هذه، أن تصبح إرادته مَظهَر إرادة الله، يمنح المعدومات لباس الوجود.

هذه القدرة وهذا النفوذ أفضل وأسمى من جميع الجنّات الجسمانيّة.

ومعلوم أنّ هذا الكتاب لا يُرسَل عبَثاً وجُزافاً.

مَن تكون إرادته تابعة لشهواته الحيوانيّة، ويكون عزمه ميتاً وخامداً، لا يصل إلى هذا المقام.

إنّ أعمال الحقّ تعالى مُنَزّهة عن الجزاف، هي في هذا العالم وفق النظام وعلى أساس ترتيب الأسباب والمُسَبّبات، وفي ذلك العالم كذلك، بل إنّ ذلك العالم أليَق بنظام الأسباب والمسبّبات.

جميع نظام عالم الآخرة على قاعدة التناسُب والأسباب، ونفوذ الإرادة يجب الحصول عليه في هذا العالم.

الدنيا مزرعة الآخرة ومادّة جميع النِّعَم الجَنّيّة، والنِّقَم الجهنميّة.